مِن مكتبة التّراث

المُوجَز

لأبي عمار عبد الكافي الأُباضي

الجزء الثاني

خرّج أحاديثه وعلّق على نصوصه
الدكتور
عبد الرحمن عميرة

دار الجيل
بيروت

المُوجَز

لأبي عمار

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة المؤلف

صلّى الله على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً

الحمد لله المقدّر للأشياء على اختلاف أجناسها،[1] المدبّر لها على ما هي به من تفاوتها، ليس شيء منها مستغنياً بنفسه، ولا ممتنعاً من تدبير مدبره ولا قائماً بغير تقدير إلهه، قضى كل شيء فقدره، وصنع كل شيء فأتقنه،[2] فلم يذر لطاعن في الحق حجة إلاّ أزهقها،[3] ولا عورة إلاّ كشفها شد بحججه الواضحة على أعضاد الناصرين لدينه، الذابين على ما نزل به الروح الأمين من وحيه على رسله، وقطع حجج المعاندين له في سلطانه، وأبطل معاذير الجاعلين لأنفسهم من القدرة مثل الذي جعلوا له، فللّه عزّ وجلّ الحمد، وهو المشكور على حسن معونته فيما هدى له من الصراط المستقيم، والطريقة المثلى.

أمّا بعد ـ على أثر ذلك أيّدك الله ـ فإني لّما تخلصت من أمثال، ما ندبتني إليه من الكلام في باب التوحيد، والردّ على أهل الإلحاد، وفرغت من

(١) الجنس في اللغة: الضرب من كل شيء، وهو أعمّ من النوع، يقال: الحيوان جنس والإنسان نوع. قال ابن سينا: الجنس: هو المقول على كثيرين مختلفين بالأنواع أي بالصور، والحقائق الذاتية، وهذا يخرج النوع، والخاصة، والفصل القريب. والجنس عند قدماء الفلاسفة ثلاث مراتب وهي: الجنس العالي وهو الجنس الذي لا يوجد فوقه جنس آخر، ويسمى جنس الأجناس والجنس المتوسط: وهو الجنس الذي يكون فوقه وتحته جنس، والجنس السافل، وهو الجنس الذي لا يكون تحته جنس كالحيوان.

(٢) قال تعالى: ﴿صنع الله الذي أتقن كل شيء إنه خبير بما تفعلون﴾ سورة النمل آية رقم ٨٨.

(٣) قال تعالى: ﴿وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً﴾ سورة الإسراء آية ٨١.

سفر القول في ذلك، رأيت من حسن الرأي إن شاء الله أن أشفعه بأخيه، وأثنيه بصنوه، ليكون الكتاب بإيجازه واختصاره وقريب مأخذه كاملاً في الفن[1] الذي وضع فيه، شاملاً للنوع الذي هو منه، في ذكر أقاويل المخالفين من أهل القبلة، والرد عليهم في خلافهم، وتبيين وجه الحق في كل ذلك من غيره بشواهده، وأعلامه، بمبلغ العلم، ومنتهى الفهم، مقتفياً لآثار السلف، متبعاً لأعلام الخلف رحمة الله عليهم، غير مبتدع لغير ما قالوا ولا مستنبط في غير الذي أصَّلوا، ورأيت أن أبدأ من ذلك بالقول في القدر وفي إثباته، لعظم بلية ذلك على الضعفة، وشدّة مؤنته على العامة، ولتشغيب أهله على الناس، ولأنه أصل عظيم من أصول دين الله،[2] الذي لا يقوم إلاّ به، بعد أن أذكر مقدّمات في ترتيب المعاني، وتفصيل المباني، تكون تنبيهاً للمستفيد إذا سأل، وتثبيتاً للمفيد إذا أجاب، والله أسأل حسن المعونة وجزيل المثوبة، وإليه أرغب أن يجعل ما نويته من ذلك لوجهه خالصاً، ولما عنده طالباً، فأول ذلك:

---

(١) الفن بالمعنى العام: جملة من القواعد المنبثقة لتحصيل غاية معيّنة جمالاً كانت أو خيراً أو منفعة، فإذا كانت هذه الغاية تحقيق الجمال سمّي الفن بالفن الجميل، وإذا كانت تحقيق الخير سمّي الفن بفن الأخلاق، وإذا كانت تحقيق المنفعة سمّي الفن بالصناعة.

ويطلق اصطلاح الفنون على الفنون السبعة التي كانت تدرس في المعاهد القديمة: قواعد اللغة، البلاغة، المنطق، الحساب، الهندسة، الفلك، الموسيقى.

(٢) روى الإمام مسلمٍ بسنده عن ابن بريدة عن يحيى بن يعمر قال: كان أول مَن قال في القدر بالبصرة معبد الجهني فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري حاجين أو معتمرين فقلنا لو لقينا أحداً من أصحاب رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر فوفق لنا عبدالله بن عمر بن الخطاب داخلاً المسجد فاكتنفته أنا وصاحبي أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إليَّ فقلت: أبا عبد الرحمن إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرءون القرآن ويتقفرون العلم، وذكر من شأنهم، وأنهم يزعمون أن لا قدر، وأن الأمر أنف.

قال: «فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم، وأنهم بُراء مني، والذي يحلف به عبدالله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر».

رواه الإمام مسلم في كتاب الإيمان (١) باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى وبيان الدليل على التبري ممن لا يؤمن بالقدر وإغلاظ القول في حقه. ورواه الترمذي في كتاب الإيمان ٤ باب ما جاء في وصف جبريل للنبي ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ الإيمان والإسلام ٢٦١٠ وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح.

باب في النظر[1]:

والنظر يجري بين المتكلمين على سبعة قوانين، وثلاثة توابع:

القانون الأول، السؤال، والثاني: الجواب، والثالث: العلة، والرابع: الدليل، والخامس: قلب السؤال، والسادس: طرد العلة في المعلول، والسابع: برهان الخلف.[2]

والتوابع: المعارضة، والإلزام، والتسليم.

فالسؤال هو الاستخبار، والجواب: مقابلة استحقاق السؤال وكيفيته بالإخبار، والعلة: ما يوجد بوجوده وجود المعلول، وبعدمه عدم المعلول. والدليل: ما يثبت الدعوى عنده، وقلب السؤال أن يجيب المجيب ولم يقنع السائل فيقلب المجيب عليه السؤال. وطرد العلة في المعلول أن يجعل المجيب في جوابه علّة يعلّق كلامه بها، والسائل يعلم أن للمجيب مذهباً، ويقول فيه بغير هذه العلة، فيطالبه فيه بطرد علته في كل المعلول. وبرهان الخلف: أن يأتي المجيب بدليل، فلا يسلم السائل، ويقول في كل دليل يأتي به المجيب: ما دليلك على ذلك؟ حتى يخرج به المجيب إلى أحد أمرين: إما إلى شاهد العيان، أو إلى شاهد القياس، مما يقرّ به السائل، مثال ذلك: أن يسأل دليلاً على حدوث الجسم ويجاب كونه غير سابق للحادث، ما دلّ على أنه غير سابق للحادث وجوده غير عار من الحادث ما دلّ على أنه غير عار من الحادث بطلان التوهم له بغير حادث، ثم يسأل فيقول: ما دلّ على حدوث الحادث، تعاقبه وتضاده، ما

---

(١) للنظر تعريفات بحسب المذاهب، فأرباب التعاليم يقولون: إن النظر ترتيب أمور معلومة للتأدي إلى مجهول.

والرازي يقول: إن النظر ترتيب تصديقات يتوصل بها إلى تصديقات أخرى. ومنهم مَن يقول: إن النظر هو البحث وهو أعم من القياس (كليات أبي البقاء). ومنهم مَن يقول: إن النظر ينقسم إلى صحيح يؤدي إلى المطلوب، وفاسد لا يؤدي إليه، ومنهم مَن يرى أن النظر والفكر يختصان بالمعقولات الصرفة. لا يجريان في غيرها (راجع كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي).

(٢) برهان الخلف: هو الذي يقصد فيه إثبات المطلوب بإبطال نقيضه.

دلّ على تعاقبه وتضاده، بطلان الوصف له، وما في بطلان الوصف له تناقض القول وتكاذبه.

والمعارضة[١]: مطالبة السائل للمسئول بإزالة علته لعلة أخرى، وذلك أن يجيب المجيب جواباً، ويعطي فيه علة، فيقول السائل ما أنكرت أن يكون لجهة كذا وكذا؟ فيعتل بعلة غير علته، أو يقول له: ما الفرق بينك وبين مَن يقول: كذا وكذا لشيء لا يجيب به المجيب.

والإلزام: ضرب من المعارضة، وذلك أن يوجب المجيب حكماً في شيء دون شيء فيقول السائل، يلزمك أن توجب هذا الحكم فيما هو دون ما قلت، أو فيما هو فوقه، وإلاّ فما الفرق؟ فيلزمه أن يأتي بالفرق أو يسلم.

والتسليم واجب من النصفة والعقل إذا علم السائل أن الكلام بلغ إلى النهاية وما بقي له زيادة، فقد لاح الحق فيجب ألاّ يعانته بغير حجة ويسلم.

والسؤال سؤالان، سؤال تفويض، وسؤال حجر، فسؤال الحجر أن يقول السائل: أخبرني عن الجسم أمحدث هو أم قديم؟ فلا يجيب إلاّ بأحد أمرين على عبارة السائل، وسؤال التفويض أن يقول السائل: ما دلك على حدوث الجسم، فيجيب بالذي يجيب على ما تهيّأ له من الدليل.

والسؤال كله تسعة أنواع أولها[٢]: هل هو؟ وما هو؟ وكم هو؟ وأي هو؟

---

(١) المعارضة في اللغة: هي المقابلة على سبيل الممانعة، وعند الشكاك اليونانيين مقابلة كل دليل بدليل يساويه، لذلك قالوا: إن لكل دليل دليلاً يقابله ويساويه في القوة.
والمعارضة عند الأصوليين: إقامة الدليل على خلاف ما أقام الدليل عليه الخصم، والمعارض للمنطق: هو الخارج عن القوانين الوضعية. راجع التعريفات للجرجاني ١٩٧ بتصرّف، والكافية في الجدل: ٤١٢ وهو برهان إلزام لا برهان إيضاح ـ ونعني بذلك أنه يرغم العقل على التسليم بالنتائج من غير أن يرجع القضية المراد إثباتها إلى الأوليات الواضحة. راجع النجاة ص ١٠٣.

(٢) سقط في (ب) أولها.

وكيف هو؟ وأين هو؟ ومتى هو؟ ولِمَ هو؟ ومَن هو؟ ولكل سؤال جواب خاص، لا يشبه الآخر.

والسؤال يسقط من خمسة أوجه: من تناقض، واضطراب وإثبات، ودخول سؤال تحت المحال، وجمع بين[١] سؤالين. فالمتناقض: أخبرني عن الجسم إذ لا ينفك عن العرض[٢]، هل يكون بغير عرض؟ والمضطرب أخبرني عن العرض ولِمَ كان حركة؟ فيجعل الأعم في الأخص.

والإثبات: أخبرني عن لون الحركة وما هو؟ والمجيب لا يثبت رؤية الحركة، ومثل ذلك، وما الدليل على حدوث الجسم؟ فيجاب له، ثمّ يكرّر فيقول: ما الدليل على إبطال قدم الجسم؟ والرابع: أن يدخل سؤالاً تحت المحال فيقول: هل يقدر الله على أن يجعل الإنسان حيّاً ميتاً، أو صامتاً ناطقاً، في حال واحدة؟ وهل يقدر على أن يكون على صفات الخلق؟ تعالى الله عن ذلك. فهذا ومثله من السؤال الساقط[٣]، وهذا المعنى أولى بالسؤال الساقط من سؤال التكرار، والله أعلم.

والجمع: أن يسأل سؤالين مختلفين في دفعة واحدة، فيطلب بهما جواباً واحداً ودليلاً واحداً، وذلك الذي يطلب فيهما مختلف غير متفق، فيبطل سؤاله لذلك ويسقط.

---

(١) سقط في (ب) لفظ (بين).

(٢) قال الإمام الغزالي: العرض اسم مشترك، فيقال عرض لكل موجود في محل، ويقال عرض لكل موجود في موضوع، ويقال عرض للمعنى الكلي المحمول على كثيرين.

وقال الخوارزمي: العرض هو ما يتميّز به الشيء عن الشيء لا في ذاته، كالبياض والسواد، والحرارة والبرودة.

وقال ابن سينا: يقال عرض لكل موجود في موضوع. راجع النجاة ٣٢٥ ومعيار العلم طبعة مصر ١٣٢٩ هـ ص ١٩٤ ومفاتيح العلوم ٨٦.

(٣) عقد الشيخ نور الدين السالمي في كتابه «مشارق أنوار العقول» فصلاً عن الألفاظ الممتنع بها السؤال عن المولى جلا وعلا فراجعه. المصدر المذكور ص ٦٤، ٦٥.

في الهيئات:

ماهية[1] الشيء، ماهية الموجود، ماهية المعدوم، ماهية القديم، ماهية الحادث، ماهية المخلوق، ماهية الباقي، ماهية الفاني، ماهية المعاد، ماهية الجسم، ماهية العرض.

أما هيئة الشيء، فالمخبر عنه، وأما هيئة الموجود فالحاضر، وقد يسمى الآتي موجوداً توسعاً، وأما هية المعدوم فالغائب عن الوجود، وأما هيئة القديم، فالذي لا أول لوجوده، وهيئة[2] الحادث ما لوجوده أول وآخر: هيئة القديم ما وجد لا بعد أن لم يوجد، وهيئة الحادث ما وجد بعد أن لم يوجد، وآخر: هيئة القديم ما وجد لا بعد عدم، وهيئة الحادث: ما وجد بعد عدم، وبعض الأجوبة من بعض.

أما هيئة المخلوق: فالمقدر المصنوع، آخر: هيئة المخلوق: الخارج من العدم إلى الوجود. أما هيئة الباقي: فما وجد بعد وجود، أما هيئة الفاني: فما عدم بعد وجود، ويسمى الصائر إلى الفناء[3]، فانياً توسعاً وبلاغة، أما هيئة المعاد:

---

(١) الماهية: لفظ «منسوب إلى ما» والأصل: المائية قلبت الهمزة هاء لئلا يشتبه بالمصدر المأخوذ من لفظ «ماء» والأظهر أنّه نسبة إلى ما هو جعلت الكلمتان ككلمة واحدة.
والماهية عند أرسطو: هي مطلب ما هو كسؤالك ما الخلاء فمعناه بحسب الاسم ما المراد بالخلاء أو كسؤالك: ما الإنسان..؟ فمعناه بحسب الذات ما هي حقيقة الإنسان.
والماهية إذن هي ما به يجاب عن السؤال بما هو، والماهية غالباً تطلق عن الأمر المتعقل، والأمر المتعقل من حيث هو مقول في جواب ما هو يسمى ماهية، ومن حيث ثبوته في الخارج يسمى حقيقة، ومن حيث امتيازه عن الأغيار هوية. راجع تعريفات الجرجاني، والنجاة لابن سينا ص ١٠٥ وكليات أبي البقاء وكشاف اصطلاحات الفنون ٢ ـ ١٥٣١ ، ١٢٥٥.

(٢) الهيئة: لغة حال الشيء وكيفيته، وهي والعرض متقاربا المفهوم، إلاَّ أنَّ العرض يطلق على جميع مقولات الأعراض باعتبار عروضه لها، والهيئة تطلق عليها من حيث إنَّها حاصلة في موضوعاتها.
وكثر استعمال لفظ الهيئة في الخارج، ولفظ الوصف في الأمور الذهنية. راجع الكليات لأبي البقاء ٥: ٨٤ رسالة ابن سينا في أقسام العلوم الفعلية تسع رسائل في الحكمة والطبيعيات الرسالة الخامسة ص ١١١ ـ ١١٢.

(٣) فناء الشيء زوال وجوده، والفرق بينه وبين الفساد أنَّ فناء الشيء عدمه، على حين أنَّ فساده تحوله =

فما وجد بعد وجود وبعد عدم. وأما هيئة الجسم فما كان مؤتلف الأجزاء، وأما هيئة العرض: فالعارض في الجسم، الطارئ عليه، سمي عرضاً لقلة مكثه في الجسم.

في الفئات:

ما فئة الاستطاعة؟ ما فئة الزمانة؟ ما فئة العجز؟ ما فئة الحركة؟ ما فئة النقلة؟ ما فئة السكون؟ ما فئة اللبث؟ ما فئة الحلول؟ ما فئة الغير؟ ما فئة الخلاف؟ ما فئة الضد؟

أما فئة الاستطاعة: ما به يوجد الفعل، وأما فئة الزمانة: فما به يعدم الفعل[1]، وأما فئة العجز: فالمانع من الفعل، وأما فئة الحركة: فما لا يتكون منه جزآن في مكان واحد، وأما فئة النقلة: فما به يصير من مكان إلى مكان، وأما فئة السكون: فما يتكون منه جزآن في مكان واحد، وأما فئة اللبث: فكونه حالين في مكان واحد، وأما فئة الحلول فكون شيء، في شيء دون غيره، وأما فئة الغير فهو ما كان متغايراً مع شيء كانت صفة أو لم تكن، وأما فئة الخلاف: فما كان بصفة تخالف صفة الآخر، وأما فئة الضد فما: كان منافراً لشيء، متنافياً معه.

= إلى شيء آخر.

قال ابن سينا: «في التفريق بين مادة الأجسام السماوية ومادة هذا العالم فيكون حدوثها (أي مادة الأفلاك) على سبيل الإبداع لا على سبيل التكوين من شيء آخر، وفقدها على سبيل الفناء، لا على سبيل الفساد إلى شيء آخر.» راجع الأجرام ص ٤٥.

والفناء عند الصوفية: عدم شعور الشخص بنفسه أو بشيء من لوازم نفسه: فإذا قال الصوفي: ليس في الوجود إلاَّ اللّه عبّر بذلك عن فناء ذاته في الذات الإلهية. ويقول الجرجاني: «وإليه أشار المشايخ بقولهم: الفقر سواد الوجه في الدارين يعني الفناء في العالمين.» راجع التعريفات: ٢١٧.

(١) للفعل في اصطلاح الفلاسفة عدة معان:

فالفعل بالمعنى العام يطلق على كون الشيء مؤثراً في غيره، ومثاله أفعال الطبيعة كتأثير النـار في التسخين فهي فاعلة والمتسخن منفعل، وتأثير الخطيب في الجمهور، وتأثير المربي في الطفل، وتأثير الطبيب في الشفاء.

في الكيفيات[1]:

ما كيفية الحدوث؟ ما كيفية الخلق؟ ما كيفية الفعل؟ ما كيفية الكسب؟ ما كيفية القصد؟ ما كيفية الاختيار؟ ما كيفية الجبر؟ ما كيفية الاضطرار؟ ما كيفية الإكراه؟ ما كيفية الطبع؟

أما كيفية الحدوث: فكون ما لم يكن قبل الكون. وأما كيفية الخلق: فالإنشاء والاختراع، آخر: أما كيفية الخلق: فالاخراج من العدم إلى الوجود، وأما كيفية الفعل: فما وقع عن إرادة، وأما كيفية الكسب: فما جاء عن روية النفس، وأما كيفية القصد: فالإرادة للفعل دون غيره، وأما كيفية الاختيار: فما اختير من الفعل المفعول دون المتروك، وأما كيفية الجبر: فما فعل بالشيء من غير إرادته، وأما كيفية الاضطرار: فما اضطر إليه وأكره عليه، والإكراه مثله، وأما كيفية الطبع: فما طبع عليه، ولا يزايله، والجبل مثله.

في العينيات:

ما عين[2]، التوحيد؟ ما عين الشرك؟ ما عين الإيمان؟ ما عين الكفر؟ ما

---

(١) الكيفية: اسم لما يجاب به عن السؤال بكيف، كما أنَّ الكمية اسم لما يجب به عن السؤال بكم.
ومعناها: صفة الشيء وصورته وحاله. وهي إحدى مقولات أرسطو. وقد عرفها القدماء بقولهم: الكيف «هيئة قارة في الشيء لا يقتضي قسمة، ولا نسبة لذاته».
أما المحدثون: فإنَّهم يعرفون الكيفية بقولهم: إنَّها هيئة أو صفة يمكن إثباتها في الشيء أو نفيها عنه، ولذلك قسم «كانت» مقولة الكيف ثلاثة أقسام: وهي الإيجاب، والسلب، والتحديد. راجع كشاف اصطلاحات الفنون ٢: ١٢٥٥ والتعريفات: ٢٣٩ ـ ٢٤٠.

(٢) العين: ما يدل بإحدى الحواس الظاهرة، ويسمى بالصورة ويقابله المعنى، أي ما لا يمكن إدراكه بالحواس، كالصدقة والعداوة والعين أيضاً ما قام بنفسه جوهراً كان أو جسماً ويقابله المعنى، وهو ما قام بالغير كالأعراض.
واسم العين هو الاسم الدال على معنى يقوم بنفسه كزيد، واسم المعنى هو الاسم الدال على معنى لا يقوم بنفسه وجودياً كان كالعلم، أو عدمياً كالجهل. وجاء لفظ العين في القرآن الكريم بمعنى النظر ﴿ولتصنع على عيني﴾ طه ٣٩ وبمعنى الحفظ والرعاية ﴿تجري بأعيننا﴾ القمر ١٤ ونهر بني إسرائيل ﴿فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً﴾ البقرة ٦٠ وبمعنى النحاس ﴿وأسلنا له عين القطر﴾ سبأ ١٢. راجع بصائر ذوي التمييز ٤: ٥ ـ ٦ والتعريفات: ٢٠٥.

عين المعصية؟ ما عين الطاعة؟ ما عين الإسلام؟ ما عين النفاق؟ ما عين الكبيرة؟ ما عين الصغيرة؟ ما عين العبادة؟.

أما عين التوحيد: فالأفراد للقديم من صفات المحدث. وأما عين الشرك. فالتسوية بين الخالق والمخلوق. وأما عين الإيمان: فما وجب عليه من اللّه الثواب وأما عين الكفر: فما وجب عليه من اللّه العقاب. وأما عين الطاعة: فما وقع من الفعل عن أمر. وأما عين المعصية: فما وقع من الفعل عن نهي. وأما عين الإسلام: فإسلام الأمر والوجه والنفس إلى اللّه، آخر: الإسلام هو الاستسلام لأمره. وأما عين النفاق: فخلف الوعد للّه. وأما عين الكبيرة: فما توعد اللّه عليه. وأما عين الصغيرة: فمعصية جاء من اللّه فيها لفاعلها استثناء. وعين العبادة: كل فعل فيه التقرب إلى المعبود.

في الكليات:

كل[1] توحيد إيمان، وليس كل إيمان توحيداً، كل توحيد طاعة، وليس كل طاعة توحيداً، كل طاعة إيمان، وكل إيمان طاعة، كل إيمان إسلام، وكل إسلام إيمان، كل عبادة طاعة، وليست كل طاعة عبادة، كل عبادة تقرب، وليس كل تقرب عبادة، كل ملة دين، وليس كل دين ملة[2]، كل دين شريعة،

---

(١) الكل في اللغة: اسم لمجموع أجزاء الشيء، وهو يفيد الاستغراق لأفراد ما يضاف إليه أجزائه نحو قوله تعالى: ﴿كل امرئ بما كسب رهين.﴾ سورة الطور آية ٢١ قال ابن رشد: الكل يدل به على الذي يحوي جميع الأجزاء وليس يوجد خارجاً عنه شيء وهو بالجملة مرادف لما يدل عليه اسم التام بالوجه الأول من أوجه دلالته.

والكل: اسم من أسماء اللّه تعالى باعتبار الحضرة الأحدية الإلهية الجامعة للأسماء، ولذا يقال أحد بالذات كل بالأسماء.

والكل يقال على جملة العالم من جهة ما هو واحد ومشتمل على كل ما هو موجود في الزمان والمكان. راجع تعريفات الجرجاني ورسالة الحدود لابن سينا والكليات لأبي البقاء.

(٢) الملة: كالدين وهو اسم لما شرع اللّه تعالى لعباده على لسان الأنبياء ليتوصلوا به إلى جوار اللّه، والفرق بينها وبين الدين أنَّ الملة لا تضاف إلاَّ إلى النبيّ عليه الصلاة والسلام الذي تسند إليه: نحو =

وكل شريعة دين، وقد قالوا: دين الأنبياء واحد، وشرائعهم شتى، والله اعلم.
كل شرك كفر، وليس كل كفر شركاً، كل شرك معصية وليست كل معصية شركاً، وكل كفر معصية، وليست كل معصية كفراً كل كفر كبيرة، وكل كبيرة كفر، كل نفاق خلف، وكل خلف نفاق، وكل نفاق كفر، وليس كل كفر نفاقاً، كل نفاق معصية، وليست كل معصية نفاقاً.

في المائيات:

مائية[1] الاسم، مائية المسمى، مائية الصفة، مائية الموصوف، مائية التسمية، مائية الوصف.

أما مائية الاسم: فما به عرف الشيء من غيره، وأمّا مائية الصفة: فما به بان الشيء من غيره، وأمّا مائية المسمى: فالمستوجب للاسم، وأمّا مائية الموصوف: فالمستحق للصفة المتصف بها، وأمّا مائية التسمية: فالإخبار عن اسم الشيء، وأمّا مائية الوصف: فالإبانة عن صفة الشيء.

في الجهات:

جهات المحدث: الحاجة إلى محدث يحدثه، والعجز عن إحداث نفسه،

= ﴿اتبعوا ملة إبراهيم حنيفا.﴾ سورة آل عمران آية ٩٥ ﴿واتبعت ملة آبائي﴾ سورة يوسف آية ٣٨ ولا تكاد توجد مضافة إلى الله ولا إلى آحاد أمة النبيّ ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ ولا تستعمل إلاّ في جملة الشرائع دون آحادها، لا يقال ملتي الله ولا يقال: ملتي وملة زيد كما يقال دين الله ودين زيد. راجع المفردات في غريب القرآن ٤٧١ ـ ٤٧٢ وبصائر ذوي التمييز ٤: ٥١٧ ـ ٥١٨.

(١) المائية أو الماهية: ما به الشيء هو هو وهي من حيث هي هي لا موجودة ولا معدومة، ولا كلي ولا جزئي، ولا خاص، ولا عام، وقيل منسوب إلى ما، والأصل: المائية قلبت الهمزة هاء لئلاّ يشتبه بالمصدر المأخوذ من لفظ «ما» والأظهر أنه نسبه إلى ما هو جعلت الكلمتان ككلمة واحدة.
وتطلق الماهية غالباً على الأمر المتعقل مثل المتعقل من الإنسان وهو الحيوان الناطق مع قطع النظر عن الوجود الخارجي. راجع تعريفات الجرجاني ص ١٧١ وابن سينا النجاة ص ١٠٥ وكليات ابن البقاء ٤:٢٨٧.

وليس بممتنع من التصرف. جهات الجسم: الطول مع العرض، جهة الجسم: التحيّز،[1] جهة الجسم: احتمال البقاء جهة الجسم: قبول الأعراض، وجهات التحيّز: يمنة، ويسرة، وفوق، وتحت، وخلف، وتجاه.

آخر: جهة الجسم: اللون لدرك البصر، والطعم لدرك الذوق، والرائحة لدرك الشم، والمجسة[2] لدرك اللمس، وجهة العرض: الحاجة إلى الجسم، جهة العرض: لزوم الفناء، جهة العرض: غير مشاهد بالعيان، جهة العرض: مخالفة الجسم، جهة العرض: صفة للجسم. وجهة الفعل: الاختيار، جهة الفعل: الحسن والقبيح، جهة الفعل: الطاعة والمعصية، جهة الفعل: وجوب المدح والذم، جهة الفعل: مخالفة الفاعل، وكل جهة للعرض فهي جهة للفعل، وكل جهة للمحدث فهي جهة للجسم، والعرض جميعاً.

في المعنيات:

في معنى متحرك إثبات معنى ثان، غير المتحرك، وهو الحركة، وفي معنى ساكن إثبات معنى ثان غير الساكن، وهو السكون، وفي معنى مفارق إثبات معنى ثان وهو الافتراق، وفي معنى مجامع إثبات معنى ثان وهو الاجتماع. وفي

---

(١) التحيّز: هو عبارة عن نسبة الجوهر إلى الحيّز بأنه فيه، والحيّز هو المكان أو تقدير المكان، والمراد بتقدير المكان كونه في المكان ولم نقل هو المكان، لأنه المتحيّز: هو الجوهر، والحيّز من لوازم الجوهر لا انفكاك له عنه. راجع الكليات ٢:١١١.

(٢) الجسُّ: المس باليد كالاجتساس وموضعه المجسَّة وتفحص الأخبار، وفي المثل: أحناكها أو يقال أفواهها مجاسُّها، وفلان ضيق المجسَّة: أي غير رحيب الصدر.
وجسه بعينه: أحدّ النظر إليه ليستثبت. والجساسة: دابة تجس الأخبار فتأتي بها الدجال والجسَّاس: ككتان: الأسد المؤثر في الفريسة ببراثنه، وعبد الرحمن بن جساس. من أتباع التابعين. راجع ترتيب القاموس المحيط ١:٤٩٢ وما بعدها.

معنى مستطيع إثبات معنى ثان غير المستطيع وهو الاستطاعة،[1] وفي معنى زمن إثبات معنى ثان وهو الزمانة وفي معنى فاعل إثبات معنى ثان وهو الفعل، وإلاّ فهشامية[2] ولا فائدة للقول، وليس هنالك معنى زائد على ما قلنا وإلاّ فمعمرية ولا تحصيل للقول.

في الحقيقات[3]:

ما حقيقة العلم؟ ما حقيقة الجهل؟ ما حقيقة الشك؟ ما حقيقة الظن؟ ما حقيقة الفهم؟ ما حقيقة التقليد؟ ما حقيقة البرهان؟ ما حقيقة الحجة؟ ما حقيقة الشبهة؟ ما حقيقة الاستحسان؟ ما حقيقة المعقول؟ ما حقيقة النظر؟ ما حقيقة القياس؟ ما حقيقة الجدل؟ ما حقيقة الاجتهاد؟.

---

(١) الاستطاعة في اللغة: إنما هي مصدر استطاع يستطيع استطاعة، والمصدر هو فعل الفاعل وصفته كالضرب هو فعل الضارب، والصفة والفعل عرضان بلا شك في الفاعل منا وفي الموصوف والمصادر هي أفعال المسمين فالأسماء بإجماع من أهل كل لسان.
والمستطيع جوهر، والجوهر لا ضد له، فصح بالضرورة أن الاستطاعة هي غير المستطيع بلا شك.
والاستطاعة: ليست عجزاً فإن مَن استطاع على شيء وعجز عن أكثر منه ففيه استطاعة على ما يستطيع عليه. راجع كتاب الفصل لابن حزم ٣٩:٤ وما بعدها بتصرّف.

(٢) يقول الدكتور الطالبي: الظاهر والله أعلم أنه نسبة إلى هشام بن سالم المعتزلي أي وإن لم نقل: إن الاستطاعة مثلاً معنى أي وصف زائد على المستطيع بل هي بعض المستطيع كما هو مذهب هشام المذكور وضرار بن عمرو. والحقيقة: أن هشام بن سالم من الشيعة واعتبره صاحب كتاب الفرق بين الفرق أنه صاحب فرقة «الجولقية» راجع خطط المقريزي ٣٦٨:٢ ط بولاق». وحكى البغدادي عنه سالم هذا أنه كان يقول: في أفعال العباد أنها أجسام لأنه لا شيء في العالم إلاّ الأجسام، وأجاز أن يفعل العباد الأجسام وروى مثل هذا القول عن شيطان الطاق. راجع الفرق بين الفرق ٦٩.

(٣) الحقيقة: تستعمل تارة في الشيء الذي له ثبات ووجود كقوله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ لحارثة: لكل شيء حقيقة فما حقيقة إيمانك..؟ وتارة تستعمل في الاعتقاد.
وأمّا في تعارف الفقهاء والمتكلمين: فهي اللفظ المستعمل فيما وضع له في أصل اللغة.
وحقيقة الشيء ما به الشيء هو هو كالحيوان الناطق للإنسان بخلاف مثل الضاحك والكاتب مما يمكن تصور الإنسان بدونه، وقد يقال إن ما به الشيء هو هو باعتبار تحققه حقيقة، وباعتبار تشخصه هوية ومع قطع النظر عن ذلك ماهية. راجع المفردات في غريب القرآن ١٢٦ والتعريفات ص ٧٩، ٨٠ والكليات ١٩٢:٢ وما بعدها.

أمّا حقيقة العلم: فتبيّن الشيء على مـا هو بـه، وحقيقة الجهـل: ألا يستبان الشيء على ما هو به، آخر: حقيقة العلم: درك الشيء على ما هو به، وحقيقة الجهل: ألا يدرك الشيء على ما هو به. آخر: حقيقة العلم: اعتقاد الشيء على ما هو به، وحقيقة الجهل: اعتقاد الشيء على خلاف ما هو به، أمّا حقيقة الفهم فهو: اتفاق الشيء على الوجه الذي هو به عن نظر، وحقيقة الفقه: فالعبارة عن كل علم يتيقنه العالم به عن فكر، وأمّا حقيقة العقل[١]: فآلة في القلب جعلت لضبط العلوم واعتقادها، وأمّا حقيقة الشك: فهو الوقوف بين صفتي الشيء من غير ترجيح لإحداهما على الأخرى، وأمّا حقيقة الظن: فهو تغليب إحدى الصفتين على الأخرى، وأمّا حقيقة التقليد: فقبـول قول القائل ممن لا يؤمن عليه الخطأ، من غير دلالة ولا حجة، وأمّا حقيقة البرهان: فهو ما أثبت المعنى في النفس، وأمّا حقيقة الحجة: فهو ما يقطع به المناظر حقيقة الشيء المنظور فيه، وأمّا حقيقة الشبهة: فهو ما يتخيّل للناظر أن ما نظر فيه دليل، وهو بخلاف ذلك. وأمّا حقيقة الاستحسان: فهو شهوة النفس، والميل بالهوى إلى القول. وأمّا حقيقة المعقول: فهو ما سبق إلى الفهم من حكم الخطاب. وأمّا حقيقة النظر: فهو استعمال الفكر، في قوة الدلالة، والقياس مثله. وأمّا حقيقة الجدل[٢]: فتردّد الكلام بين المتناظرين. وأمّا حقيقة الاجتهاد: فهو الحمل على النفس ما يشق عليها.

---

(١) العقل في اللغة: هو الحجى والنهى، وقد سمى بذلك تشبيهاً بعقل الناقة لأنه يمنع صاحبه من العدول عن سواء السبيل كما يمنع العقال الناقة عن الشرود.
والجمهور يطلق العقل على ثلاثة أوجه. الأول: يرجع إلى وقار الإنسان وهيئته، ويكون حده أنه هيئة محمودة للإنسان، والثاني: يراد به ما يكتسبه الإنسان بالتجارب من الأحكام الكلية، فيكون حده أنه معان مجتمعة في الذهن تكون مقدمات تستنبط بها الأغراض والمصالح.
والثالث: «يراد به صحة الفطرة الأولى في الإنسان فيكون حده أنه قوة تدرك صفات الأشياء من حسنها وقبحها». راجع معيار العلم للغزالي ص ١٦٢ ورسالة في حدود الأشياء ورسومها للكندي، وتعريفات الجرجاني.

(٢) الجدل: هو في اصطلاح المنطقيين قياس مؤلف من مقدمات مشهورة أو مسلمة، والغرض منه إلزام الخصم وإفحام مَن هو قاصر عن إدراك مقدمات البرهان. =

باب القول في القدر وفي إثباته، والرد على مَن قال بغير الحق في ذلك:

إختلف الناس في القدر، وفي إثباته على أصل قولين: فقالت المعتزلة[1]: إنّ الله لم يخلق حركات المكتسبين، ولا سكونهم ولا شيئاً من أفعالهم، وزعموا أن ذلك كله فعل العباد، انفردوا بإحداثه، وتوحدوا بتقديره، فليس شيء من ذلك لله بخلق، ولا له فيه تدبير، ولا يجري له عليه ملك ولا سلطان، وأن جميع ذلك عندهم مضاف إلى العباد، قد أمروا بما كان منه من طاعة، ونهوا عمّا كان منه من معصية، وثبت حمد الله لهم على طاعتهم إيّاه وذم الله لهم على معصيتهم له، قالوا: فلا يثبت ذم لمذموم على ما تولى خلقه غيره، وكذلك لا يثبت حمد لمحمود على ما تولى تقديره من سواه، قالوا: لهذه العلة: إن أعمال العباد كلّها ليست لله بخلق ولا له فيها ملك، ولا يجري له عليها سلطان، ثمّ

= والجدل في الأصل فن الحوار والمناقشة قال أفلاطون: الجدلي: هو الذي يحسن السؤال والجواب، والغرض منه الارتقاء من تصوّر إلى تصوّر.

وقال صاحب المفردات: الجدل المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة وأصله من جدلت الحبل أي أحكمت فتله ومنه الجديل، والأجدل الصقر المحكم البنية والمجدل القصر المحكم البناء، ومنه الجدال، وقيل الأصل في الجدال الصراع وإسقاط الإنسان صاحبه على الجدالة وهي الأرض الصلبة قال تعالى: ﴿وجادلهم بالتي هي أحسن﴾ سورة النحل آية ١٢٥ وقال تعالى: ﴿وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً﴾. سورة الكهف آية ٥٤ راجع المفردات ٨٩، ٩٠ وتعريفات الجرجاني، وكرايتل ص ٣٩٠.

(١) المعتزلة: للباحثين والمؤرخين آراء كثيرة مختلفة حول تسمية المعتزلة بهذا الاسم:

فالبعض يرى أنها للقول بالمنزلة بين المنزلتين أي باعتزال صاحب الكبيرة عن المؤمنين والكافرين جميعاً.

والبعض يرى أنها لاعتزال أقوال المحدثة والمبتدعة. والبعض يرى أنها لمجانبة تقصير المرجئة وغلو الخوارج في مسألة مرتكب الكبيرة، والبعض يرى أنها لاعتزالهم قول الأمة بأسرها في قولهم بالمنزلتين. والسبب المشهور اعتزال واصل بن عطاء للحسن البصري بعد أن أقصاه عن مجلسه لقوله بالمنزلة بين المنزلتين. راجع المعتزلة لزهدي جار الله. وضحى الإسلام ٩٦:٣ ومروج الذهب للمسعودي ٢٠:٦ ٢٣٤:٧ والبغدادي في الفرق بين الفرق ١١٤ ـ ١١٥، والتبصير: ٤٠ والملل والنحل للشهرستاني ٤٦:١ ودراسات في الأصول الأباضية بكير بن سعيد أعوشت ١٤٣ والتراث اليوناني في الحضارة الإسلامية ١٧٣ ـ ٢١٧.

افترقوا بعد ذلك فيما بينهم في سائر أفعال العباد من تدافع الرياح، وحركات الأشجار، واضطراب المياه، وجريها، وسكون الجبال وغير الجبال من الأشياء الجامدات وكل حركة ظهرت من خلق الله، وسكون مما غاب عن العيان، أو شوهد به فيما لا ذمّ فيه، ولا حمد، على ثلاث طوائف: فقالت طائفة منهم: إن ذلك كلّه فعل الطبائع التي ظهرت منها تلك الأشياء، ليست لله بخلق، ولا هي له في ملك، ولا هي أفعال الخلق، وهي أفعال الطبائع لا باكتساب، قالوا بافترائهم: لأنها لو كانت فعلاً لله لجاز أن يوصف بتركها، والقدرة على ألاّ يفعلها، وذلك غير معقول ولا موهوم، وكذلك قالوا: لو زعمنا أن ذلك فعل الخلق الذي ظهر ذلك عنه على معنى الكسب، لوصفناهم بالقدرة على تركه، ولتوهمنا كيفية تركهم له، فيكون من وصف بالتحرك والسكون خارجاً منها وذلك غير معقول. وقالت طائفة منهم في جميع ما يحدث في العالم من حركات الاضطرار، وسكون الاضطرار، من الذي وصفنا في مقالة إخوانهم على ما وصفناه، أن ذلك كله أفعال وأحداث ليس لها فاعل ولا محدث، فجوز هؤلاء أن يقال: فعل لا فاعل له، وحدث لا محدث له، واعتلوا في نفيهم خلق الله عنها، ونفي اكتساب الخلق فيها، بمثل علة إخوانهم المتقدمين، وأبوا أن يقولوا: بمثل مقالتهم، أنها فعل الطبائع، وقالوا: إن الطبائع لا توصف بالقدرة على هذه الأفعال، ولا على تركها، والفاعل لا يكون موصوفاً بالفعل إلاّ وهو موصوف بالقدرة على ذلك الفعل وعلى تركه. وقالت الطائفة الثالثة منهم: بأن ما عدا أفعال المكتسبين من حركاتهم وسكونهم من جميع الأشياء الظاهرة من الخلق، أن ذلك كلّه فعل الله وخلقه، إذ ليس لأحد من الخلق فيه اختيار، ولا قصد ولا روية، قالوا: وإنما نفينا عن الله خلق أفعال[1] العباد، لما وجدنا فيها من اكتساب الفاعلين، وقصدهم إلى ما فعلوا، ووجوب الذم عليهم والمدح لهم فيما

---

(١) يراجع كتاب «خلق أفعال العباد» للإمام محمد بن إسماعيل البخاري بتحقيقنا. وما كتبه الشيخ السالمي في كتابه مشارق أنوار العقول ١:٢١٥ وكتاب الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم ٥:١٤٩،١٥١ بتحقيقنا، ودراسات إسلامية في الأصول الأباضية.

أتوا، وكل فعل ظهر عن الخلق مما ليس فيه لَمن ظهر منه قصد، ولا روية، ولا يجب عليه فيه ذم ولا وجب له فيه حمد، علمنا أنه خلق الله، إذ ليس فيه لغيره صنع، ولا تدبير، وللقدرية علل غير هذه ومسائل يشبهون بها على ضعفة أصحاب المخلوق، ويعللون بها ضعفة أصحابهم، من أهل مذهبهم في القدر، يكثرونها في السؤال بتقليبهم الألفاظ المختلفات على معنى واحد من معاني السؤال، عملوها من نفس مقالتهم ليوهموا سامعيهم أنها دلائل على صحة مذهبهم، وهي ليست بدلائل وإنما هي علل معلولة من نفس المقالة، سوف نأتي على ذكر المقالة وكشف عوارها بعد الأخبار بمقالة أهل الحق، واستحرار مسائلهم على القدرية في نقض ما ذهبوا إليه من باطلهم، إن شاء الله ولا قوة إلاّ بالله.

خلق الأفعال:

قال: جميع الفرق من أهل القبلة: الخوارج[١]، والأباضية[٢]، والشيعة[٣]،

---

(١) يرى صاحب كتاب دراسات إسلامية في الأصول الأباضية: أنَّ الخوارج هم الازارقة، والنجدية والصفرية فيرون أنَّ مرتكب الكبيرة كافر كفر شرك ويقول البغدادي: إنَّ الذي يجمع الخوارج على افتراق مذاهبها إكفار علي وعثمان والحكمين، وأصحاب الجمل، وكل من رضي بتحكيم الحكمين والإكفار بارتكاب الذنوب ووجوب الخروج على الامام الجائر. راجع دراسات إسلامية في الأصول الأباضية ص ٢٩ والفرق بين الفرق للبغدادي ٧٣ ومقالات الإسلاميين ١: ١٥٦ والفصل في الملل والإهواء والنحل ٥: ٥١ ط دار عكاظ.

(٢) الأباضية: نسبة إلى عبدالله بن أباض وهو تابعي عاصر معاوية وتوفي في أواخر أيام عبد الملك بن مروان، وهذا المذهب يعد من أقدم المذاهب الإسلامية على الإطلاق مصادره الكتاب، والسنة، والإجماع والقياس، أما في الحديث الشريف فيعتمد على الجامع الصحيح للإمام الربيع بن حبيب المتوفى سنة ٣٧٠ هـ والأباضية حالياً يوجدون في الجزائر وتونس وليبيا. وعمان، وزنجبار. راجع دراسات إسلامية في الأصول الأباضية: ١٣٦.

(٣) الشيعة: المدلول اللغوي: الأنصار والأتباع، وأما المدلول السياسي فيقصد به الحزب المناصر لآل البيت، وكل إمام لا ينسب إلى هذه البيت تعد سلطته غير شرعية.

وفرق الشيعة الآن: هي الزيدية، الإمامية، العلويون، الإسماعيلية راجع دراسات إسلامية في الأصول الأباضية، والفكر الشيعي والنزعات الصوفية ص ٢٠، وفجر الإسلام لأحمد أمين ص ٢٦٦ وتاريخ المذاهب الإسلامية لمحمد أبي زهرة ١: ٣٢، ٣٣.

والمرجئة[1]: إنَّ العالم وما فيه من جوهر وعرض، وخير وشر، وطاعة ومعصية ما يرى من ذلك وما لا يرى، مما كان منه وما سيكون، وما يتوهم كونه، إن لو كان كيف كان يكون، فهو خلق اللّه، وتدبير لـه، واللّه المقدر لجميـع ذلك والمدبر له، وهو الصانع له، والمالك، وليس شيء منه بخارج من تدبير اللّه، وتقديره، وملكه، وسلطانه، وإرادته، وعلمه، ما يضاف إلى العباد من ذلك، وما لا يضاف إليهم، وليس في أنَّه مضاف إلى العباد بأنَّهم قد اكتسبوه، واختاروه، وتحركوا به، وسكنوا، وأطاعوا به وعصوا، ما يزيل تدبير اللّه عنه، ولا مـا يخرجه من خلقه، وتقديره، وقدرته، وسلطانه، وعلمه، كما أنَّه ليس تدبير اللّه لذلك، وخلقه له، وجعله على ما هو به من كيفيته في عينه، بالذي يزيل عنه أن يكون كسباً للعباد، واختياراً لهم، وهذا الذي ذكرناه من هذا القول، هو ما عليه جمهور الأمة، وصدر الإسلام. ونحن سائلو القدرية[2] ولا حول ولا قوة إلاَّ باللّه، فنقول لهم: حدثونا عن هذه الأفعال التي زعمتم أنَّها غير مخلوقة للّه، هل تخلو من أن تكون حركة أو سكوناً؟ قالوا: لا تخلو من ذلك، قلنا: أمحدثة هي أم غير محدثة؟ فإن قالوا: غير محدثة أبطلوا، وإن قالوا: محدثة، قلنا: من

(١) المرجئة ثلاثة أصناف: صنف منهم قالوا بالإرجاء في الإيمان وبالقدر على مذاهب القدرية فهم معدودون في القدرية والمرجئة، كابي شمر المرجئ ومحمد بن شبيب البصري والخالدي.
وصنف منهم قالوا بالإرجاء في الإيمان، ومالوا إلى قول جهم في الأعمال والأكساب فهم من جملة الجهمية والمرجئة.
ثمّ البخارية وهي مجموعة من الفرق. راجع الفرق بين الفرق ٢٥: ٢٦ ودراسات إسلامية ص ١٤٢ ومقالات الإسلاميين ١: ١٩٨ والملل والنحل ١: ١٢٦ والتفكير الفلسفي في الإسلام ١٩٧.

(٢) يطلق اسم القدرية على القائلين بقدرة العبد على خلق أفعاله ومن هنا كانت تسميتهم بهذا الاسم، وقيل، لأنَّهم في رأيهم ذلك منكرون للقدر، وقيل: لأنَّهم اتخذوا من القدر موضوعاً لبحثهم ودراستهم ويذكر الملطي عدة أصناف للقدرية فصنف منهم يزعمون أنَّ الحسنات والخير من اللّه والشر والسيئات من أنفسهم، وصنف يقال لهم المفوضة: زعموا أنَّهم موكلون إلى أنفسهم أنَّهم يقدرون على الخير كله بالتفويض، وصنف انكروا أنَّ اللّه عزّ وجلّ خلق ولد الزنا أو قدره أو شاءه أو علمه. راجع الأبانة عن أصول الديانة ٧٣: ٧٤ والتنبه والرد للمالطي ص ١٦٥، ١٨٦ وتاريخ الفرق الإسلامية للدكتور مصطفى الغرابي ص ٢١.

أحدثها؟ فإن زعموا أنَّ العباد أحدثوها، قلنا: فالعباد هم الذين أحدثوا هذه الأفعال: من الحركات والسكون، وجعلوها محدثة غير قديمة، فإذا قالوا: نعم، قلنا: فهل تدل بحدوثها على حدوث من حلت به ووصف بها؟ فإن قالوا: لا، أبطلوا، وصاروا إلى مذهب المبطلين من أهل الدهر[1]، فكان الرد عليهم جميعاً واحداً، فإن رجعوا وقالوا: إنَّها تدل بحدوثها على حدوث من حلت به، ووصف بها، قلنا: من جعلها دالة على حدوث الموصوف بها؟ فإن زعموا أنَّ العباد تولوا ذلك منها، قلنا: فالعباد إذن محمودون على أن جعلوا أفعالهم تدل على حدوث الأجسام وأبطال قدمها، فإن هم أجابوا إلى ذلك، قلنا: أفيجب على ذلك للعباد الحمد، وحسن الثناء؟ فإذا قالوا: نعم، قلنا: فينبغي أن يكون العاصون محمودين على معاصيهم، التي هي حركاتهم وسكونهم حيث جعلوها دلالة على حدوث أجسامهم، فإذا قالوا: نعم، أبطلوا عن العاصين الذمَّ، وأدخلوهم في باب الحمد والثناء، فإن قالوا: لا يجب الحمد للعاصين، وليسوا هم الذين جعلوا أفعالهم دالة على حدوث أجسامهم فيحمدون على ذلك، قلنا: من جعلها إذن تدل على حدوث من قامت به، ووصف بها؟ فلا يجدون إلاَّ أن يقولوا إنَّ اللّه جعل هذه الأفعال من حركات العباد، وسكونهم، واجتماعهم، وافتراقهم دالة على حدوث أجسامهم، وجعل ذلك دلالة على وحدانيته جلّ

---

(١) الدهرية: الدهر في الأصل اسم لمدة من العالم من مبدأ وجوده إلى انقضائه وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر﴾ سورة الانسان آية ١ ثمّ يعبر عنه عن كل مدة كثيرة، وهو خلاف الزمان.

والدهرية: نسبة إلى الذين جحدوا باللّه وزعموا أنَّ العالم وجد بدون اللّه عزّ وجلّ، تعالى اللّه عن ذلك وقالوا: ﴿ما هي إلاَّ حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلى الدهر.﴾ الجاثية آية ٢٤.

وقد أحسن أبو علي الثقفي عندما قال:

يا عابث الدهر إذا نابه ... لا تلم الدهر على غدره
الدهر مأمور له آمر ... وينتهي الدهر إلى أمره
كم كافر أمواله جمة ... تزداد أضعافاً على كفره
ومؤمن ليس له درهم ... يزداد إيماناً على فقره

ثناؤه وربوبيته[1]، كما جعل سائر الأفعال من الأشياء كذلك، إذ كانت الأشياء متساوية في وجه الدلالة على الله جلّ جلاله. ويقال لهم: أخبرونا عن هذه الأفعال هل تدل بعجزها عن أن تقوم بنفسها وبحاجتها إلى أن تقوم بغيرها، على أنّها محدثة كائنة بعد أن لم تكن؟ فإن قالوا: نعم، قلنا: من جعلها عاجزة عن القيام بنفسها، محتاجة إلى أن تقوم بغيرها، وجعل ذلك دلالة على حدوثها؟ فإن زعموا أنَّ العباد جعلوا ذلك كذلك، كان الإدخال عليهم في هذه المسألة كهو عليهم في المسألة الأولى. ويقال لهم: من جعل الأفعال ملازمة للفناء وأعجزها عن البقاء أو من جعل ذلك منها يدل على حدوثها وعجزها وحاجتها؟ فإن زعموا أنَّ العباد جعلوا ذلك كذلك، كانت المسألة عليهم في هذا كهي عليهم فيما مضى من المسائل، إلاَّ أن يرجعوا إلى أنَّ الله هو الذي جعل الأفعال عاجزة محتاجة ملازمة للفناء، مستحيلاً عنها البقاء وجعلها محدثة غير قديمة، كائنة بعد أن لم تكن، وجعلها دالة على حدوث الأجسام، وعلى قدم محدث جميع ذلك، وثبوت ربوبيته، ووحدانيته، وهكذا يجد عليهم السؤال في جميع ما تسألهم عنه في هذا الباب، واحذرهم أن يزلوا بك من وجه إلى وجه، وأن يخرجوا بك من مسألة إلى مسألة، حتى يتضح لك الحق ببرهانه، ويضمحل الباطل لفساده وإنما عمدت إلى هذا النوع من المسائل في باب التوحيد مع كثرة ما يدخل على القدرية من المسائل ويلزمهم من الدلائل ليتبين للناظر أنَّه أصل في هذا المعنى من أصول التوحيد الذي لا يتم إلاَّ به، ولا يقوم إلاَّ عليه.

ثمّ يقال لهم أيضاً: أخبرونا عمن جعل الأفعال غير مدركة بالحواس،

(١) توحيد الربوبية: الإقرار بأنّه خالق كل شيء، وأنّه ليس للعالم صانعان متكافئان في الصفات والأفعال، وهذا التوحيد حق لا ريب فيه وهو الغاية عند كثير من أهل النظر. وهذا التوحيد لم يذهب إلى نقيضه طائفة معروفة من بني آدم بل القلوب مفطورة على الإقرار به أعظم من كونها مفطورة على الإقرار بغيره من الموجودات كما قالت الرسل فيما حكى الله عنهم ﴿قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السموات والأرض﴾ سورة إبراهيم آية رقم ١٠. راجع العقيدة الطحاوية ١: ٩ وفتاوى ابن تيمية ط الرياض.

ولا مشاهدة بالعيان؟ أهو الذي جعل الحواس غير مدركة للأفعال، والعيان غير مشاهد لها؟ فإن قالوا: إنَّ الجاعل لذلك كله واحد، قلنا: ما هو؟ فإن قالوا: الإنسان تولى فعل ذلك كله من الحواس[١]، ومن الأفعال، بان باطلهم، وإن قالوا: إنَّ الذي جعل الحواس غير مدركة للأفعال، والعيان غير مشاهد لها غير الذي جعل الأفعال غير مدركة بالحواس، ولا مشاهدة بالعيان، نـاقضوا، إذ ليس في جعل الحواس غير مدركة للأفعال، أكثر من أنَّ الأفعـال لا تدرك بالحواس، وكل هذا معنى واحد، ولن يجدوا إلى التفرقة بينه سبيلاً، ويقال لهم: أخبرونا عن الفعل من جعله لا يخلو من أن يكون حركة أو سكوناً؟ أو من جعل الحركة والسكون غير المتحرك والسـاكن؟ أو من جعل الحـركة غـير السكون، والسكون غير الحركة؟ أو من خالف بين الحركة والسكون، فجعل الحركة تقطع بها الأماكن الكثيرة ويجاوز بها المفاوز البعيدة، وجعل السكون ملازماً للمكان؟ أو من جعل الحركة متعبة مؤلمة مؤذية، وجعل السكون مريحاً للمكان من التعب؟ فإن زعموا أنَّ العباد تولوا فعل ذلك كله، وجعلوه على ما وصفنا، قيل لهم: فكيف ونحن قد وجدنا الفاعلين لا يتأتى لهم ان يقصدوا إلى فعل شيء من جميع ما ذكرنا، ولا تخطر معرفته على بالهم، بل قد علمنا أنَّ منهم من لا يوصف بالمعرفة لشيء منه، وذلك أنَّ من الفاعلين بهائم، لا يتأتى لهم، وليس في معارفهم أكثر من أن يخرجوا من مكان إلى مكان، أو يقيموا في مكان دون مكان، بل قد وجدنا كثيراً من غير البهائم بتلك الحال، بل قد وجدنا كثيراً ممن ينتحل العلم، وهو لا يعرف أنَّ الحركة[٢] غير المتحرك، ولا

---

(١) الحواس: المشاعر الخمس يقال: حَسَسْتُ وحَسَسْتُ وحَسِسْت فحسست على وجهين أحدهما: أصبته بحس نحو عِنته والثاني: أصبت حاسته نحو كبدته، ولما كان ذلك قد يتولد منه القتل عبر به عن القتل فقيل حَسَسْته أي قتلته كقوله تعالى: ﴿إذ تحسونهم بـإذنه.﴾ سـورة آل عمران آيـة ١٥٢ والحسيس: القتيل. راجع بصائر ذوي التمييز ٢: ١٥٣.

(٢) الحركة: ضد السكون ولها عند القدماء عدة تعريفات، وهي أولاً: الخروج من القوة إلى الفعل على سبيل التدريج، ثانياً: شغل الشيء حيزاً بعد أن كان في حيز آخر أو هي كونان في آنين ومكانين بخلاف السكون الذي هو كونان في آنين ومكان واحد.

الحركة كمال أول لما بالقوة من جهة ما هو بالقوة. راجع ابن سينا في النجاة ص ١٦٩. =

أنَّ السكون غير الساكن، ولا أنَّ الحركة غير السكون، ولا أنَّ السكون غير الحركة، لكثرة أقاويل المختلفين في ذلك، وليس هذا موضع ذكره، فلما أن وجدنا الفاعلين ليس من قصدهم، ولا من معرفتهم، أن تكون حركتهم غيرهم ولا سكونهم غيرهم ولا حركتهم غير سكونهم ولا سكونهم غير حركتهم، وليس من قصدهم ولا مما يتأتى لهم أن يجعلوا حركتهم متعبة مؤلمة مؤذية، ولا أن يجعلوها ناقلة لهم في الأماكن الكثيرة، قاطعة بهم مفاوز ومسافات في البر والبحر، ولا أن يجعلوا سكونهم بخلاف ذلك، علمنا أنَّ الذي تولى تدبير ذلك من الأفعال على ما هي به من الذي وصفنا غير المتحرك والساكن، مع ما في ذلك من سقوط الذم، واللائمة، وأبطال الحمد، وحسن الثناء لهم، وما فيه من كراهتهم لذلك إذا هو أتى على غير قصدهم، ويقال لهم: أخبرونا عمن جعل الأكل مخالفاً للشرب، والشرب مخالفاً للأكل، والصوم مخالفاً للإفطار، وجعل كثرة الأكل متخماً، والشرب مروياً، وجعل الصوم مجيعاً، معطشاً، والإفطار بخلاف ذلك؟ فإن زعموا أنَّ العباد جعلوا ذلك على ما وصفنا، لزمهم في هذه ما ألزمناهم في الأولى، فإنَّ عارض في هذا منهم معارض، فقال: فإذا زعمتم أنَّ الله تولى جعل هذه الأفعال على ما وصفتم من ذلك، وكونها على ما قلتم، فهل تصفونه بالقدرة على أن يجعلها بخلاف ذلك، فينقلها من هيئتها التي هي عليها، فيجعل الأفعال مدركة بالحواس، مشاهدة بالعيان، ويجعل الحركة منها سكوناً، والسكون حركة، ويجعل السكون متعباً مؤلماً، والحركة مريحة من التعب، ويجعل الأكل مروياً، ويجعل الشراب متخماً؟ فإن كنتم تصفونه بالقدرة على تحويل هذه الأشياء عن هيئاتها، ثبت لكم ما أضفتموه إليه من ذلك، وإلاَّ كيف تضيفون إليه فعل شيء من الأشياء وأنتم لا تصفونه بالقدرة على تركه، ولا على جعله بخلاف ما هو به؟ وهذه

=ويرى أبو الهذيل العلاف من المعتزلة: أنَّ الأجسام قد تتحرك في الحقيقة وتسكن في الحقيقة والحركة والسكون هما غير الكون والجسم في حال خلق الله له لا ساكن ولا متحرك (مقالات الإسلاميين ٢:١٩).

المعارضة من أقوى معارضات القدرية، عند أنفسهم، فيقال لهم: أليس قد جاز أن يقال إنَّ هذه الأفعال في أنفسها على ما هي به واستحال أن تكون على غير ما هي به، ولم تكن استحالة كونها على غير ما هي به مبطلاً، أن تكون كائنة على ما هي به، فلم لا كان هذا مجوزاً أن يقال إنَّها مجعولة على ما هي به، وإن استحال أن يكون الجاعل الذي جعلها على ما هي به؟ ثمّ يقال لهم بعد ذلك: أخبرونا عن حركات الاضطرار من جرية المياه واضطرابها، وحركات الأفلاك[1] وجري الشمس، والقمر، والنجوم، وعن سكون الجبال والأجسام والجامدات، من جعل ذلك كله على ما هو به في عينه، من اتفاق ما اتفق منه، واختلاف ما اختلف، فإن أضافوا ذلك إلى غير اللّه، أبطلوا وإن قالوا: إنَّ اللّه هو الجاعل لذلك على ما هو به في عينه من حركته وسكونه، واتفاقه واختلافه. قيل لهم: فهل تصفونه بالقدرة على تغيير شيء من ذلك عن هيئته وتحويله عن كيفيته التي هو بها حتى يكون يجعل ما لا يدرك منه بالحواس، مدركاً وما لا يشاهد بالعيان مشاهداً، أو يجعل الحركة منه متحركاً، والسكون ساكناً، أو يجعل الحركة سكوناً، والسكون حركة، في غير ذلك من المعاني؟ فإن قالوا: إنَّ اللّه لا يوصف بالقدرة على شيء مما ذكرتم، لأنَّه من المحال الذي لا يتوهم كونه، ولا يثبت وجوده، فيوصف بالقدرة على تكوينه، قلنا: لن نعدو هذا الجواب فيما سألتمونا عنه في الأفعال من قولكم، هل تصفون اللّه بالقدرة على أن يجعل الأفعال بخلاف هيئاتها، وينقلها عن معانيها؟ فنقول لكم: إنَّ ذلك من المحال الذي لا يتوهم كونه، ولا يستقيم وجوده، وليس في أن لم نصف اللّه بالقدرة

---

(١) ذهب بعض الحكماء كأرسطو وأتباعه، والجبائي من المعتزلة إلى أنَّ بين كل حركتين مستقيمتين كصاعدة وهابطة سكوناً فالحجز إذا صعد قسراً ثمّ رجع فلا بدّ أن يكون فيما بينهما فإنَّ كل حركة مستقيمة لا بدّ أن تنتهي إلى سكون لأنَّها لا تذهب على الاستقامة إلى غير النهاية، ومنعه غيرهم كأفلاطون وأكثر المتكلمين من المعتزلة.

وحركات الأفلاك وما في أجرامها لها أسماء: الحركة البسيطة وتسمى متشابهة وبالحركة حول المركز أيضاً وبالحركة حول النقطة أيضاً وهي حركة تحدث بها عند مركز الفلك في أزمنة متساوية. راجع شرح المواقف ٢ ـ ١٤٧، ١٨١ وكشاف اصطلاحات الفنون ٢: ٩٩، ١٠٠.

على قلب أعيان الأشياء عن هيئاتها، ما يزيل عنه أن يكون هو الجاعل لها في أعيانها، والمدبر لها على ما هي به كما نقول: إنَّ اللّه جلّ جلاله هو الجاعل للأجسام في أعيانها على ما هي به متجزية مسدسة، محتملة البقاء قابلة للأعراض[١]، وجعل الأعراض بخلاف ذلك، ونحن مع هذا كله لا نصفه بالقدرة على تحويل الأجسام عن هيئاتها، إلى صفة الأعراض، ولا بالقدرة على تبديل الأعراض عن معناها، إلى معنى الأجسام، بل هو الجاعل لذلك على ما هو به في عينه، والجاعل لجميعه محدثاً كائناً بعد أن لم يكن، ونحن مع ذلك لا نصفه بالقدرة على أن يجعل شيئاً منه غير محدث، وهذا الجواب مبطل لمعارضتهم، وهو مع ذلك داخل على من قال منهم بالطبائع[٢] وعلى من قال

(١) العرض: ضد الجوهر، لأنَّ الجوهر هو ما يقوم بذاته، ولا يفتقر إلى غيره ليقوم به، على حين أنَّ العرض هو الذي يفتقر إلى غيره ليقوم به. فالجسم يقوم بذاته، أما اللون فهو عرض لأنَّه لا قيام له إلاَّ بالجسم. والعرض ضد الماهية وهو ما لا يدخل في تقويم طبيعة الشيء أو تقويم ذاته كالقيام والقعود للإنسان فهما لا يدخلان في تقويم ماهيته. والفلاسفة يقسمون العرض إلى لازم ومفارق. فالعرض اللازم: هو ما يمتنع انفكاكه عن الماهية، والعرض المفارق هو ما لا يمتنع انفكاكه عن الشيء، وهو إما سريع الزوال كحمرة الخجل وصفرة الوجل، وإما بطيء الزوال كالشيب والشباب. راجع تعريفات الجرجاني والنجاة لابن سينا ٣٢٥ ومعيار العلم ـ ص ١٩٤.

(٢) ذهبت الأشعرية إلى إنكار الطبائع جملة، وقالوا ليس في النار حر ولا في الثلج برد، ولا في العالم طبيعة أصلاً، وقالوا: إنما حدث حر النار جملة وبرد الثلج عند الملامسة. ولكنَّ اللّه تعالى يخلق منه ما يشاء وقد كان ممكناً أن يحدث من مني الرجل جملاً ومن مني الحمار إنساناً. ويرد عليهم ابن حزم قائلاً إنَّ اللغة التي نزل بها القرآن تبطل قولكم لأنَّ من لغة العرب القديمة ذكر الطبيعة والخليقة والسليقة والنخيرة والغريزة والسجية والشيمة والجبلة ولا شكّ أنَّ النبيّ ـ صلّى اللّه عليه وسلّم ـ سمع هذه الألفاظ ولم ينكرها، ولا أنكرها أحد من الصحابة رضي اللّه عنهم.

قال امرؤ القيس:

وإن كنت قد ساءتك مني خليقة ... فسُلي ثيابي من ثيابك تنسُلِ

وقال حميد بن ثور الهلالي:

لكل امرئ يا أم عمرو طبيعة ... وتفرق ما بين الرجال الطبائع

وقال النابغة:

لهم شيمة لم يعطها اللّه غيرهم ... من الجود والأحلام غير عوازب

وغير ذلك كثير. راجع كتاب الفصل لابن حزم بتحقيقنا ٥: ١١٥، ١١٦، ١١٧.

بغير الطبائع، ممن يزعم أنَّ الأفعال في كيفيتها جعل لغير جاعل، وفعل لغير فاعل، وحدث لغير محدث وناقض لعللهم التي ذكرناها عنهم في وصف مقالتهم أول الباب.

باب معارضة القدرية بـ: لو جاز:

ومما عارضت به القدرية في هذا الباب أن قالوا: وجدنا هذا الفعل جزءاً واحداً لا يحتمل التجزئة ولا التغاير، ولا يجوز أن يكون من فاعلين، لاستحالة الفعل الواحد أن يكون يفعله فاعلان، لأنَّه لو جاز أن يكون فعل واحد من فاعلين، لجاز أن تكون حركة واحدة من متحركين، وسكون واحد من ساكنين. وقالوا: لو جاز أن يكون فعل واحد من فاعلين لجاز أن يكون مكان واحد لمتمكنين وقالوا: لو جاز أن يكون فعل واحد من فاعلين، لجاز أن يكون قول واحد من قائلين، وقالوا في وجه آخر: وجدنا أفعال الخلق فيها القبيح من: الجور والخطأ، والكذب والزور والافتراء، قالوا: فلو جاز أن يفعل الجور والخطأ، والزور والافتراء والكذب من لا يوصف بذلك لجاز أن يوصف بالجور والخطأ والزور والكذب والافتراء، من لم يفعل الجور والخطأ والزور والكذب والافتراء، وقالوا في وجه آخر: لو جاز أن يكون فعل العبد خلقاً للّه، لجاز أن يقال: إنَّ العبد فعل خلق اللّه، فلما لم يجز أن يقال إنَّ العبد فعل خلق اللّه، بطل أن يكون فعل العبد خلق اللّه. وقالوا: لو جاز أن يكون اللّه مريداً لأفعال العباد، وجب أن يكون مريداً للكفر والمعصية، والزور والافتراء

(١) القدرية: نسبة إلى القدر، بفتح الدال وسكونها، قال النووي في شرح مسلم ـ يقال القدَر والقدْر بفتح الدال وسكونها لغتان مشهورتان وحكاهما ابن قتيبة عن الكسائي وغيره ويقرر شارح الطحاوية: إنَّ الصحيح في أحاديث ذم القدرية أنَّها موقوفة، ولقد أدرك ابن تيمية هذه المسألة غاية الإدراك وتفطن إليها حيث ذكر أنَّ الأحاديث المروية في ذم القدرية والمرجئة كالتي رواها ابن ماجة، وابن أبي داود في السنن طعن فيها العلماء وضعفوها وبعض الناس يميل إلى تقويتها وإثباتها وذكر أنَّ الثابت في ذم القدرية وأمثالهم إنما هو عن الصحابة كابن عمر وابن عباس ـ رضي اللّه عنهما. «راجع ابن تيمية، مجموع الرسائل الكبرى القاهرة، ١٣٨٥ ـ ١٩٦٦ جـ١ ص ٢٦ شرح الطحاوية بتحقيقنا.

فهذا مما لا يوصف الله عزّ وجلّ بأنّه أراده. وقالوا: لو جاز أن يقدرنا الله على أفعالنا، وهي خلق له، لجاز أن يقدرنا الله على أسماعنا، وأبصارنا، وسائر ذلك من الخلق، وهو خلقه فلما لم يجز أن يكون الله يقدرنا على أسماعنا وأبصارنا؛ وغيرها من الخلق، لم يجز أن يكون الله يقدرنا على شيء مما خلق.

جواب أصحاب المخلوق للقدرية في: لو جاز:

قال أصحاب المخلوق: أما قول القدرية لو جاز أن يكون فعل واحد من فاعلين، لجاز أن تكون حركة واحدة من متحركين، وسكون واحد من ساكنين فإنه حكم بغير حجة، وتمثيل[1] بغير علة، وإنما اغتروا منه باستواء اللفظ في الوزن لا غير، ذلك لأن المتحرك إنما سمّي متحركاً لحلول الحركة فيه، وكذلك الساكن سمي ساكناً لحلول السكون فيه، وإذا حلّت حركة في جسم أو سكون بطل واستحال أن يحلاّ بغيره من الأجسام، وفي إبطال حلول الحركة في جسمين، أو سكون في جسمين إبطال أن يوصف بحركة واحدة، أو سكون واحد جسمان، وكذلك سبيل القول في كل فاعلين يفعلان من جهة واحدة، ولا يجوز أن يقال في ذلك فعل من فاعلين، إذ كان الذي يحل في كل واحد منهما، غير الذي يحل في الآخر، وليس هذا سبيل الوصف منا لله بأنه خالق للفعل، والعبد فاعل للفعل إذ كان الله جلّ جلاله لا تحله أفعاله، بل إنما تحل في غيره من خلقه، فلمّا أن كانت العلة منه في إبطال حركة من متحركين، ما ذكرنا من أنه إنّما سمي المتحرك متحركاً لحلول الحركة فيه،

(١) يطلق التمثيل في اللغة الحديثة على قيام الشيء مقام الآخر يقال مثل قومه في دولة أو مؤتمر أو مجلس، ناب عنهم، وتمثل الشيء تصوّره.
وقياس التمثيل: هو الحكم على شيء معيّن لوجود ذلك الحكم في شيء آخر معيّن، أو أشياء أخرى معيّنة، على أن ذلك الحكم على المعنى المتشابه فيه. راجع النجاة لابن سينا ص ٩. وقد زعم (رابيه) أن قياس التمثيل يشتمل على استقرار متبوع باستنتاج. راجع الاستقرار والمنطق الحديث ومناهج البحث: د. محمود قاسم ص ٤٩ ـ ٥٥.

والحركة لا تحلّ في متحركين، فيوصفان بها، كان الوصف منّا الله بأنه خالق لفعل العباد غير مشبه للذي مثلوا، وكذلك القول في المتمكنين في مكان واحد، كالقول في متحركين بحركة واحدة، لأن المتمكن إنما سمي متمكناً لأنه شاغل للمكان، والمكان لا يشغله جسمان، فيسميان بأنهما متمكنان في مكان واحد، فلمّا أن كانت العلة في فساد متمكنين في مكان واحد، ما وصفنا، فسد التمثيل بذلك الفعل من فاعلين، ويقال لهم في هذا المعنى: أليس اللون يضاف إلى اثنين على وجهين مختلفين: أحدهما الخلق، والآخر الحلول، فيقال: هو خلق الله حلّ في جسد فلان، أو بياض فلان؟ فإذا قالوا: نعم، قيل لهم: فهل يجوز أن يضاف إلى اثنين على وجهين متفقين؟ فيقال خلق لهما أو بياض لهما أو حال فيهما؟ فإذا قالوا: لا، وذلك قولهم، فقد فرقوا بين إضافة الشيء إلى اثنين على وجهين مختلفين، وبين إضافته إليهما على وجهين متفقين، وبان لكم صحة ما نقول في هذا الباب.

ويقال لهم: ألستم، تقولون: إن الله بكل مكان[1]، والجسم في مكان؟ وأنتم لم تجدوا فاعلين في مكان واحد على جهة التمكن، ووجدتم على ذلك وجهين مختلفين أحدهما بالتدبير، والآخر بالحلول، وإنما جاز هذا فيهما لما ذكرنا من اختلاف وجودهما في المكان، فإذا جاز أن يكون في مكان واحد فاعلان على وجهين مختلفين أحدهما قديم، والآخر محدث، فلم لم يجز مثل ذلك في المحدثين؟ وإنما تتفق الأحكام إذا اتفقت العلل، وأمّا إذا اختلفت فلا.

وبعد فلِمَ جعلتم استحالة فعل واحد من فاعلين على جهة واحدة دليلاً على استحالة فعل واحد من فاعلين على جهتين مختلفتين؟ وأما قولهم: لو جاز

---

(١) المكان عند الحكماء: هو السطح الباطن من الجسم الحاوي المماس للسطح الظاهر من الجسم المحوي، وعند المتكلمين: هو الفراغ المتوهم الذي يشغله الجسم وينفذ فيه أبعاده.
والمكان عند المحدثين وسط مثالي غير متداخل الأجزاء حاو للأجسام المستقرة فيه محيط بكل امتداد متناه. راجع رسالة الحدود ٩٤ وتعريفات الجرجاني ٢٠٣.

أن يكون فعل واحد من فاعلين، لجاز أن يكون قول واحد من قائلين، فإنه مثل ما مضى في الفساد، والحكم بغير حجة، وذلك أن القائل سمي قائلاً لأحد معنيين: أمّا أن يكون مبتدئاً للقول، أو حاكياً له، فمَن ابتدأ القول سمّي قائلاً، واحداً كان أو أكثر، ومَن حكاه سمّي قائلاً حاكياً، واحداً كان أو أكثر أو يكونوا ذهبوا في قولهم قولاً من قائلين إلى ما يحل القائلين من القول الذي هو فعلهم، فقد أخبرنا بداء أن الأجسام لا تتعداها أفعالها، فتحل في غيرها، فيكون ذلك الغير موصوفاً بها وليس يوجد في هذه المسألة أكثر من هذا إن شاء الله.

وأمّا قولهم: لو جاز أن يفعل الجور والخطأ، والكذب، والافتراء مَن لم يكن جائراً ولا مخطئاً، ولا كاذباً ولا مفترياً، لجاز أن يكون جائراً أو ظالماً ومخطئاً وكاذباً، مَن لم يفعل الجور والخطأ والافتراء والكذب فإن هذا الاعتلال هو من مقالتهم نفسها، وذلك أنا لا نرسل الجواب إرسالاً، فنقول: إن الله فعل الجور والخطأ، وغير ذلك مما ذكروا، ولكنا نقول: إن الله خلق الجور والخطأ والكذب من الجائر المخطئ الكاذب، فجعله في عينه جوراً مخالفاً للعدل، وجعل الخطأ مخالفاً للحق، وجعل الكذب مخالفاً للصدق، ولا يجوز أن يفعل الجور من جهة ما يحكم بالجور إلاّ جائر، ولا أن يفعل الخطأ من جهة ما يختار فعله عن فعل الصواب إلاّ مخطئ ولا أن يفعل الكذب من جهة الإخبار به إلاّ كاذب، وأمّا مَن جعل الخبر كذباً لغيره، والجور والخطأ والعبث، جوراً وخطأ وعبثاً لغيره موصوفاً به، فلا يكون بذلك كاذباً، ولا جائراً، ولا مخطياً ولا عابثاً كما جعل حركة الاضطرار، وسكون الاضطرار للمتحركين الساكنين بهما، ولم يكن بذلك متحركاً ولا ساكناً، وكما جعل الولد لغيره ولداً، والصاحبة لغيره صاحبة، ولا يسمى بذلك، ولا يوصف به جلّ وعلا عن ذلك علواً كبيراً، فكان غيره بذلك متحركاً وساكناً ووالداً.

وأمّا قولهم: لو كان فعل العبد خلقاً لله لجاز أن يقال: إن العبد فعل

خلق الله[1]، فالجواب عن هذا أنه إنما يعبّر عن القول من جهة ما تحسن العبارة عنه، إنما يقال: خلق الله فعل العبد، إذ ليس من فعل العبد ما لم يخلق الله، ولا يقال فعل العبد خلق الله، لأن مَن خلق الله ما لم يفعل العبد، وإنما هذا من جهة الأعم، والأخص لا غير ذلك.

وأما قولهم: لو جاز أن يكون الله مريداً لأفعال العباد، لجاز أن يكون مريداً للكفر والمعصية، فتحكموا وقالوا: هذا مما لا يجوز أن يوصف الله أنه يريده، فالجواب عن ذلك: إن كان القائل يذهب بقوله: يريد الكفر، إلى أنه يحب الكفر، ويأمر به، ويرضاه، فهذا فاسد، وإن كان يذهب بقوله: يريد الكفر إلى أنه يريد الكفر أن يكون في عينه كفراً قبيحاً مذموماً معذباً عليه مخالفاً للإيمان، غير مأمور به، ولا مثاب عليه، فالجواب عن هذا بصلاته أنه جائز سائغ ولا يجاب به مرسلاً دون صلاته لإزالة سوء الظنون عن أوهام السامعين عند ورود الجواب على أوهامهم غير مفسر ولا موصول بصلاتـه التي يتبيّن الجواب بها ويصح.

وأمّا قولهم: لو جاز أن يقدرنا الله على أفعالنا وهي خلقه لجـاز أن يقدرنا على أسماعنا وأبصارنا، وسائر ذلك من الخلق، وهي خلقه، فالجواب عن هذا أن نقول: لم يقدرنا على أفعالنا أن نخلقها ولا أن نجعلها في أعيانها على ما هي به موافقة لما وافقت، ومخالفة لما خالفت من الأشياء، وإنما أقدرنا عليها لنتحرك بها، ونسكن، ونطيع، ونعصي، ونؤمن، ونكفر، وليس في أن أقدرنا على أفعالنا أن نتحرك بها، ونسكن، ونطيع بها ونعصي، إذ هي خلقه، ما يوجب أن يكون يقدرنا على أن نفعل أسماعنا وأبصارنا وغير ذلك من الخلق كما أنا جميعاً

---

(١) روى الكعبي عن الجاحظ: أن لا فعل لـلإنسان إلاّ الإرادة. فلو صـدق الكعبي فيما يقـوله عن الجاحظ: لزمه أن لا يكون الإنسان مصلياً ولا صائماً ولا حاجاً ولا زانياً ولا سارقاً ولا قاذفاً لأنه لم يفعل عنده صلاة ولا صوماً ولا حجاً ولا زنى ولا سرقة ولا قتلاً ولا قذفاً لأن هذه الأفعال عنده غير الإرادة. راجع الفرق بين الفرق ١٧٦.

نقول: إنه قد أقدرنا على أفعالنا، وهي معلومة له وهي غيره وليس في أن أقدرنا على أن نفعلها وهي معلومة له، وهي غيره ما يوجب أن يكون يقدرنا على جميع معلوماته وعلى جميع ما هو غيره.

وقد كنت أنبأتك أول هذا الباب أن مسائل القوم مأخوذة من مقالتهم نفسها معلومة من أصل دعواهم[1]، وبعضها من بعض، وقد يأتي على جميعها جواب واحد وإنما أجبنا عن كل واحدة لتفرقتهم إيّاها في أصل سؤالهم.

باب مسائل القدرية بـ: هل ثمّ:

وسألت القدرية فقالوا: هل ثمّ إلاّ الله وما خلق؟ قالوا: فإن قلتم: ليس ثمّ إلاّ الله وما خلق، قيل لكم: عذب الكافر على ماذا عذبه؟ على نفسه أو على خلقه؟ فإن قلتم: عذبه على نفسه فينبغي أن يكون عذب جميع خلقه لعلّة نفسه، وإن قلتم: عذبه على خلقه فينبغي أن يعذب جميع خلقه لعلّة خلقه وقالوا: هل ثمّ إلاّ الله وما خلق؟ فإن قلتم: ليس ثمّ إلاّ الله وما خلق، قيل: غضب على الكافر. مماذا غضب من نفسه أو من خلقه؟ فإن قلتم: غضب من نفسه، ففيه ما فيه، وإن قلتم: غضب من خلقه، فينبغي أن يغضب من جميع خلقه، وهذا أفسد الفساد.

وقالوا: هل ثمّ إلاّ الله وما خلق؟ فإن قلتم: ليس ثمّ إلاّ الله وما خلق، قيل: ذم الكافر على ماذا؟ على نفسه أو على خلقه؟ فإن قلتم: ذم الكافر على نفسه فينبغي أن يكون الله عزّ وجلّ ذم العباد على أنه هو، وإن قلتم: ذمه على خلقه فيجب أن يكون ذم الكافر على جميع خلقه.

وقالوا: هل ثمّ إلاّ الله وما خلق؟ فإن قلتم: ليس ثمّ إلاّ الله وما خلق،

---

(١) يراجع ما كتبه الأشعري في مقالات الإسلاميين حيث حكى الكثير من هذه الأقوال ٢:٨٠ ـ ٨١ وما بعدها.

قيل: أمر الإنسان بماذا؟ بنفسه أو بخلقه؟ فإن قلتم: أمره بنفسه، ففيه ما فيه، وإن قلتم أمره بخلقه، فينبغي أن يكون أمره بجميع خلقه.

وقالوا: هل ثمّ إلاّ الله وما خلق؟ فإن قلتم: ليس ثمّ إلاّ الله وما خلق، قيل: نهى الإنسان عمّاذا عن نفسه أو عن خلقه؟ فإن قلتم: نهاه عن نفسه أبطلتم، وإن قلتم: نهاه عن خلقه، فينبغي أن يكون نهاه عن جميع ما خلق، وفي هذا من الفساد ما لا يخفى في نظائرها من المسائل.

مسألة في الجهات[1]:

(قدّمها صاحب الكتاب على جواب أصحاب المخلوق للقدرية، في هذا الباب، قال صاحب الكتاب): والعلم بالجهات هو عمود هذا الباب، الذي يرفع عليه سمكه، وأسه الذي تقوم عليه دعائمه، فيقال: للقوم: أخبرونا عن جهة الشيء في الفعل؟ أهي جهة محدث؟ فإن قالوا: نعم، أثبتوا أن كل شيء محدث، فإن قالوا: أنهما جهتان فهو ما نقول، ثم يقال لهم: أخبرونا عن جهة محدث في الفعل؟ أهي جهة عرض؟ فإن قالوا: نعم، أثبتوا أن كل محدث عرض، فإن قالوا: بأنهما جهتان فهو ما نقول. ثمّ نقول لهم: أخبرونا عن جهة العرض في الفعل؟ أهي جهة حركة؟ فإن قالوا: نعم أثبتوا أن كل عرض حركة، فإن قالوا: هما جهتان فهو ما نقول. ثمّ يقال لهم: أخبرونا عن جهة حركة في الفعل؟ أهي جهة كسب؟ فإن قالوا: نعم، أثبتوا أن كل حركة كسب،

---

(١) الجهة في الأصل: هي الجانب والناحية، قال ابن سينا: إننا نعني بالجهة شيئاً إليه مأخذ حركة أو إشارة.

والجهة نهاية البعد ويمكن أن يفرض في كل جسم أبعاد غير متناهية العدد فيكون كل طرف منها جهة إلاّ أن المقرّر عند عامة الفلاسفة أن الجسم يمكن أن يفرض فيه أبعاد ثلاثة متقاطعة على زوايا قائمة ولكل منها طرفان فكل جسم إذن ست جهات.

والجهة النحو: تقول فعلت كذا على جهة كذا أي نحوه وقصده، ومن قبيل ذلك قول ابن سينا: «فإن الشيء الواحد من جهة واحدة». راجع النجاة ٣٧٢، ٣٨٠ وجامع البدائع ١٥٤.

فإن قالوا: هما جهتان، فهو ما نقول. ثم يقال لهم: أخبرونا عن جهة حركة في الفعل؟ أهي جهة سكون؟ فإن قالوا: نعم، أثبتوا أن كل حركة سكون، فإن قالوا: هما جهتان، فهو ما نقول. ثمّ يقال لهم: أخبرونا عن جهة كسب في الفعل؟ أهي جهة طاعة: فإن قالوا: نعم، أثبتوا أن كل كسب طاعة فإن قالوا: هما جهتان، فهو ما نقول. ثم يقال لهم: أخبرونا عن جهة طاعة في الفعل؟ أهي جهة توحيد؟ فإن قالوا: نعم، أثبتوا أن كل طاعة توحيد، وليس ذلك من قولهم، فإن قالوا: بأنها جهتان، فهو ما نقول. ثمّ يقال لهم: أخبرونا عن جهة كسب في الفعل؟ أهي جهة معصية؟ فإن قالوا: نعم، أثبتوا أن كل معصية كسب، ـ كذا ـ ثمّ يقال لهم: أخبرونا عن جهة معصية في الفعل؟ أهي جهة كفر؟ فإن قالوا: نعم، أثبتوا أن كل معصية كفر، وليس من قولهم، وإن قالوا: بأنها جهتان فهو ما نقول فعلى هذا التثقيف تكرر المسايلة عليهم، والمجاوبة لهم في كل ما يسألون عنه في هذا الباب، فاتخذوه أصلاً، وإماماً، وأساً، تبنون عليه، تهتدوا إن شاء الله.

عود الكلام إلى جواب أصحاب المخلوق للقدرية:

ثمّ يعود الكلام إلى جواب أصحاب المخلوق للقدرية فيه: «هل[1] ثمّ»:

---

(١) هل: هي لطلب التصديق الإيجابي، أي الحكم بالتبوت أو الانتفاء ولا تستعمل إلاَّ في الاستفهام لا بمعنى أنَّها بنفسها علم الاستفهام بل لا بدّ من ملاحظة أداة الاستفهام قبلها إما ملفوظة أو مقدرة وهل بسيطة إنَّ طلب بها وجود الشيء أو عدمه في نفسه نحو هل وجد زيد، وهل عدم عمرو..؟ ومركبة إنَّ طلب بها وجود الشيء محصلاً أو معدولاً للشيء الآخر نحو هل قام زيد..؟ وهل زيد لا قام..؟

وهل تأتي بمعنى «قد» نحو: ﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر.﴾ [سورة الإنسان آية ١].

وبمعنى (إلاَّ) نحو قوله تعالى: ﴿هل أدلكم﴾ [سورة طه: ٤ والقصص ١٢، والصف ١٠].

وبمعنى (إنَّ) نحو قوله تعالى: ﴿هل في ذلك قسم لذي حجر﴾ [سورة الفجر آية ٤].

وبمعنى (بل) نحو: هل في الدار أغيار..؟

وبمعنى (ما) النافية نحو ﴿هل جزاء الإحسان إلاَّ الإحسان﴾ [سورة الرحمن آية ٦٠].

وبمعنى الأمر نحو ﴿هل أنتم منتهون﴾ [سورة المائدة آية ٩١].

قال أصحاب المخلوق قد كثرت القدرية في السؤال بتقليبهم الألفاظ المختلفة على معنى واحد، من معنى السؤال، ولقد كـان يجيب على من بنى سؤاله على خصومة أن يعرف كيف تكون عاقبة سؤاله إذا حرر الخصوم عليه الجواب، والجواب في جميع ما سألوا عنه في «هل ثمّ» وفي «لو جاز» جواب واحد، ويدخل بعضه في بعض، وذلك أن نقول لهم: ليس ثمّ إلاَّ اللّه وما خلق، لا على نفي الاكتساب، ولا يجوز إرسال الجواب، حتى يوصـل بالصلة التي يتبين بها الجواب، لإزالة سوء الظنون من أوهام السامعين عند ورود الجواب على أوهامهم غير مفسر، ولا موصول بصلته التي يصح بها فإن قالوا عند هذا: على ماذا عذب اللّه الكافر أو مماذا غضب من نفسه أو من خلقه؟ إلى آخر ألفاظهم التي هي بمعنى واحد، قيل لهم: غضب من فعل العبد، الذي هو للّه خلق، ولا يقال: غضب من خلقه، فإن قالوا: أليس فعل العبد خلقه؟ قلنا: فعل العبد من حيث وصف بأنَّه فعل، وهو خلق اللّه، بأن جعله خلافاً لما خالفه، غير محتمل للبقاء ولا مجتلى للعيان، ولا يقال: فعل العبد خلق اللّه مرسلاً كما أنَّه يقال فيما اجتمعنا نحن وأنتم عليه: إنَّ اللّه عالم بفعل العبد، وإنَّ الفعل معلوم له، وإنَّ الفعل غير اللّه، ولا يقـال: إنَّ اللّه غضب على العبد، لأنَّ فعله غيره، ولا لأنَّه معلوم له، ولا لأنَّه غير اللّه، وغير العبد إذ ليس من الجائز أن يغضب اللّه على الكافر ان كان عمله غير اللّه، فلو جاز أن يقال: غضب اللّه على الكافر لأنَّ فعله غير اللّه، ويسخط أن يكون الفعل غير اللّه، ويعذب على ذلك، ليجوزن أن يكون اللّه يرضى أن يكون فعل العبد هو اللّه، ويثيب على أن يكون فعل العبد هو اللّه، ويحب ذلك، فهذا غاية الفساد في صفة اللّه جلّ جلاله، ويقال لهم: الذي غضب منه ويسخطه لأنَّه كفر أهو الذي لم يسخطه ولم يغضب منه لأنَّه غير اللّه؟ فإن زعموا أنَّ الذي غضب اللّه منه وأسخطه في أن كان كفراً، غير الذي لا يسخطه ولا يغضب منه، إن كان غير اللّه، وإن كان غير الفاعل، وإن كان معلوماً للّه أوجبوا على الفعل التجزي، والتغاير وصاروا إلى مقالة أصحاب المعاني، وإن قالوا: إنَّ الـذي

غضب اللّه منه وأسخطه في أن كان كفراً، هو الذي لم يغضب منه ولم يسخطه إن كان غير اللّه، وإن كان معلوماً له، وإن كان غير الفاعل أوجبوا على الفعل الذي لا يتجزأ الجهات، وهكذا الجواب لهم في جميع ما سلسلوا من ذلك، لغير فائدة. وقد كان عارضهم فيما بلغنا بعض أهل العلم بالتثبيت في هذا الكلام بأمر مقنع وهو أن قال لهم: أليس الكفر[1] غير خلق اللّه؟ فقالوا: بلى، فقال لهم: هل عذب عليه لأنَّه غير خلق اللّه؟ فلو قالوا: نعم، للزمهم التعذيب على كل ما لم يخلق، قياساً على قولهم: إذا عذب على الكفر، وهو غير خلق له، جاز أن يعذب على كل ما هو غير خلق له، ويقال لهم: أليس الكفر شيئاً، ومحدثاً وعرضاً وحركة أو سكوناً؟ فإن قالوا: بلى، هو كذلك، قيل لهم: فهل غضب منه لأنَّه شيء، أو غضب منه لأنَّه محدث أو غضب منـه لأنَّه عرض، أو غضب منه لأنَّه حركة، أو لأنَّه سكون؟ فإن قالوا: نعم غضب منه لأنَّه كذلك، قيل لهم: فيجب أن يكون غضب من كل شيء، ومن كل محدث، ومن كل عرض، ومن كل حركة. فإن قالوا: نعم انَّ الذي غضب منه لأنَّه كفر، غير الذي لم يغضب منه لأنَّه شيء، ولأنَّه محدث ولأنَّه عـرض، ولأنَّه حركة، أو سكون، أثبتوا التغاير عـلى الفعل، والتجـزية، وصـاروا إلى قول أصحاب المعاني في الفساد. فإن قالوا: إنَّ الذي غضب منه لأنَّه كفر هو الذي لم يغضب منه لأنَّه شيء، ولأنَّه محدث، ولأنَّه عرض، ولأنَّه حركة، أو سكون أوجبوا على الفعل الذي لا يتجزأ الجهات ويقال لهم: أرأيتم الفعل الـذي أقدرنا اللّه عليه؟ هل أقدرنا عليه لأنَّه فعل؟ قالوا نعم، قلنا: فالذي أقدرنا عليه لأنَّه فعل أهو الذي لم يقدرنا عليه لأنَّه شيء، ولأنَّه محدث، ولأنَّه عرض،

---

(١) الكفر في اللغة: ستر الشيء، ووصف الليل بالكافر لسترة الأشخاص، والزُّرَّاع لسترة البذر في الأرض وليس ذلك باسم لهما كما قال بعض أهل اللغة:

ألقت ذُكاء يمينها في كافر.

وكفر النعمة وكفرانها سترها بترك أداء شكرها قال تعالى: ﴿فلا كفران لسعيه.﴾ سورة الأنبياء آية ٩٤ «وأعظم الكفر جحود الوحدانية.» راجع المفردات في غريب القرآن ٤٣٣ ـ ٤٣٤ وكليات أبي البقاء ٤: ٧٤.

ولأنَّه حركة أو سكون أم الذي أقدرنا عليه لأنَّه فعل غير الذي لم يقدرنا عليه لأنَّه شيء، ولأنَّه محدث، ولأنَّه عرض، ولأنَّه حركة أو سكون؟ فإن قالوا: الذي أقدرنا عليه، لأنَّه فعل الذي لم يقدرنا عليه، لأنَّه شيء، ولأنَّه محدث، ولأنَّه عرض، ولأنَّه حركة أثبتوا على الفعل التغاير والتجزية، فإن قالوا: الذي أقدرنا عليه لأنَّه فعل هو الذي لم يقدرنا عليه لأنَّه شيء، ولأنَّه محدث، ولأنَّه عرض، ولأنَّه حركة، أثبتوا للفعل الجهات.

ويقال لهم بعد هذا: فما أنكرتم من مذهب أهل الحق أنَّ ما فعلوه، وصارت قدرتهم عليه، فهو فعلهم من حيث قدروا عليه، وهو خلق اللّه من حيث ثبوت عجزهم عنه. ويقال للآخرين: إذا جاز عندكم أن يكون فعل العبد وهو بجهة من الجهات ليس بجعل للعبد، فما أنكرتم أن يكون من تلك الجهات التي ليست بجعل للعبد فعلاً للّه؟ فإن قالوا: لأنَّه محال أن يكون فعل واحد جميعه للعبد، وجميعه للّه، قيل لهم: فقد قلتم بما هو أكبر من هذا، فجوزتم أن يكون فعل واحد جميعه للعبد وجميعه ليس بجعل لجاعل، وهذا الجواب منكم هو معنى ما أنكرتم.

مسألة للقدرية في المعارضة التي يذكرون فيها الشركة:

قالوا: وجدنا هذا الفعل شيئاً واحداً، لا يحتمل التجزئة، ولا يوصف بالتغاير قلنا لا يخلو هذا الشيء من الفعل من منازل ثلاثة: إما أن يكون خلقاً للّه أو يكون للعبد فعلاً، وإما أن يكون لهما جميعاً، فإن قالوا: كان للعبد فعلاً فهو ما قلنا، وبطل أن يكون للّه خلقاً، وإن كان للّه خلقاً، بطل أن يكون للعبد فعلاً، وإن كان لهما جميعاً، فهذا معنى الشركة، والشركة عن اللّه منفية، ولا نعلم لأهل القدر معارضة أوثق في نفوسهم من هذه، ولا مسألة أوكد عندهم من هذه المسألة التي يذكرون فيها الشركة، وهي عند المبتدئين من أهل الإثبات مسألة ساقطة، ومعارضة واهية، فضلاً عن حذاق متكلميهم، وذلك أنَّ

أهل الإثبات قالوا: أما قول القدرية أنَّ الفعل لا يعدو ثلاث منازل فهو منهم دعوى وتحكم بغير حجة، ولا دليل، بل يعدو الفعل جميع ما قالوا من ذلك إلى غير ما قالوا، إذ لا يجوز أن يكون الفعل بجميع جهاته مضافاً إلى العبد، ولا منسوباً إليه، ولا موصوفاً بالقدرة على تلك المعاني من الفعل، وذلك أنَّ من جهات الفعل أنَّه شيء، وأنَّه محدث، ومخترع، وخارج من معنى العدم إلى معنى الوجود، وأنَّه عرض، وأنَّه حركة أو سكون، وأنَّه ملازم للفناء، غير موصوف بالبقاء وأنَّه غير مدرك بالأبصار، ولا متجل للعيان، وأنَّه مخالف لما خالف من الأشياء، موافق لما وافق، فبطل أن تكون هذه المعاني من الفعل مضافة إلى العبد، ولا منسوبة إليه، لثبوت عجز العبد، وإبطال قدرته على أن يكون جعله كذلك، فلما كان الأمر على ما وصفنا من هذا تبين أنَّ الفعل قد عدا هذا الوجه، وخلا منه، وبطل أيضاً أن يكون الفعل مضافاً إلى اللّه عزّ وجلّ من الجهة التي يضاف بها إلى العبد، من أنَّه تحرك، أو سكن أو قارف أو عنا، أو عالج، أو آمن، أو كفر، أو أطاع، أو عصى لما كانت هذه الإضافات لا تحسن إلى اللّه بهذه المعاني، ولا تجوز النسبة إليه بها.

وأما ما ذكروا من الشركة فتهويل من القول، لا محصول له، وذلك أنَّ للشركة موضعين: أحدهما حقيقة، والثاني استعارة ومجاز. الحقيقة من ذلك كالرجلين يشتركان في ملك مال من أرث أو تجارة، عبداً كان أو حيواناً، أو غير ذلك من المال، فيكون كل واحد منهما شريك صاحبه، على قدر التسميات، وذلك لاتفاق جهاتهما في الملك، فهذه حقيقة الشركة، وكل هذا الذي قلنا اشتراكاه بينهما فهو للّه ملك، ومال، قال: ﴿**وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ**﴾[1] والعبد من ذلك عبد للّه وهو مع ذلك تعالى غير موصوف بالشركة لهما، ولا لأحدهما ولا يقال لهما ولا لأحدهما: أنَّه شريك للّه تعالى عن ذلك، لاختلاف جهات الملك.

---

(١) سورة النور آية رقم ٣٣ وتكملة الآية ﴿ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصُّناً لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرههن فإنَّ اللّه من بعد اكراههن غفور رحيم﴾.

والوجه الثاني من الشركة على معنى المعاونة والاتفاق وذلك كرجلين ملكا ملكاً أو أمرا أميراً، أو جيّشا جيشاً، أو هزما جنداً، أو فتحا ثغراً، أو استعملا، أو استقضيا، أو اعتزلا أو كانا ملاحين فسارا بسفينة في البحر، أو قتلا رجلاً بأي وجه من وجوه القتل، ولو أنهما أجاعاه، أو أعطشاه، حتى مات أو دفعا شجرة فخرت، أو تجاذبا ثوباً فانخرق، أو اتفقا على أمر من الأمور فأمضياه، فإنَّه قد يقال في هذين: إنهما اشتركا على معنى: تعاونا واتفقا، وليست الشركة ههنا حقيقة، بل هي مجاز واستعارة، وسمي هذان شريكين في الفعل إذ كان فعلهما من جهة واحدة، ولا يجوز أن يقال إنَّ اللّه شاركهما ولا شارك أحدهما في تمليك ملك، ولا في تأمير أمير، ولا في تجنيد جند، وهو تبارك وتعالى قد قوي على ذلك كله بالعدة والعدة، والمال والبسطة، إذ كانت الجهتان في ذلك مختلفتين غير متفقتين، وكذلك لا يجوز أن يقال إنَّ اللّه تبارك وتعالى شارك الملاحين في سير السفينة بالريح التي جعلها تجري بها السفينة، على أنَّ الملاحين يقال إنَّهما اشتركا في الرئاسة لذلك، وكذلك اللذان قلنا إنَّهما اشتركا في قتل رجل قد يكون أن يبعث اللّه إلى مقتولهما شيئاً من الهوام الضارية، ومن السباع العادية فتعين في قتله، وذلك عند أكثرهم من فعل اللّه أو يكون اللّه يمنع عنه الطعام والشراب، ويمنعان هما ذلك عنه، إذا كان عندهما، ولا يقال مع هذا أنَّ اللّه شريك لهما، ولا أنَّهما أو أحدهما شريك للّه في فعله، لاختلاف جهات الإضافة في الفعل، ومعانيه.

وكذلك اللذان دفعا شجرة أو تجاذبا ثوباً، قد تكون الريح تعينهما على فعلهما، ولا يجوز أن يقال مع ذلك أنَّ اللّه شريكهما، أو لأحدهما، ولا أنَّهما أو أحدهما شريك للّه في وقوع الشجرة، وانخراق الثوب، لأنَّ اللّه فعل ذلك من غير الجهة التي فعلا منها وهما فعلا من جهة غير الجهة التي فعل اللّه منها، ولسنا نجد للشركة وجهاً غير هذين الوجهين.

وسبيل خلق اللّه لفعل العبد واختراعه إياه، وإخراجه لـه من معنى

العدم[1] إلى معنى الوجود[2]، وجعله على ما هو بـه من أنَّه شيء ومحـدث، وعرض، وحركة، وسكون، ومـلازم للفناء غـير موصـوف بالبقـاء ولا مدرك بالأبصار، ولا متجل للعيان مخالف لما خالف، موافق لما وافق هو سبيل ما أضفناه إلى اللّه تعالى من الأملاك التي ذكرناها، والأفعـال التي عددنـاها، ونسبناها إليـه ونفينا عن اللّه في جميعهـا الشركة مـع إضافتنـا ذلك إليـه، لاختلاف جهات الإضافة في معاني الملك، والفعل جميعاً.

وسبيل اختيار العبد لفعله، واكتسابه[3]، وتحركه به، وسكونه، وإيمانه، وكفره، وطاعته به، ومعصيته هو سبيل ما ذكرنا من فعل الرجلين اللذين ذكرنا أنَّهما شريكان فيما اشتركا، ألا ترى أنَّك تقول: إنَّهما مشتركان، لاتفاق جهات الملك واختلاف وجهات الفعل، ولا تقول ذلـك في صفة اللّه جـلّ جلالـه لاختلاف جهات الملك، واختلاف جهات الفعل وقد كـررت في هذا المعنى، وأطلت لينقطع ذكر الشركة من هذه المسألة إذ ليست الشركة منها في وجه، ولا في سبب.

ولما بطلت هذه الوجوه الثلاثة التي ذكروا، واضمحل القول بها تبين أنَّ

(١) العدم ضد الوجود وهو مطلق أو إضافي فالعدم المطلق هو الذي لا يضاف إلى شيء، والعدم الإضافي أو المقيد هو المضاف إلى شيء لقولنا عدم الأمن وعدم الاستقرار، وعدم التأثير.
قال ابن سينا: البالغ في النقص غايته فهو المنتهي إلى مطلق العدم فبالحري أن يطلق معنى العدم المطلق. راجع الإشارات ٦٩ ـ ٧٠.

(٢) الوجود مقابل للعدم، وهو بديهي فلا يحتاج إلى تعريف إلاَّ من حيث إنَّه مدلول للفظ دون آخر فيعرف تعريفاً لفظياً يفيد فهمه من ذلك اللفظ لا تصوره في نفسه.
والوجود عند الفلاسفة: مقابل للماهية، لأنَّ الماهية هي الطبيعة المعقولة للشيء، والوجود هو التحقق الفعلي له، وكون الشيء حاصلاً في التجربة غير كونه ذا طبيعة معقولة. راجع منطق المشرقيين ص ٢٢.

(٣) يراجع ما كتبه الأشعري في كتابه مقالات الإسلاميين عند حديث عن أفعال العباد وبأنَّها مخلوقة للّه تعالى، وليس للإنسان فيها غير اكتسابه أي أنَّ الفاعل الحقيقي هو اللّه، وما الإنسان إلاَّ مكتسب للفعل. وأيضاً كتاب اللمع من ٣٨ ـ ٣٩ ٣٦ ـ ٤٧ والملل والنحل عند شرحه لمذهب الأشعري ١: ١٢٤ ـ ١٣٠.

الفعل قد عدا ما قالوا من ذلك، وخلا منه إلى غيره، مما قلنا والله ولي التوفيق.

حجج القدرية من النقل:

وكان مما احتجت به القدرية من كتاب الله عزّ وجلّ، على نفيهم لخلق أفعال العباد، قول الله حيث يقول: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ، فَقَتَلَهُ﴾[1]، وقوله: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً﴾[2] وقوله: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ﴾[3]، وقوله: ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[4]، ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[5]، قالوا: فأضاف الله ذلك إليهم، وقالوا: قال الله عزّ وجلّ: ﴿حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِم﴾[6]، وقال: ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾[7] قالوا: فنفى أن يكون حسدهم فعل أولئك الآخرين من عنده، كما ترون، وقالوا: قال الله: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلاَ سَائِبَةٍ وَلاَ وَصِيلَةٍ وَلاَ حَامٍ﴾[8]، فنفى عن نفسه أن يكون جعل شيئاً من فعل المشركين. قال أهل الإثبات: ليس تلزمنا معارضات القدرية بهذه الآي التي أضاف الله فيها أفعال العباد إلى العباد ونحن نقول: إنّها أفعالهم، ولا نأبى أن تكون أنفسهم سولت لهم، ولا أنّ

---

(١) سورة المائدة آية رقم ٣٠ وتكملة الآية: ﴿فأصبح من الخاسرين﴾.

(٢) سورة يوسف آية رقم ١٨ وتكملة الآية: ﴿فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون﴾.

(٣) سورة التوبة آية رقم ١٠٥ وتكملة الآية: ﴿والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون﴾.

(٤) سورة السجدة آية رقم ١٧.

(٥) سورة التوبة آية رقم ٩٥ وقد جاءت في المطبوعة محرفة بزيادة «الواو» في أولها.

(٦) سورة البقرة آية رقم ١٠٩ وتكملة الآية: ﴿من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره والله على كل شيء قدير﴾

(٧) سورة آل عمران آية رقم ٧٨.

(٨) سورة المائدة آية رقم ١٠٣ وتكملة الآية: ﴿ولكنّ الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون﴾.

نفسه طوعت له قتل أخيه، فقتله، ولا أنَّهم يكسبون ويعملون، وأنَّهم أمروا بأن يعملوا، وليس في الإضافات التي أضاف اللّه إلى العباد بأنَّهم يعملون ويكسبون، وتطوع لهم أنفسهم، وتسول، بالذي ينقض علينا من قولنا شيئاً، وإنما ذلك على الجهمية[1]، وأصحابهم الذين لا يقولون بالاختيار للعباد، ولا يثبتون الاكتساب لهم، ولا يقولون بالتطويع، ولا بالتسويل، ولا بشيء من ذلك، وكذلك قوله: ﴿**حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِم**﴾[2] فنحن نقول: أن افعالهم وحسدهم، وبغيهم، من عند أنفسهم فعلاً لا خلقاً، وقوله: ﴿**وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ**﴾[3]، فإنَّه قد قال أيضاً: ﴿**فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً**﴾[4] أفيجب بهذا كله من قوله أن يكون سلام العباد بعضهم على بعض وتحيتهم فيما بينهم مخلوقة للّه عندهم، لقوله: ﴿**من عند اللّه**﴾ فإن قالوا: إنما أراد بذلك أنَّ اللّه أمر بالتحية والسلام، فلذلك أضافهما إلى نفسه، قلنا: فكذلك قوله: ﴿**ويقولون هو من عند اللّه، وما هو من عند اللّه**﴾ يريد أن تحريف اليهود[5] للكتاب ليس

---

(١) يقول الشهرستاني عن الجهمية: أصحاب جهم بن صفوان ـ وهو من الجبرية الخالصة. ظهرت بدعته بترمذ وقتله سلم بن أحوز. ويؤكد البغدادي أنَّ جهماً قال بالإجبار والاضطرار إلى الأعمال وأنكر الاسنطاعات كلها، ويورد الأشعري قول الجهمية: إنَّه لا فعل لأحد في الحقيقة إلاَّ اللّه وحده وإنه هو الفاعل، وإنَّ الناس إنما تنسب إليهم أفعالهم على المجاز إلاَّ أنَّه خلق للإنسان قوة كان بها الفعل، وخلق له إرادة للفعل، واختياراً له منفرداً بذلك.

وإذن فجهم على أساس رواية الأشعري ـ لم ينكر الاستطاعات كلها كما ذكر البغدادي ولم يسلب عن الإنسان الاستطاعة، كما ذكر الشهرستاني. راجع الملل والنحل ١: ٧٩ والبداية والنهاية ١: ٢٧ والفرق بين الفرق ص ٢١١ ومقالات الإسلاميين ١: ٣١٢ نشأة الفكر الفلسفي ١: ٢٤٥.

(٢) سورة البقرة آية رقم ١٠٩.

(٣) سورة آل عمران آية رقم ٧٨ وتكملة الآية: ﴿ويقولون على اللّه الكذب وهم يعلمون﴾.

(٤) سورة النور آية رقم ٦١ وتكملة الآية: ﴿كذلك يبين اللّه لكم الآيات لعلكم تعقلون﴾.

(٥) اليهود: نسبوا إلى يهوذا وهو أكبر ولد يعقوب عليه السلام فقلبت العرب الذال دالاً. وقيل: سموا بذلك لتوبتهم عن عبادة العجل. هاد تاب والهائد التائب قال الشاعر: «إلى امرىء من حبه هائد» أي تائب وفي التنزيل: ﴿إنا هدنا إليك﴾ أي تبنا وقال ابن عرفة: أي سكنا إلى أمرك، والهوادة: السكون والموادعة ومنه قوله تعالى: ﴿إنَّ الذين آمنوا والذين هادوا﴾.

هو من الكتاب، ولا من عند اللّه، نزل رداً عليهم في قولهم: إنَّه من الكتاب، ومن عند اللّه نزل، ولم تكن اليهود تذهب في قولها ذلك إلى خلق اللّه الفعل، فيكون اللّه قدر عليهم في ذلك وهذا أوضح من أن يغلط في تأويله غالط. وأما قوله: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِن بَحِيرَةٍ وَلاَ سَائِبَةٍ وَلاَ وَصِيلَةٍ وَلاَ حَامٍ﴾[1]، فهو نظير قوله: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّموات وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاَعِبِينَ﴾[2] ومثل قوله: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً﴾[3] أي أنَّه أراد: لم يخلق السموات والأرض وما بينهما للعب، ولا للباطل كما قال أهل التكذيب باللّه والإنكار لأمره من الرسل، والبعث، بل خلق السموات والأرض وما بينهما ليحق الحق ويبطل الباطل، ويدل على ذلك بقوله: ﴿وَمَا خَلَقْنَاهُمَا إلاَّ بِالْحَقِّ﴾[4] وكذلك قوله: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلاَ سَائِبة وَلاَ وَصيلةٍ وَلاَ حَامٍ﴾[5] يقول: إنَّه لم يجعل هذه الأنعام لأن تبحر ولا أن تسيب، ولا أن تتخذ وصيلة، ولا حاماً، كما قالوا: بل جعلها حمولة، ومأكولة، لا كما قال المشركون فليس هذا من الذي ذهب إليه أهل القدر في شيء، وهو أبين من أن يغلط في تأويله غالط، واللّه ولي التوفيق.

أدلة أخرى:

قد أجبناهم فيما سألونا عنه، وأبطلنا معارضتهم في كل الذي عارضوا به ثمّ نحن عائدون بالمسألة عليهم، ومجددوها إليهم، ومؤكدون عليهم من حجج اللّه التي جعلها دلالة على ربوبيته وشهادات على وحدانيته، فنقول لهم:

---

(١) سورة المائدة آية رقم ١٠٣.

(٢) سورة الدخان آية رقم ٣٨ وذكر في المطبوعة أنَّها آية الأنبياء ١٦ وآية الأنبياء ﴿وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين﴾.

(٣) سورة ص آية رقم ٢٧ وتكملة الآية: ﴿ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار﴾.

(٤) سورة الدخان آية رقم ٣٩ وتكملة الآية: ﴿ولكنَّ أكثرهم لا يعلمون﴾.

(٥) سورة المائدة آية رقم ١٠٣ وتكملة الآية: ﴿ولكنَّ الذين كفروا يفترون على اللّه الكذب وأكثرهم لا يعقلون﴾. وقد سقطت في المطبوعة (سائبة ولا).

أخبرونا عن حركة المختار هل كانت حركة لمعنى الحركة، أو لمعنى غير الحركة؟ فإن قالوا: لمعنى غيرها أحالوا إذ لا يتوهم ارتفاع ذلك المعنى، ووجود الحركة بغير صفة الحركة، فإن قالوا: بل هي حركة لمعناها، قلنا لهم: أخبرونا عن حركة المضطر لم كانت حركة، لعينها أو لعلة غيرها؟ ولن يجدوا إلاَّ أن يجيبوا في حركة المضطر، مثل الذي أجابوا به في حركة المختار، فإذا أجابوا بذلك، قلنا: قد ثبت أنَّ حركة الاضطرار مثل حركة الاختيار في عينها، وإنما اختلفتا لعلة الأمر والنهي فإذا ثبت اتفاقهما لأعيانهما كان الحكم عليهما واحداً، أما أن تكونا مخلوقتين أو غير مخلوقتين، ولا نجد أن نخرجهما من خلق اللّه، بل اللّه خالق لهما، ولا يجوز أن تستوي الأشياء في باب الحديث، وتتفق، ثمّ تختلف في باب الاختراع والخلق، لأنَّه لو جاز أن يكون محدث غير مخلوق، لجاز أن يكون مخلوق غير محدث، فلما استحال أن يكون مخلوق غير محدث، استحال أن يكون محدث غير مخلوق، كما أنَّه لو جاز أن يكون محدث مخلوقاً، ومحدث غير مخلوق، ليجوزن أن يكون قديم خالقاً وقديم غـير خالق، فلما استحال أن يكون قديم خالقاً، وقديم غير خالق، استحال أن يكون محدث مخلوقاً، ومحدث غير مخلوق.

ثمّ يقال لهم: أليست هذه الأفعال محدثة كائنة بعد أن لم تكن وخارجة من معنى العدم إلى معنى الوجود؟ فمن قولهم: بلى، قيل لهم: فهل في أنها محدثة مخلوقة بعد إذ لم تكن خارجة من معنى العدم إلى معنى الوجود أكثر من أنها مخلوقة وهل في أنها مخلوقة أكثر من أنها محدثة كائنة بعد أن لم تكن خارجة من العدم إلى الوجود؟ فإن كان الله هو الذي أحدث الأفعال، وكونها بعد إذ لم تكن وأخرجها من العدم إلى الوجود، فهو الذي خلقها، وإن كان العبد هو الذي أحدث الأفعال وكوّنها بعد إذ لم تكن، وأخرجها من العدم إلى الوجود، فهو الذي خلقها ويسألون عن الفرق فلا يجدونه أبداً، وربّما تجاسر جسورهم فيقول: بلى، أنها مخلوقة للعبد، وذلك أنهم لا يترددون في أنها غير مخلوقة لله، ويترددون في أنها مخلوقة للعبد، أو غير مخلوقة له إلاّ أن يتجاسر متجاسرهم

على ذلك، ولعمري أنه لقياس مقالة القوم، إذ كان الله عزّ وجلّ، إنما سمي خالقاً لأنه ينشئ ويخترع، والعباد على مثل ذلك من الصفة عندهم، فيقال لهذا المتجاسر: إذا كانت مخلوقة للعبد فينبغي أن تكون مملوكة له، ومربوبة له، بل التي تجاسرت عليها أشنع من هاتين، وأفحش منها، فإذا جوز هاتين قيل له: فينبغي أن تكون مألوهة للعبد فحينئذ يكون العبد خالقاً لأفعاله، ومالكاً لها، ورباً وإلهاً، فمَن قال: لا خالق غير الله ولا ربّ سواه، وإن لا إله إلاّ هو كان مخطئاً، فعند ذلك يقال لقائلها: كيف وها هنا من الخالقين والأرباب والآلهة، ما لا يحصى، على قياس هذا المذهب. ألا ترون إلى ما أصار هؤلاء القوم خذلان الله عزّ وجلّ إليه من اضطراب الكلمة وتشتيت الأهواء في تقليد الكبراء، فنعيذكم بالله وإيّانا من التورّط في المهلكة، وقد قال الله عزّ وجلّ: **﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ﴾**[1] وقال: **﴿فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾**[2] فيمكن على قياس هذا القول، أن يرد عليه فيقال: إن الذي من هو دونه أكثر مما خلق، لأن أفعال خلقه أكثر من خلقه في قولهم، وقال عزّ وجلّ: **﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الأَرْضِ﴾**[3]، وقال عزّ وجلّ: **﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ، خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾**[4] رداً على مَن أخرج شيئاً من كل الأشياء من أن يكون من خلقه، فأخرج الكلمة في: **﴿خالق كل شيء﴾** مخرج العموم،[5] فمَن ادّعى فيها

---

(١) سورة فاطر آية رقم ٣ وتكملة الآية: ﴿يرزقكم من السماء والأرض لا إله إلاّ هو فأنّى تؤفكون﴾.

(٢) سورة لقمان آية رقم ١١ وتكملة الآية: ﴿بل الظالمون في ضلال مبين﴾. وقد جاءت الآية محرّفة في المطبوعة حيث قال: «أروني» بدلاً من (فأروني).

(٣) سورة فاطر آية رقم ٤٠ وتكملة الآية: ﴿أم لهم شرك في السموات أم آتيناهم كتاباً فهم على بيّنة منه بل إن يعد الظالمون بعضهم بعضاً إلاّ غروراً﴾.

(٤) سورة الرعد آية رقم ١٦ وتكملة الآية: ﴿وهو الواحد القهار﴾.

(٥) العموم: ضدالخصوص، وهو في اللغة عبارة عن الإحاطة بالأفراد دفعة. وللعموم عند الفلاسفة معنيان أحدهما مجرد، والآخر مشخص فالعموم بالمعنى المجرد صفة العام من حيث شموله لجميع الأفراد المستغرقة فيه، قال ابن سينا: لو كانت الحيوانية توجب أن لا يقال عليها عموم أو خصوص لم يكن حيوان خاص أو حيوان عام. راجع الشفاء ٤٨٧ ـ ٤٨٨.

الخصوص، ولم يأت بآية مجتمع عليها، أو خبر مجتمع عليه يخص به ما أخرج به الكلام مخرج عموم، فقد أراد أن يثبت دعواه بغير برهان، وبغير ما يثبت به الدعوى، وليس ما نظروا به من هذه الآية من قوله: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾[1] وبقوله: ﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾[2] وبقوله: ﴿وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾[3] نظيراً، لأن هذا كله الشاهد على خصوصه إجماعهم، وخصومهم عليه والآية في أنه: ﴿خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ أخرجها مخرج عموم، ولم يجامعهم خصومهم على أن الله أراد بها الخصوص، كما جامع أهل القدر من خالفهم على خصوص الآي التي ناظروا بها الآيات الشاهدات على صدق أهل الإثبات في قولهم، وقد امتدح عزّ وجلّ بقوله: ﴿خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ بإجماع ولو جاز لأحد أن يقول: هي خاصة، لجاز لَمن يزعم أن إبليس ليس[4] بمخلوق، وأن جميع الشرور ليست بمخلوقة لله على مقالة المنانية،[5] وكيف تكون دعواهم أولى من دعوى غيرهم، وقد قال الله عزّ وجلّ ﴿وَأَسِرُّوا

---

(١) سورة الأحقاف آية رقم ٢٥ وتكملة الآية: ﴿فأصبحوا لا يرى إلاّ مساكنهم كذلك نجزي القوم المجرمين﴾.

(٢) سورة الأنعام آية رقم ٤٤ وقد جاءت الآية محرّفة في المطبوعة حيث قال: فتحنا أبواب. وصحتها ﴿فتحنا عليهم أبواب﴾.

(٣) سورة النمل آية رقم ٢٣.

(٤) إبليس: اشتقاقه من الإبلاس، لأن الله أبلسه من رحمته وآيسه من مغفرته قال ابن الأنباري لا يجوز أن يكون مشتقاً من أبلس لأنه لو كان مشتقاً لصرف قال أبو إسحاق فلمّا لم يصرف دلّ على أنه أعجمي قال ابن جرير: لم يصرف وإن كان عربياً لقلة نظره في كلامهم فشبهوه بالأعجميّ وقال الواحدي: الاختيار أنه ليس بمشتق لاجتماع النحويين على أنه يمنع من الصرف للعجمة والعلمية.

(٥) المنانية: أصحاب ماني بن فاتك الذي ظهر في زمن (شابور بن أردشير) الذي تولى الملك عام ٢٤٢ م وقتله بهرام بن شابور.

وأصل الكلمة بالفارسية (زندكر) ومعناها: حياة الدهر أو بقاء الدهر.

يقول: ماني بنبوّة عيسى ولا يقول بنبوّة (موسى) وادّعى أنه النبيّ الذي بشر به (عيسى) وأنه خاتم النبيّن.

يقولون بالحلول وبالتناسخ وأن العالم مركّب من أصلين النور والظلمة. راجع الغلو والفرق الغالية ٢٣ وفجر الإسلام ١٢٩ ودائرة معارف القرن العشرين ٨:٤٥٣.

قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ، أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾[1] فدلّ على أن ما أسر العباد، وما أظهروه فهو خلقه بقوله: ﴿**ألا يعلم من خلق**﴾ يقول تبارك وتعالى: كيف لا يعلم ذلك من خلقه محتجاً على مَن قال لا يكون الفعل مخلوقاً، وقال عزّ وجلّ: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِّنْ فَضْلِهِ**﴾[2] فكيف يكون الابتغاء للفضل الذي هو عمل العباد من آيات الله، وليس فيه لله تدبير، ولا هو له بخالق؟ وقال عزّ وجلّ: ﴿**هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالبَحْرِ**﴾[3] وذلك فعلهم، فأضافه إلى نفسه كما ترى، وقال: ﴿**أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى**﴾[4] والعودة في البحر هي رجوعهم ثانية إلى البحر، وذلك فعلهم، وقال عزّ وجلّ: ﴿**خَلَقَ السَّمَواتِ والأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا**﴾[5] وأفعال الخلق بين السماء والأرض، وقال: ﴿**وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ**﴾[6]، وقال: ﴿**إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ**﴾[7] وقال: ﴿**يُضِلُّ مَنْ يَشاءُ وَيَهدِي مَنْ يَشاءُ**﴾[8]، وقد ذهب قوم من أهل القدر في تأويل هذه الآية من قوله: ﴿**يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ**﴾ إلى أن ذلك على وجه التسمية، والحكم عليهم بالضلالة وبالهداية، وقال فريق منهم: يضلهم ينسبهم إلى الضلالة ويهديهم: يبيّن لهم ويرشدهم، فخالفوا بين الحكمين، وليس ما ذهبوا إليه من ذلك بشيء ونحن جميعاً ننسب الهادي إلى الهداية ونسميه بها، ونحكم بها عليه وننسب الضال إلى الضلالة، ونسميه بها، ونحكم بها عليه، فما معنى هذه

(١) سورة الملك آية رقم ١٣، ١٤.
(٢) سورة الروم آية رقم ٢٣.
(٣) سورة يونس آية رقم ٢٢.
(٤) سورة الإسراء آية رقم ٦٩.
(٥) سورة الفرقان آية رقم ٥٩.
(٦) سورة الصافات آية رقم ٩٦.
(٧) سورة القصص آية رقم ٥٦.
(٨) سورة النحل آية رقم ٩٣.

الإضافة التي أضافها الله إلى نفسه، واستخصّ بها دون خلقه، بأنه: ﴿**يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ**﴾[1]؟ وما فائدتها لو كان الأمر على ما ذهب إليه أهل القدر من ذلك؟ مع اطباق أهل اللغة على أنهم لا يجدون شيئاً من لغة العرب أفعلت الرجل بمعنى نسبته، وإنما يقال: في معنى نسبته فعلت: كفرت الرجل، وخينته وسرقته، وخطأته، وظلمته، وضللته، وفسقته، وفجرته، ولحنته، ولا يقال في مثل هذا أفعلته، وأنت تريد نسبته إلى ذلك، هكذا حفظ من الأصمعي[2] والكسائي[3] وغيرهما من أئمة اللغة وأنشدوا قول لبيد[4]:

إن تقوى ربّنا خير نفل ... وبقدر الله ريثي وعجل
مَن هداه سبل الخير اهتدى ... ناعم البال ومَن شاء أضلّ[5]

أفترى لبيداً أراد بقوله: (مَن شاء أضلّ) أنه سماه ضالاً، لا لعمرك، ما عرف هذا لبيد، ولا وجده في شيء من اللغات، وفي كتاب الله عزّ وجلّ ما

---

(١) سورة النحل آية رقم ٩٣.

(٢) هو عبد الملك بن قريب بن علي، أبو سعيد الأصمعي: راوية العرب وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان نسبته إلى جده أصمع. كان الرشيد يسميه شيطان الشعر. قال الأخفش: ما رأينا أحداً أعلم بالشعر من الأصمعي. وقال أبو الطيب: كان أتقن القوم للغة، وتصانيفه كثيرة منها الأضداد وخلق الإنسان وللمستشرق الألماني وليم أهلورد كتاب سماه «الأصمعيات» توفي عام ٢١٦هـ. راجع جمهرة الأنساب ٢٣٤ وابن خلّكان ١:٢٨٨ وتاريخ بغداد ١٠:٤١٠.

(٣) هو علي بن حمزة بن عبدالله الأسدي أبو الحسن الكسائي، إمام في اللغة والنحو والقراءة من أهل الكوفة، ولد في إحدى قراها وتنقل في البادية وسكن بغداد وتوفي بالريّ عام ١٨٩هـ.
وهو مؤدّب الرشيد العباس وابنه الأمين له تصانيف منها (معاني القرآن) «والمصادر» و«النوادر». راجع غاية النهاية ١:٥٣٥ وابن خلّكان ١:٢٣٠ وتاريخ بغداد ١١:٤٠٣ وطبقات النحويين ١٣٨.

(٤) هو لبيد بن ربيعة بن مالك أبو عقيل العامري أحد الشعراء الفرسان الأشراف في الجاهلية من أهل عالية نجد، أدرك الإسلام ووفد على النبيّ ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ ويعد من الصحابة، ومن المؤلفة قلوبهم، وترك الشعر فلم يقل في الإسلام إلاّ بيتاً واحداً قيل هو:
ما عاتب المرء الكريم كنفسه ... والمرء يصلحه الجليس الصالح
وهو أحد أصحاب المعلقات توفي عام ٤١هـ ٦٦١م. راجع خزانة الأدب البغدادي ١:٣٣٧ ـ ٣٣٩ وآداب اللغة ١:١١١ والشعر والشعراء ٢٣١، ٣٤٣ والنقائض ٢٠١.

(٥) راجع ديوانه ص ٣٩.

يدلّ على إثبات القدر شيء كثير، ويؤيد ذلك ما جاء فيه من السنّة عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ومن الآثار، ومن الإجماع روي عن النبيّ عليه السلام أنه قال: «لكل أمة مجوس ومجوس هذه الأمة القدرية»[١] سموا مجوساً لأنهم يضيفون القدر إلى أنفسهم، وغيرهم يجعله لله دون نفسه ومدعي الشيء لنفسه أولى بأن يسمى به، دون مَن جعله لغيره، ولأنهم ضارعوا المجوس[٢]، بل زادوا على المجوس، وذلك أن المجوس نفت عن الله خلق الشرور، وزادت القدرية نفي خلق الخير من جميع أفعال الخلق عن الله عزّ وجلّ، وروي عنه صلّى الله عليه وسلّم أنه قال: «لو أن الرفق خلق يرى لم يكن شيء أحسن منه ولو أن الخرق خلق يرى لم يكن شيء أقبح منه»[٣] والرفق والخرق فعل

(١) الحديث رواه الطبراني وأبو داود وغيرهما عن ابن عمر مرفوعاً. قال الفتى لا أصل له، وقال القزويني موضوع وإن صححه الحاكم على شرط الشيخين فيما يقول النووي في شرحه على صحيح مسلم وقيل في إسناده جعفر بن الحارث وهو ليس بشيء قال عنه صاحب كتاب المجروحين: أصله من الكوفة سكن واسطاً وكان مكفوفاً يروي عن منصور وعاصم، وعنه محمد بن يزيد الواسطي ووكيع ويزيد كان يخطئ في الشيء بعد الشيء ولم يكثر خطؤه حتى يصير من المجروحين في الحقيقة ولكنه ممن لا يحتج به إذا انفرد وهو من الثقات. كتاب المجروحين ١:٢١٢.

(٢) المجوس: هم أصحاب الاثنين ويقال لهم «الدين الأكبر» و«الملة العظمى» ومسائلهم تدور على قاعدتين:

أ ـ أحدهما: بيان سبب امتزاج النور بالظلمة.

ب ـ الثانية: بيان سبب خلاص النور من الظلمة.

وجعلوا الامتزاج مبدأ والخلاص معاداً، ويعظم المجوس النار لمعان منها: أنها جوهر شرف علوي: وأنها لم تحرق إبراهيم عليه السلام، وكانت عليه برداً وسلاماً، وأن تعظيمهم إيّاها ينجيهم من عذابها يوم المعاد.

ومن أشهر فرقهم: الثنوية، والكيومرثية، المرقونية، الديصانية. راجع دائرة معارف القرن العشرين ٨:٤٤٨ والغلو والفرق الغالبة ٢٢ والملل والنحل ٢:٨٩ والقاموس الإسلامي ٣:٥٩.

(٣) الحديث المشهور الذي رواه مسلم عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ «إن الرفق لا يكون في شيء إلاّ زانه، ولا نزع من شيء إلاّ شانه». ورواية العسكري عن عائشة: بلفظ «ما كان الرفق في قوم إلاّ نفعهم ولا كان الخرق في قوم إلاّ ضرّهم». وروى العسكري عن أنس مرفوعاً: «ما كان الرفق في شيء قطّ إلاّ زانه ولا كان الخرق في شيء قطّ إلاّ شانه». ورواه عن جرير: «مَن يحرم الرفق يحرم الخير كلّه». وعند الدارقطني في الأفراد عن أنس: «إذا أراد الله بأهل بيت خيراً نفعهم في الدين ووقر صغيرهم كبيرهم ورزقهم الرفق في معيشتهم، والقصد في نفقاتهم، وبصرهم وبعيوبهم، فيتوبوا منها، وإذا أراد بهم غير ذلك تركهم هملاً».

العباد يمدحون به ويذمون عليه، وروي عنه صلّى الله عليه وسلّم أنه قال لمعاذ بن جبل:[1] «إن الله لم يخلق شيئاً هو أحب إليه من العتاق، ـ يعني مما رغب فيه من غير فرض ـ ولم يخلق شيئاً أبغض إليه من الطلاق»[2]. يعني مما هو دون ما نهى عنه من المعصية، وقد علمنا أن العتاق والطلاق فعل العباد، وروي عنه أنه قيل له: يا رسول الله لو سعرت لنا سعراً فقال: «إن الله هو المسعر[3] والعباد يحمدون على أن يرخصوا الأسعار، ويذمون إذا أغلوها»

---

(١) هو معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاري الخزرجي أبو عبد الرحمن صحابي جليل: كان أعلم الأمة بالحلال والحرام، وهو أحد الستّة الذين جمعوا القرآن على عهد النبيّ ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ وشهد بدراً وأُحداً والخندق والمشاهد كلّها مع رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ بعثه رسول الله قاضياً ومرشداً لأهل اليمن له ١٥٧ حديثاً توفي عقيماً عام ١٨هـ بناحية الأردن ومن كلام عمر: لولا معاذ لهلك عمر. راجع طبقات ابن سعد ٣:١٢٠ والإصابة ت ٨٠٣٩ وأسد الغابة ٤:٣٧٦ وحلية الأولياء ١:٢٢٨.

(٢) الحديث رواه الدارقطني عن معاذ مرفوعاً بلفظ: يا معاذ ما خلق الله شيئاً أحبّ إليه من العتاق، ولا خلق شيئاً على وجه الأرض أبغض إليه من الطلاق، فإذا قال الرجل لمملوكه أنت حرّ إن شاء الله فهو حرّ لا استثناء له. وإذا قال لامرأته أنت طالق إن شاء الله فله استثناؤه ولا طلاق عليه انتهى. راجع كشف الخفا ومزيل الالباس ١:٢٨.

(٣) الحديث روي من حديث أنس، ومن حديث أبي جحيفة، ومن حديث ابن عباس ومن حديث الخدري.

فحديث أنس: أخرجه أبو داود والترمذي في البيوع وابن ماجه في التجارات عن حماد بن سلمة عن قتادة، وحميد ثلاثتهم عن أنس وفيه زيادة: إن الله هو المسعر القابض الباسط الرازق، وإني لأرجو أن ألقى الله وليس أحد منكم يطالبني بمظلمة من دم ولا مال.

قال الترمذي: حديث حسن صحيح انتهى. ورواه الدارمي والبزار وأبو يعلى الموصلي في مسانيدهم ورواه ابن حبان في صحيحه ولم يذكر فيه المسعر. وأمّا حديث أبي جحيفة: فرواه الطبراني في معجمه: حدّثنا عبدالله بن محمد بن عزيز الموصلي ثنا غسان بن الربيع ثنا أبو إسرائيل عن الحكم عن أبي جحيفة قالوا: يا رسول الله سعر لنا الحديث.

وأمّا حديث ابن عباس: فرواه الطبراني في معجمه الصغير: حدّثنا محمد بن يزيد بن عبد الوارث ثنا يحيى بن صالح الوحاظي ثنا عيسى بن يونس عن الأعمش عن سالم بن أبي الجعد عن كريب عن ابن عباس بلفظ حديث أبي جحيفة.

وأمّا حديث الخدري: فرواه الطبراني في معجمه الوسط: حدّثنا محمد بن محمد النجار ثنا أبو معن الرقاش ثنا عبد الأعلى ثنا سعيد الجريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري قال: وذكره.

وروي عنه أنه مرّ على جنازة رجل من الأنصار فقال: اللّهمّ نقّه من الذنوب والخطايا كما تنقي الثوب الأبيض من الدنس[1]، والعباد هم الذين يقصرون الثياب، وأضاف رسول الله ذلك إلى الله كما ترى، لأنه المقدر لذلك، والمجرى له على أيدي العباد.

ومن الآثار ما روي عن علي بن أبي طالب أنَّه سئل عن الأفعال التي يستوجب بها العباد السخط من اللّه، الشيء من اللّه أم من العباد؟ فقال: من اللّه خلقاً ومن العباد فعلاً. وروي عن حذيفة بن اليمان[2] رضي اللّه عنه أنَّه قال: إنَّ اللّه خلق كل صانع وصنعته. وروي عن ابن عباس رضي اللّه عنه أنَّه قال: العجز والكيس بقدر. وهما فعل العباد يحمدون به ويذمون عليه، وروي عن ابن عباس أيضاً أنَّه قال: الزنا بقدر وشرب الخمر بقدر والسرقة بقدر، وقد روي : جرى القلم بذلك عن عدة من أصحاب رسول اللّه، وروي عن وهب[3] بن منبه أنَّه قال: في بعض كتب اللّه: أني أنَّا اللّه لا إله إلاَّ أنا

---

(١) الحديث رواه ابن ماجة في كتاب الجنائز ٢٣ باب ما جاء في الدعاء في الصلاة على الجنازة عن حبيب بن عبيد عن عوف بن مالك قال: وذكره. ورواه الإمام مسلم في كتاب الجنائز ٢٦ باب الدعاء للميت في الصلاة (٨٥) ٩٦٣ بسنده عن عوف بن مالك أيضاً وذكره.

(٢) هو حذيفة بن حسل بن جابر العبسي، أبو عبدالله. صحابي من الولاة الشجعان الفاتحين. كان صاحب سر النبيّ (صلّى اللّه عليه وسلّم) في المنافقين. لم يعلمهم أحد غيره. ولما ولي عمر الخلافه سأله: أفي عمالي أحد من المنافقين؟ فقال: نعم، واحد. قال: من هو؟ قال: لا أذكره. وحدث حذيفة بهذا الحديث بعد حين. فقال: وقد عزله عمر. وكأنَّ اللّه قد دله عليه. وولى عمر حذيفة على المدائن بفارس. فلما قدم المدائن، استقبله أهلها، فقرأ عهده. فقالوا: سلنا ما شئت. فطلب ما يكفيه من القوت. له في كتب الحديث ٢٢٥ حديثاً. توفي بالمدائن عام ٣٦ هـ. راجع ابن عساكر ٤: ٩٣، وتهذيب التهذيب ٢: ٢١٩، والإصابة ١: ٣١٧، وصفة الصفوة ١: ٢٤٩.

(٣) هو وهب بن منبه الصنعاني، أبو عبداللّه، مؤرخ كثير الأخبار عن الكتب القديمة، عالم بأساطير الأولين ولا سيما الإسرائيليات، يعد في التابعين أصله من أبناء الفرس الذين بعث بهم كسرى إلى اليمن. وأمه من حمير. ولد عام ٣٤ هـ، وتوفي عام ١١٤ هـ. ولاه عمر بن عبد العزيز، وينسب إليه: «إذا دخلت الهدية من الباب، خرج الحق من الكوة».
واتهم بالقدر، ورجع عنه. ويقال: ألف فيه كتاباً، ثمّ ندم عليه. وفي طبقات الخواص أنَّه صحب ابن =

خالق الخير، والشر، فطوبى لمن خلقته ليكون الخير على يديه، وويل لمن خلقته ليكون الشر على يديه. وروي عن أبي سعيد الخدري[1] أنَّه قال: من كذب بقدر اللّه كبه اللّه في النار ورأسه أسفل، وروي عن أبي هريرة[2] أنَّه قال: من قال لا قدر فاقتلوه. وروي عن عبداللّه بن عمر رضي اللّه عنه أنَّه قيل له: إنَّ قبلنا قوماً يقولون لا قدر، فقال: أخبروهم أني منهم بريء. ومن الإجماع أنَّ هذه الأمة قويها وضعيفها، صغيرها وكبيرها، مجمعة على أنَّ اللّه خالق، وما سواه مخلوق وأنَّه رب وما سواه مربوب، لا يقصدون إلى شيء دون شيء ولا يوقف صغير ولا كبير على شيء غير اللّه، ويمتنعون من القول بأنَّ اللّه خلقه، ولا يعرفون غير ذلك، ولا يدعون إلى سواه قد نشوا عليه، وغذوا به، لا تنازعهم أنفسهم إلى غيره فكان ذلك من إجماع من لم ينظر في الكلام دلالة على أنَّه أصل من أصول التوحيد وروي عن قتادة[3] أنَّه قال: ما زالت

= عباس ثلاث عشرة سنة. من كتبه: ذكر الملوك المتوجة من حمير. رآه ابن خلكان في مجلد واحد. راجع المعارف ٢٠٢، وتاريخ الإسلام للذهبي ٥: ١٤ ـ ١٦، وشذرات الذهب من ١: ١٥٠، ووفيات الأعيان ٢: ١٨٠، وطبقات الخواص ١٦١.

(١) هو سعد بن مالك بن سنان الخدري الأنصاري الخزرجي، أبو سعيد. صحابي. كان من ملازمي النبيّ (صلّى اللّه عليه وسلّم). وروي عنه أحاديث كثيرة. غزا اثنتي عشرة غزوة. وله ١١٧٠ حديثاً. توفي بالمدينة عام ٧٤ هـ. راجع تهذيب التهذيب ٣: ٤٧٩، وحلية الأولياء ١: ٣٦٩، وابن عساكر ٦: ١٨٠.

(٢) هو عبد الرحمن بن صخر الدوسي، الملقب بأبي هريرة. كان أكثر الصحابة حفظاً للحديث ورواية له. قدم المدينة، ورسول اللّه (صلّى اللّه عليه وسلّم) بخيبر، فأسلم سنة ٧ هـ. ولزم النبيّ (صلّى اللّه عليه وسلّم)، فروي عنه ٥٣٧٤ حديثاً جمع شيخ الإسلام تقي الدين السبكي جزءاً سمي «فتاوى أبي هريرة». توفي عام ٥٩ هـ. راجع تهذيب التهذيب ٢: ٢٧٠، وحلية الأولياء ١: ٣٧٦، والذريعة ٧: ١١٤.

(٣) هو قتادة بن دعامة بن قتادة، أبو الخطاب السدوسي البصري، مفسر، حافظ، ضرير، أكمه. قال الإمام أحمد بن حنبل: قتادة أحفظ أهل البصرة. وكان مع علمه بالحديث رأساً في العربية، ومفردات اللغة. وكان يرى القدر، وقد يدلس في الحديث. مات بواسط في الطاعون عام ١١٨ هـ. راجع تذكرة الحفاظ ١: ١١٥، ونكت الهميان ٢٣٠، والمعارف ٢٠٣، وطبقات المدلسين ١٦.

العرب تثبت القدر في الجاهلية والإسلام، وأنشدوا قول امرئ القيس[١] حيث يقول:

قد كنت أعذل في السفاهة أهلها ... وأعجب لما تأتي به الأيام
فاليوم أعذرهم وأعلم أنها ... سبل الغواية والهدى أقسام[٢]

وأنشدوا للبدوي[٣]:

كل شيء حتى أخوك متاع ... وبقدر تفرق واجتماع

وقال المرار[٤]:

ومن سابق الأقدار إذ دانت به ... ومن نائل شيئاً إذا لم يقدر

---

(١) هو امرؤ القيس بن حجر بن الحارث، من بني آكل المرار.
أشهر شعراء العرب على الإطلاق. يماني الأصل. اشتهر بلقبه، واختلف المؤرخون في اسمه. وكان أبوه ملك أسد وغطفان، وأمه أخت المهلهل الشاعر. أبعده أبوه إلى دمون بحضرموت. وهو في نحو العشرين من عمره. قتل والده، فعمل على الأخذ بثأره. له ديوان مطبوع. راجع تهذيب ابن عساكر ٣: ١٠٤، والشعر والشعراء ٣١، ودائرة المعارف الإسلامية ٢: ٦٢٢.

(٢) جاءت الأبيات في كتاب العقد الفريد تحقيق الأستاذ محمد سعيد العريان ط الرسالة، ونسبها إلى الشاعر امرىء القيس ٣: ٢٥٠.

(٣) هو أبو بكر بن عبدالله بن محمد بن أحمد، أبو البقاء، تقي الدين الدمشقي. أديب عارف بالتاريخ والشعر. ولد بدمشق عام ٨٤٧ هـ. وسكن القاهرة، ومات بغزة عائداً من الحج عام ٨٩٤ هـ. من كتبه: «غرر الصباح في وصف الوجوه الصباح» وديوان شعر، وسحر العيون. راجع الضوء اللامع من ١١: ٤١، وكشف الظنون ١٩٤١.

(٤) لعله المرار بن سعيد بن حبيب الفقعسي، أبو حسان. شاعر إسلامي، من شعراء الدولة الأموية. وهو القائل:

إذا افتقر المرار لم يرَ فقره ... وإن أيسر المرار أيسر صاحبه

نسبته إلى فقعس من بنى أسد بن خزيمة. قال المرزباني عنه: كان كثير الشعر. ويقول الشيخ أحمد شاكر في تحقيقه لكتاب الشعر والشعراء: المرارون من الشعراء سبعة: المرار الفقعسي، والمرار العدوي، والمرار العجلي، والمرار الطائي، والمرار الشيباني، والمرار الكلبي، والمرار الحرشي. راجع خزانة للبغدادي من ٢: ١٩٦، والشعر والشعراء من ٦٨٠ـ٦٨٣.

وقال جميل[1]:

أقدر أمراً لست أدري أنا له ... وما يقدر الإنسان والله قادر

وقال ابن الأحمر[2]:

شربنا وداوينا وما كان ضرنا ... إذا الله حم القدر إلاَّ تداويا[3]

وقال الراعي[4]:

وهن يحاذرن الردى أن يصيبني ... ومن قبل خلقي خط ما كنت لاقيا

---

(١) هو جميل بن عبدالله بن معمر العذري القضاعي أبو عمرو، شاعر من عشاق العرب افتتن ببثينة من فتيات قومه فتناقل الناس أخبارهما. شعره يذوب رقة أقلَّ ما فيه المدح وأكثره في النسيب والغزل والفخر. وفد على عبد العزيز بن مروان بمصر فأكرمه عبد العزيز وأمر له بمنزل فأقام قليلاً ومات فيه. ولعباس محمود العقاد: «جميل بثينة» راجع ابن خلكان ١١٥:١ وابن عساكر ٣: ٣٩٥ والآمدي ٧٢ والشعر والشعراء ١٦٦ وخزانة البغدادي ١: ١٩١.

(٢) هو عمرو بن أحمر بن العمرَّد بن عامر الباهلي أبو الخطاب شاعر مخضرم، عاش نحو ٩٠ عاماً من شعراء الجاهلية وأسلم وغزا مغازي في الروم وأصيبت إحدى عينيه، ونزل بالشام مع خيل خالد بن الوليد، حين وجهه إليها أبو بكر ثمّ سكن الجزيرة وأدرك أيام عبد الملك بن مروان، له مدائح في عمر، وعثمان وعلي وخالد لم يلق أبا بكر وهجا يزيد بن معاوية فطلبه يزيد ففر منه. عده ابن سلام من الطبقة الثالثة من الإسلاميين ومن محاسن شعره:

متى ما تطلب المعروف في غير أهله ... تجد مطلب المعروف غير يسير

إذا أنت لم تجعل لعرضك جنة ... من الذم سار الذم كل مسير

توفي عام ٦٥ هـ. راجع خزانة الأدب للبغدادي ٣: ٣٨ وابن سلام ١٢٩ والإصابة ت ٦٤٦٨ والآمدي ٣٧ والشعر والشعراء ١٢٩ وجمهرة أشعار العرب ١٥٨.

(٣) راجع الشعر والشعراء ١: ٣١٧ وآمال المرتضى ١: ٣٧٠.

(٤) هو عبيد بن حصين بن معاوية بن جندل النميري أبو جندل: شاعر من فحول المحدثين كان من جلة قومه، ولقب بالراعي لكثرة وصفه الإبل، وكان بنو نمير أهل بيت وسؤدد وقيل: كان راعي إبل من أهل بادية البصرة عاصر جرير والفرزدق وكان يفضل الفرزدق فهجاه جرير هجاء مراً وهو من أصحاب الملحمات وسماه بعض الرواة «حصين بن معاوية». ومن بديع ما أورده المبرد من شعره.

قتلوا ابن عفان الخليفة محرماً ... ودعا، فلم أر مثله مخذولا

فتفرقت من بعد ذاك عصاهم ... شققاً وأصبح سيفهم مفلولا

توفي عام ٩٠ هـ. راجع الأغاني ٢٠: ١٦٨ وجمهرة أشعار العرب ١٧٢ وشرح الشواهد ١١٦ وابن سلام ١١٧ وخزانة البغدادي ١: ٥٠٤ والشعر والشعراء ١٥٦.

وقال التغلبي[1]:

لعمــرك مــا يــدري الفتى كيف يتقـي   إذا هــو لم يجعــل لــه الله واقـيــاً[2]

وقال الشماخ[3]:

وإني عــداني عـنـكـما غــير مــاقـت   نــواران مكتــوب عليَّ بقــاهمــا[4]

مكتوب أي مقدر عليّ بقاهما طلابها في شعر كثير جاهلي وإسلامي، وإنما غلطت المعتزلـة في نفي خلق أفعال العبـاد من حيث غلطت الجهمية، وأصناف المجبرة في إثبات الجبر للعباد وأوتي على الفريقين جميعـاً من قبل غلطهم في جهات الفعل وجهلهم بها وذلك أنَّ المعتزلة قالت: لما ثبت حمد الله على الفعل وذمه، ووصف الفاعل بالاختيار له، ثبت أنَّه فعله، وبطل أن يضاف إلى غيره، لأنَّه غير متجز وغير جائـز أن يكون فعـلاً من فاعلين وقـالت الجهمية[5]: لما كانت الأعمال بمعانيها التي هي بها من اختلاف ما اختلف منها، واتفاق ما اتفق، وثبت عجز العباد عنها من هذه الوجوه أن تكون لهم فعلاً، بطل أن تكون للعباد فعلاً بوجه من الوجوه لأنَّ الفعل غير متجزء، ولا يجوز أن يكون مضافاً إلى فاعلين، فغلط أهل الجبر، ولم ينظروا إلى ما ثبت من الحمد والذم والأمر والنهي والاختيار للفعل المفعول عن المتروك. وغلط أهل

(١) هو صريم بن معشر بن ذهل بن تميم، من بني تغلب. شاعر جاهلي، يماني الأصل. مات في بادية الشام نحو ٦٠ ق هـ. لقب بأفنون لقوله في أبيات: «إنَّ للشبان أفنوناً». راجع شرح شواهد المغني ٥٤، ورغبة الآمل ١: ٥٢ والشعر والشعراء ١٥٩، وشعراء النصرانية ١٩٢.

(٢) راجع الشعر والشعراء ١: ٣٨٢. وفيه «ما يدري امرؤ» بدلاً من قوله «الفتى».

(٣) هو الشماخ بن ضرار بن حرملة بن سنان الذبياني الغطفاني. شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام. وهو من طبقة لبيد والنابغة. جمع بعض شعره في ديوان، ثمّ طبع. شهد القادسية. وتوفي في غزوة موقان عام ٢٢هـ. قال البغدادي وآخرون: اسمه معقل بن ضرار. والشماخ لقبه. راجع الإصابة، الترجمة ٣٩١٣، والأغاني ٨: ٩٧، وخزانة البغدادي ١: ٥٢٦ والتبريزي ٣: ٦٥.

(٤) راجع ديوان الشماخ ص ٨٨. ط القاهرة ١٣٢٧ هـ.

(٥) كتبت كلمة عن الجهمية في ص ١٠٥ الآتية. ويراجع نشأة الآراء والمذاهب والفرق الكلامية ١: ١٧٥، والمقالات ١: ٣١٢، والفرق بين الفرق ص ٢١١. والتبصير ص ٦٤.

القدر حين لم ينظروا إلى ما ثبت من عجز العباد عن أن يجعلوا أفعالهم على ما هي به من كيفيتها، وأعيانها من اختلاف ما اختلف منها واتفاق ما اتفق، وفي غلط الفريقين فيما غلطوا فيه، دليل على أنَّ الفعل من جهة عجز الفاعل عنه ونفى أن تكون له فيه قدرة عليه خلق اللّه، وأنَّه من جهة ما يثبت قدرة الفاعل عليه واختياره وإجازة الإضافة به إليه فعله.

ومسائل القدر وجواباتهم لأصحاب المخلوق مسائل أصحاب المخلوق وجواباتهم للمجبرة[1]، ومسائل المجبرة وجواباتهم لأصحاب المخلوق مسائل أصحاب المخلوق وجواباتهم للقدرية، وعبارة كل واحد من الفريقين هي عبارة أصحاب المخلوق للفريق الآخر.

وأنت حفظك اللّه إذا قابلت بين هذه الجوابات وبين هذه المعارضات عرفت تظالم القوم، وعجزهم عن معرفة ما يلزمهم، وكل ما دلّ اللّه به على ربوبيته، ووحدانيته في أحداثه الأشياء وخلقه لها، فهو دلالة على ربوبيته ووحدانيته في أحداثه الأفعال وخلقه لها، وكل ما دلّ على عجز الخلق على القيام بنفسه، وعلى حاجة بعضه إلى بعض وعجز جميع ذلك كله عن القيام بنفسه دون مقيمه، وحاجة جميعه إلى محوجه فهو دلالة على عجز الأفعال عن القيام بنفسها وحاجتها إلى من يقوم بها وذلك كله دلالة واضحة، وحجة بالغة على أنَّ اللّه معجز جميع ذلك ومحوجه ومقيمه ومدبره، وخالقه، وكل ما دللنا به على إثبات حدوث الأشياء وإيجاب خلقها، والنقض على أهل الإلحاد في صدر السفر الأول من الكتاب، فهو دلالة على خلق الأفعال لما كانت الأفعال داخلة في جملة الأشياء، وجملة الأشياء مشتملة على الأفعال، وكل ذلك نقض

(١) الجبرية عدها من الفرق كل من البغدادي في كتابه «الفرق بين الفرق» يذكرهم بأسماء فروعهم من الجهمية والبكرية والضرارية والنجارية. ص ٢١١: ص ٢١٣. وكذلك يفعل الاسفراييني في التبصير من ١٠٧-١١٠. ويذكرهم باسمهم العام الرازي في كتابه: «اعتقاد فرق المسلمين». ويقول: والمعتزلة يسمون أصحاب هذا الرأي: الجيرية والمجبرة. ص ١٠٣- ١٠٦.

على القدرية فيما أتوا من ذلك، ولو تتبعت هذا الباب دليلاً دليلاً من كتاب الله عزّ وجلّ، ومن سنة نبيه صلّى الله عليه وسلّم، ومن آثار الأئمة، ومن إجماع الأمة، وشاهد القياس الذي لا تزور شهادته، ولا تجرح عدالته، لكان بذلك شغلاً عما سواه.

وقد قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلاَمٌ وَالبَحْرُ يَمُدُّه مِنْ بَعْدِه سَبْعَةُ أَبْحُرٍ، مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾[١] التي جعلها دالة على ربوبيته، وشهادات على وحدانيته، وقال عزّ وجلّ: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾[٢] لما كان علم الخلق ذا نهاية، ألا ترى إلى قوله: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾[٣] فجعل نهاية علم كل عالم علم عليم فوقه، حتى ينتهي العلم إلى العليم الذي لا فوقه عليم، فالناظر بعين الاستغراق[٤] إلى العلم واللاحظ له بلحظ الاستفراغ، ناظر في تأهيل عين الشمس، فعند ذلك ينقلب إليه بصره خاسئاً ويرجع إليه عقله حسيراً، وفهمه كليلاً، وكاللأطم بجهله أمواج البحر، والممارس بضعفه قوى عواصف الرياح، وهيهات هيهات متى يدرك ما لا يدرك، مما وقع به مرارة اليأس، وانقطعت دونه سبل الأوهام، وأن بينه وبين مرام ذلك حيرة الحكماء وبهت العلماء ووهن التقصير وهو إنما خوطب ببعض أجزاء المعلوم من المنظور إليه والمشهود، وهو عما يرى محجوب.

---

(١) سورة لقمان آية رقم ٢٧.

(٢) سورة الاسراء آية رقم ٨٥.

(٣) سورة يوسف آية رقم ٧٦.

(٤) استغراق الحد شموله لجميع الأفراد، بحيث لا يخرج منها شيء. مثال ذلك أنَّ استغراق الموضوع في القضايا الكلية استغراق كلي. وفي القضايات الجزئية استغراق جزئي. وفي القضايا السالبة استغراق كلي. والاستغراق عند المتصوفين ألا يلتفت قلب الذاكر إلى الذكر في أثناء الذكر، ولا إلى القلب. وأول شروط التصوف كما قال الغزالي تطهير القلب بالكلية عما سوى الله. ومفتاحه استغراق القلب بالكلية بذكر الله. راجع المنقذ من الضلال ص ١٠٦.

باب القول في إرادة اللّه عزّ وجلّ
هل هي صفة للّه في ذاته أم فعل من أفعاله؟
والنقض على من قال بغير الحق في ذلك

قالت المعتزلة كلها إلاَّ إبراهيم[1] النظام إنَّ الإرادة من اللّه فعل من أفعاله، وهي عين الأمر بالطاعة، فإذا أحدث الإرادة للإيمان أمر بالإيمان، ولا يجوز أن يكون يأمر بالشيء وهو غير مريد له، فإذا أراد أمر به، فالإرادة عين الأمر، وقال إبراهيم النظام: الإرادة[2] من اللّه فعل وهي على ثلاثة أوجه: إرادة الأمر، وإرادة حكم، وإرادة ثواب، فعلى هذا أنَّه لا حق بهم، حيث زعم أنَّ الإرادة من اللّه فعل، ونفى أن تكون الإرادة صفة ذات، فقولنا إنَّ إرادة اللّه عزّ وجلّ صفة في ذاته واجبة له، لأنَّ الاستكراه عن اللّه منفي، لا يجوز أن يوصف به في حين من الأحيان، كما لا يجوز أن يوصف بالضعف، ولا بالعجز، ولا بالجهل، فلما بطل الوصف للّه بالاستكراه كما بطل الوصف له بما ذكرنا، كان لكل ضد من هذه الأضداد المنفيات عن اللّه لفظ به أزال العباد

---

(١) هو إبراهيم بن سيّار بن هانىء البصري، أبو إسحاق النظام، من أئمة المعتزلة. قال الجاحظ: الأولون يقولون في كل ألف سنة يوجد رجل لا نظير له. فإن صح ذلك فأبو إسحاق من أولئك. تبحر في علوم الفلسفة، واطلع على أكثر ما كتبه رجالها. رئيس فرقة من المعتزلة، سميت النظامية نسبة إليه. وفي كتاب الفرق بين الفرق أنَّ النظام عاشر في شبابه السمنية،/وخالط ملاحدة الفلاسفة، وأخذ عن الجميع. وفي لسان الميزان أنَّه متهم بالزندقة. توفي عام ٢٣١ هـ. راجع تاريخ بغداد ٦: ٩٧، واللباب ٣: ٢٣٠، وخطط المقريزي ١: ٣٤٦.

(٢) قال المتكلمون: إنَّها صفة تقتضي رجحان أحد طرفي الجائز على الآخر لا في الوقوع بل في الإيقاع. وقال في شرح المواقف: الإرادة من الكيفيات النفسانية فعند كثير من المعتزلة: هي اعتقاد النفع أو ظنه. قالوا: إنَّ نسبة القدرة إلى طرفي الفعل على السوية فإذا حصل اعتقاد النفع أو ظنه في أحد طرفيه ترجح على الآخر عند القادر وأثّرت فيه وعند الأشاعرة: هي صفة مخصصة لأحد طرفي المقدور بالوقوع في وقت معين، والميل المذكور ليس إرادة، فإنَّ الإرادة بالاتفاق صفة مخصصة لأحد المقدورين بالوقوع. راجع كشاف اصطلاحات الفنون ٣: ٣٢ ـ ٣٦.

عنه ضد ذلك اللفظ، فأزالوا الجهل بقـولهم: عالم لم يـزل، وأزالوا الضعف بقولهم: قوي لم يزل، وأزالوا العجز بقولهم: قدير لم يزل، والذل بقولهم: عزيز لم يزل، وكذلك مريد لم يزل صفة ينفي بها الاستكراه عن اللّه عزّ وجلّ، ومع هذا فإنَّا لا ننكر أن يقال: إنَّ اللّه أراد طاعته من عباده على معنى أمرهم بها، ودعاهم إليها وليس ذلك بصفة له في ذاته التي هي نفي الاستكراه عنه وليس يجوز أن تكون إرادة اللّه هي المراد، ولو كانت الإرادة هي المراد، لكان العلم هو المعلوم والقدرة هي المقدور عليه والعزة هي المتعزز عليه، وفي فساد أن يكون العلم هو المعلوم وسائر هذه الصفات ما يدل على أنَّ الإرادة غير المراد، فلما كان جميع فعل اللّه مراداً له أن يكون كما أراد، بطل أن يكون شيء منه إرادة للّه عزّ وجلّ، وثبت أنَّ إرادته صفة ذاته تعالى عن أن يكون مستكرهاً أو مغلوباً.

فإن قال قائل: فهل تصفونه لم يزل بأنَّه مريد؟ قلنا: نعم، فإن قالوا: ومعنى مريد عندكم نفي الكره، وليس الأزل بموضع فعل، فينفي فيه الكره، قلنا: إنَّ الكره لا يتقدم الوقت الذي يكون فيه الفعل، كما لا يتقدم الجهل الوقت الذي يكون فيه المعنى المعلوم، فنفى أن يكون في الأزل ما لا يكون، وكذلك ينفي في الأزل أن يكون مع اللّه خالق يستكرهه، أو يحدث له مانعاً يكون من أجله مستكرهاً على كون ما يكون من فعله، وهذا الذي ذكرنا من النفي ومثله نفي عن الذات أن تكون موصوفة بهذه المعاني التي نفيناها من الجهل والضعف والاستكراه فقط، لا على أنَّ هنالك أشياء موجودة تنفي عن اللّه عزّ وجلّ، فإن قال: فإذا كان لم يزل مريداً لأن تكون الأشياء فلم لا كانت الأشياء لم تزل؟ قيل له: ليست العلة في أن كانت الأشياء هي أن كان اللّه مريداً، ولو كانت لأنَّه كان مريداً، ما كانت الأشياء مختلفة إذ الإرادة غير موصوفة بالاختلاف، ولكنَّ العلة في أن كان كل شيء من الأشياء كلها علة أخرى من الأشياء، فالأشياء بعضها علة لبعض، وغير جائز أن يقال: إنَّ لها علة في أن كان جميعها.

ومسألة السائل في لم كانت الأشياء لا تخرج؟ منواله أن يكون أراد، أن يجعل لها علة غير الأشياء، وغير المكون لها، وهذا محال لأنَّه لا شيء يخرج من الأشياء، أو أن يكون حاول أن يجعل الصانع علة في أن كانت الأشياء، فيثبت قدم الأشياء لقدم العلة، أو يزعم أنَّ الصانع الـذي هو علة في أن كـانت الأشياء محدثة مصنوعة فكل هذا فاسد فيبطل سؤال السائل عن العلة في أن كانت الأشياء لما ذكرنا، وصح أنَّه إن سأل عن شيء بعينه لم كان، أن يقال له: لعلة كذا، فالأشياء بعضها علة لبعض، مع أننا نقول في أصل قولنا: إنَّ اللّه لم يزل مريداً لكون الأشياء، نعني أنَّه مريد لأن تكون في أوقاتها، فإن قال: أليس لم يزل مريداً لأن تكون الأوقات؟ قلنا: نعم، فإن قال: فما بال الأوقات لم تكن لم تزل؟ قلنا: لأنَّه أراد أن تكون الأوقات أوقاتاً للأشياء الكائنات فيها، وأراد أن تكون الأشياء، إذا كانت الأوقات، فبطل قوله في أزلية الأوقات للأشياء الكائنات في الأوقات، كما أنَّه نقول نحن ومن خالفنا: إنَّ اللّه لم يزل يعلم الأشياء، ولم يزل قادراً على كون الأشياء والأوقات، وغير جائز أن يقال: إنَّ الأشياء الكائنات في الأوقات لم تزل.

فإن قال قائل: هل أراد اللّه أن يعصى؟ قيل له: إن كنت تريد أراد اللّه أن يعصى بمعنى أمر بالمعصية فلا، بل أراد اللّه أن يطاع بهذا المعنى وإن كنت تريد أراد المعصيـة أي جعلها خـلافاً للطاعـة غير مستكـره على أن تكون المعصية من العصاة والكفر من الكافرين، فهذا ما نقول، فالإرادة في هذا الموضع نفي الكره، فلما نفى عنه الكره في المعصية من طريق إضافتها إلى العباد، قلنا: يستحيـل أن ينفي الكره عنه في فعل غيره، والجائز أن ينفي عن الفاعل الكره في فعله، فلما كانت المعصية مضافة إلى اللّه أنَّه خلقهـا وجعلها خلافاً لما خالفها من الأشياء، وجعلها غير محتملة للبقاء ولا متجلية للعيان كان اللّه موصوفاً بأنَّه مريد لها من جهة ما أضيفت إليه أنَّه خلقها، كذا، وهو غير مستكره على أن يخلقها كذا، ولما كان غير جائز أن تضاف إلى اللّه من جهة ما أضيفت إلى العباد، بطل أن يوصف بالإرادة لها من جهة ما

أضيفت إلى العباد ففسد لهذه العلة أن يقال انَّ اللّه أراد أن يعصى، وجاز أن يقال إنَّ اللّه أراد المعصية من جهة أن خلقها.

فإن قال فهل أراد اللّه الطاعة[1] من العاصين؟ قلنا: قد أنبأنا بأنَّه قد يقال: إنَّ اللّه أراد الطاعة بمعنى أمر بها أو كنت تذهب بقولك أراد الطاعة ممن لا تكون الطاعة كائنة منه في علم اللّه، فاللّه عزّ وجلّ غير موصوف بأنَّه مريد لكون الطاعة منه، وهي غير كائنة، لأنَّه لا ينفي عنه الكره فيما لا يكون، كما كان مستحيلاً أن ينفي عنه الجهل فيما لا يكون، ومما يدل على صحة ما قلنا في أنَّه لا يكون شيء إلاَّ واللّه لأن يكون بما هو به شاء مريد، قول اللّه عزّ وجلّ: ﴿وَمَا تَشَاءُون إلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾[2]، وقوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا﴾[3] وقوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾[4] وقوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا﴾[5] يقول: لو كان موصوفاً بالمشيئة لأن يكون الاتفاق ما اختلفوا، يقول: لا يكون أن يكون اللّه منفياً عنه الكره في كون شيء من الأشياء إلاَّ وذلك الشيء مما يكون، وقال: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلنَا إِلَيْهِمُ الْمَـلاَئِكَةَ وَكَلَّمَهُم الْمَوتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاَ مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾[6] يقول: لا يكون أن يكونوا مختارين للإيمان قاصدين إليه، ولو نزلت عليهم الملائكة، وكلمهم الموتى، وحشرنا عليهم كل شيء قبلا، وما كانوا ليؤمنوا ليختاروا الإيمان واللّه غير موصوف بأنَّه يكون شائياً مريداً كما لا

(١) الطوع: الانقياد ويضاده الكره قال تعالى: ﴿أئتيا طوعاً أو كرهاً.﴾ والطاعة مثله: لكنَّ أكثر ما تقال في الائتمار لما أمر والإرتسام فيما رسم قال تعالى: ﴿ويقولون طاعة.﴾ وقال: ﴿طاعة وقول معروف﴾ أي اطيعوا، والتطوع في الأصل: تكلف الطاعة وهو في التعارف التبرع بما لا يلزم كالتنفل قال تعالى: ﴿فمن تطوع خيراً فهو خير له﴾.

(٢) سورة الإنسان آية رقم ٣٠.

(٣) سورة الأنعام آية رقم ١٠٧.

(٤) سورة الأنعام آية رقم ١١٢.

(٥) سورة البقرة آية رقم ٢٥٣.

(٦) سورة الأنعام آية رقم ١١١ وقد جاءت الآية محرفة في المطبوعة حيث قال (أنزلنا) بدلاً من (نزلنا).

يكون أن يكونوا مختارين للإيمان قاصدين إليه والله يكون غير موصوف بأنَّه عالم بذلك، فإن قال قائل: إنما قوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا﴾[1] يقول: لو شاء الله أن يضطرهم على الإيمان فلا يختلفون، قيل له: لو كان إنما أراد أنَّه لو شاء اضطرهم على الإيمان لكانوا أذن مضطرين على الفعل، كانوا غير موصوفين بأنَّهم مؤمنون لأنَّه لا يجوز أن يكون مؤمناً من كان مستعملاً في فعله، مضطراً عليه، لإبطال وجود الكسب عمن اضطر على فعل من الأفعال، ويقال للمعتزلة في قولهم: إنَّ الإرادة من الله فعل يفعله، وهو عين الأمر بالطاعة، فإذا أحدث الإرادة لشيء فعله وإذا أحدث الإرادة للإيمان أمر بالإيمان، ولا يجوز أن يكون يأمر بالشيء، وهو غير مريد له، فإذا أراده أمر به، فالإرادة غير الأمر، ويقال لهم: أرأيتم الإرادة لخلق ما خلق من الخلق هل هي غير خلقه له؟ فقالوا: لا، ولكنَّ الإرادة لأن يخلق الخلق هي خلقه له، فقيل لهم: إذا كانت العلة في إرادته الإيمان أنَّها عين الأمر به هي أنَّه لا يكون أن يأمر به إلاَّ وقد أراده، فكذلك يلزمكم في أنَّه لا يخلق شيئاً من الخلق إلاَّ وقد أراده، فالإرادة متقدمة للخلق، كما كانت في الإيمان متقدمة للأمر به، وقد قال الله عزّ وجلّ ما يؤكد أنَّ الإرادة غير الخلق لقوله: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[2] فدل أنَّ القول منه لأن يكون الشيء بعد الإرادة منه له، وفي إيجاب إقراركم أنَّ الإرادة من الله للإيمان غير الأمر به لما اعتللتم به من أنَّه لا يأمر به وقد أراده ما يقضي عليكم أنَّ الإرادة من اللّه لأن يخلق الأشياء، غير الخلق للأشياء، لأنَّه لا يخلق إلاَّ ما أراد، فالإرادة قبل خلقه له.

وهذا الذي قلنا به في الإرادة هو قول الأباضية[3] والزيدية[4]

(١) سورة البقرة آية رقم ٢٥٣.

(٢) سورة النحل آية رقم ٤٠.

(٣) سبقت الترجمة عن هذه الفرقة في هذا الجزء ص٢٠.

(٤) أنظر الترجمة عن هذه الفرقة في هذا الجزء ص ٩٤.

والمرجئة[1] والعامة وما عليه صدر الإسلام، بنقلهم الجملة التي يتوارثونها عن الماضين من الإسلاف «إن ما شاء اللّه، كان، وما لم يشأ لم يكن» تبارك اللّه ربّ العالمين.

باب القول في العدل[2] وفي إثبات العدل. والرد على من قال بغير الحق في ذلك.

قالت الجهمية ومن ضارعهم من أهل الجبر: لما ثبت عجز العباد عن أن يجعلوا حركاتهم وسكونهم بغير ما هي به من الوجود في وقت ثمّ لا يوجد في غيره وتثبت قدرة اللّه على ذلك، وإضافة حركات العباد وسكونهم إلى اللّه بالتقدير لها، والخلق لذلك، والتدبير له، ثبت أنَّ حركاتهم وسكونهم فعل اللّه من جميع الجهات، وأنَّها ليست بفعل لأحد. غير اللّه بمعنى من المعاني، وزعموا أنَّ اللّه عذب الخلق على ما فعل، لا على ما فعلوا هم، وكل ما كان من فعل فهو فعل اللّه في الحقيقة، وهو مضاف إلى الإنسان، مثل قولك: طلعت الشمس، وهبت الريح، ومات فلان واستدلوا على ذلك، زعموا أنَّهم لما وجدوا اللّه فعالاً للأشياء لا من شيء ومن صفته الفعال، فلن يجوز أن يوافق اللّه أحد في صفته، لأنَّ الفعال هو الخلاق، ولا يجوز أن يكون الخلاق غير اللّه،

---

(١) سبقت الترجمة عن هذه الفرقة في هذا الجزء ص٢١

(٢) العدل خلاف الجور. يقال: عدل عليه في القضية فهو عادل. والعدل ضربان: مطلق يقتضي العقل حسنه، ولا يكون في شيء من الأزمنة منسوخاً، نحو الإحسان إلى من أحسن إليك. وعدل يعرف كونه عدلاً بالشرع، ويمكن أن يكون منسوخاً في بعض الأزمنة، كالقصاص، وأرش الجنايات. قال تعالى:
﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم﴾ (سورة البقرة آية ١٩٤). ويقال: فلان يعادل هذا الأمر إذا ارتبك فيه، ولم يمضه. قال الشاعر:
إذا الهم أمسى وهو داء فامضه   فلست بممضيه وأنت تعادله
راجع بصائر ذوي التمييز ٤: ٣٠.

فأهل النار في النار يألمون على غير فعل فعلوه وأهل الجنة يتلذذون على غير فعل فعلوه، وإنما هو أنَّ اللّه أعطاهم. وغلطوا من طريق ما غلط فيه أهل القدر في إزالتهم الخلق عن فعل العباد، وذلك أنَّهم قالوا: لما ثبت النهي من اللّه عن معصيته، والأمر بطاعته، وثبت أنَّ للعباد القدرة على أن يتحركوا ويسكنوا ثبت أنَّ التحرك والسكون هو فعلهم، وإذا ثبت أنَّها من فعلهم فلن يجوز أن يضافا إلى أحد سواهم بجهة من الجهات، ولا بمعنى من المعاني، وغلطت الجهمية، وأصناف المجبرة، كما غلطت القدرية، وقد ذكرنا هذا في باب إثبات القدر.

وقال أهل الحق: إنَّ اللّه قدّر جميع الأفعال وخلقها، وقضاها من فاعليها ولسنا نقول: إنَّه جبر أحداً على ما كان منه من طاعة أو معصية، ولا نقول: إنَّ أحداً أوتي في شيء من التقصير عن طاعة ربه من قبل اللّه في تقديره لما كان منه من فعله، ولا قضائه، ولا علمه أنَّه سيكون منه، والجبر منع واستكراه، ولم نرَ أحداً من العاملين للطاعة والمعصية مستكرهين على شيء من فعلهم، وهم لكل ما فعلوه من ذلك مريدون، ولجميع ما أتوا من الفعل المفعول عن المتروك مختارون، وإليه قاصدون، فبطل بذلك قول جهم[1] ومن قال بقوله من أصناف المجبرة.

ونحن سائلوهم فنقول لهم: ما وجه الحكمة من اللّه في أمره لمن أمر من عباده، أو نهيه لمن نهاه منهم؟ إذا كان القول عندكم في الأفعال على معنى ما ذكرتم من قول القائل: طلعت الشمس، وهبت الريح، ومات الرجل؟ فهلا أمر الشمس ونهاها بالطلوع، والريح بالهبوب والرجل بأن يموت أو ينهي عن ذلك

(١) كتبت عنه كلمة في ص ٤٣ . ويراجع اعتقاد فرق المسلمين والمشركين ص ١٠٣. والتبصير في الدين ص ١٠٧. والفرق بين الفرق ص ٢١١. ويقول عنه صاحب اعتقاد فرق المسلمين: كان من قول جهم: إنَّ العبد ليس قادراً البتة. وكان يقول: إنَّ الله تعالى محدث. ولم يطلق على اللّه تعالى أسم الموجود والشيء. ص ١٠٤.

إذا كان الأمر في جميع ذلك على ما قلتم؟ وفي إبطال الأمر في هذه الأشياء والنهي عنها، وإثبات الأمر والنهي في غيرهـا من أفعال العبـاد، ما يـوجب التفرقة بين ما سويتم بينه من ذلك، فهل تتفق التسوية بين الحكم إلاَّ باتفاق العلل، وأما إذا اختلفت العلل فلا.

ثمّ يقال لهم: ما وجه الحكمة من اللّه في ذمه من ذم، وعذابه من عذب إذ ليس له فعل؟ وهل يجوز تعذيب النبيين والمرسلين، وغيرهم من المؤمنين على غير فعل فعلوه، ويؤلمهم بالنار كما آلم من ذكرنا من أهلها على غير فعـل فعلوه؟ وما وجه حكمه على القاتل بقتله والسارق بقطع يده والزاني بجلده، ورجمه إذ ليس لواحد منهم جرم فيما نسب إليه. وهل يجوز أن يحكم عـلى هؤلاء بأحكامه للمؤمنين، ويحكم للمؤمنين الصادقين عليه في صفته بمثل أحكامه على الكافرين الكاذبين عليه من أهل عداوته؟ إذ ليس لواحد منهما فعل على الحقيقة، ويقال لهم: أخبرونا عن المخالف لكم في المذهب من أهـل القدر، وغيرهم، هل تصفونه بالكذب على الله والخروج من دينه؟ فإن زعمتم ذلك أكذبتم أنفسكم بقولكم: إنَّه ليس أحد بكاذب على اللّه ولا واصف له بما لا يجوز من ذلك لأنَّ اللّه هو الكاذب على نفسه في قولكم، والواصف لـه بما يتعالى عنه من اتخاذ الصاحبة والولد، وغير ذلك مما قاله فيه أصناف المشركين، فهو القائل لجميع ذلك في الحقيقة في نفسه، لا أنَّ أحداً منهم قائل ذلك ولا فاعل له، ويقال لهم: أكان جائزاً على اللّه تعالى في صفته وعدله وحكمته أن ينهي عن القبيح عما هو به من القبح، ويأمره بأن يكون حسناً؟ وينهي القصير عن قصره، ويأمره بأن يكون طويلاً؟ والأعمى أن يكون بصيراً؟ وينهي البصير عن أن يكون بصيراً؟ فإذا أجازوا الأمر بذلك، وأجازوا المحمدة فيه والمذمة عليه أو يأمره أن يكون طويلاً وأوجبوا في ذلك الثواب والعقاب، قيل: إذا جاز هذا فأنتم لا تدرون لعله يجوز أن يتعبد الميت في حالة موته بالحياة أو الحي بالموت ثمّ يعاقب الميت على أن لا يكون حياً، والحي على أن يكون ميتاً، فإن تجاسروا على هذا قيل: أفجائز أن يأمر بشيء ويذكر أنَّه طاعة وينهي عن

شيء ويذكر أنَّه معصية ثمّ يعاقب على طاعته، ويثيب على معصيته؟ فإن زعموا أنَّ ذلك جائز قيل: فما وجه الأمر فيه والنهي؟ أم كيف يوصف هذا الفعل بأنَّه طاعة إذا جعل عليها عقاباً؟ أم كيف كانت المعصية معصية إذ جعل عليها ثواباً؟ فإن قالوا: لا يجوز أن يعاقب على ما أمر به، ولا أن يثيب على ما نهى عنه، قيل: ولم وكلا الأمرين فعله والعاصي المعاقب المذموم، والمطيع المثاب المحمود لا فعل لهما في الحقيقة يحمدان عليه أو يذمان؟ وإنما ذلك كله للّه ومنه عزّ وجلّ عما يقول المبطلون مع ما وجدنا من إبطال أمر اللّه ونهيه، وسقوط الحجة على أهل الزمانات وبسط المعذرة لهم فقال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ، وَلاَ عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلاَ عَلَى المَرِيضِ حَرَجٌ﴾[1] وما سقط من فرض الحج والجهاد على المقعد، وعلى الأخرس، من الإقرار بالتوحيد فيما ألزمه غيرهم من الأصحاء السالمين، لاستحالة وجود ذلك مع ما هم عليه من الزمانات، ما يوجب لمن كان في مثل أحوالهم من المضطرين المجبرين على ما كان منهم من العذر، وإزالة الفرض، وفي إيجاب الأمر والنهي والحمد والذم والثواب والعقاب للعاملين، دليل على أنَّهم ليسوا على ما قالت المجبرة في أنَّهم كأهل الزمانات، والضرورات من المنع عما لم يفعلوا، والاستكراه على ما فعلوا، وهذا غلط عظيم من الجهمية وأصناف المجبرة بمثل هذه الأباطيل عاب الملحدون على ضعفة الأمة، وحاولوا بذلك إبطال ما أثبتوا من وحدانية اللّه وأمره ونهيه، وثوابه وعقابه، تعالى اللّه عما يقول المبطلون، فإن سأل سائلهم فقال: أخبرونا هل يكون من العباد إلاَّ ما شاء اللّه أنَّه يكون منهم، وعلم أنَّه سيكون، وليس أحد من العباد مجاوزاً مشيئة اللّه، ولا علمه إلى غير ذلك؟ قالوا: فإن قلتم: بأنَّه لا يكون من العباد إلاَّ ما شاء اللّه أنَّه يكون، وعلم، قيل لكم: فهل أبقيتم للعباد من معنى الكسب والاختيار بعد قولكم بهذا شيئاً؟ فنقول: الذي سألتمونا عنه من هذا أنَّه ليس في قولنا اللّه

(١) سورة الفتح آية رقم ١٧.

شاء لجميع ما يكون من الخلق عمل العباد وغيره، وأنَّه عالم بجميع ذلـك، وليس شيء بخارج عن علمه، ولا مجاوز لإرادته ومشيئته مما يوجب أن يكون اللّه مكرهاً للعاملين على أعـمالهم، ولا جابـراً لهم على مـا يكون منهم من اختيارهم، كما أنا وإياكم جميعاً نقول: إنَّ الله عالم بجميع ما يحدثه في خلقه، ومريد لما يقدره عليهم، ولا يكون من ذلك إلاَّ ما علم وأراد، وليس في ذلك أيضاً ما يوجب أن يكون اللّه جلّ جلاله مجبوراً على أفعاله في خلقه، ولا مضطراً عليها إذا كان لا يجاوز شيء من ذلك علمه ولا إرادته، وليس العلم والإرادة باللذين يجبران أحداً على فعل ما فعل، ولا بمانعين له عن فعل ما لم يفعل، فإن قالوا: أليس الشقي شقياً في بطن أمه، والسعيد سعيداً في بطن أمه؟ قيل لهم: بلى، إنَّ اللّه عالم بما يكون من الخلق فعل العباد وغيره قبل أن يكون، ولم يزل بذلك عالماً، ولم يستحدث علماً لم يكن يعلمه، ولم يزل يعلم الشقي من السعيد، والسعيد من الشقي، وهو العالم بما يكون من ذلك منهم قبل أن يصيروا في بطون أمهاتهم، وعالم به وهم له فاعلون، وقد أخبرناكم قبل هذا أنَّ علمه جلّ جلاله بالأشياء ليس بجابر أحداً على فعل شيء من شقوة أو سعادة، ولا مكره له على ذلك، والشقي شقي في بطن أمه بما علم اللّه أنَّه يشقى به من فعله، وسوء اختياره لنفسه، وجرأته على ربه، وكذلك السعيد سعيد في بطن أمه بما علم اللّه أنَّه سيسعد به من فعله، ولاتباعه لأمر ربه، وحسن نظره لنفسه.

فإن قالوا: ما معنى قول رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم: لن يدخل الجنة أحد بعمله، قيل: ولا أنت يا رسول اللّه، قال: «ولا أنا إلاَّ أن يتغمدني اللّه برحمته»[1] قيل: إنَّ معنى ذلك من قول رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم

(١) الحديث رواه الإمام البخاري في كتاب الرقاق ١٨ باب القصد والمداومة على العمل ٦٤٦٣ عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال رسول اللّه ـ صلّى اللّه عليه وسلّم ـ وذكره وفي رواية أبي داود الطيالسي عن ابن أبي ذئب «ما منكم من أحد ينجيه عمله» وأخرجه أبو نعيم من طريقه، وفي كفارة المرض من طريق أبي عبيد عن أبي هريرة بلفظ «لم يدخل أحد عمله الجنة.» وأخرجه الإمام =

على مثل قولهم: لا حول ولا قوة إلاَّ باللّه، أراد رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم أنَّ أحداً لا ينال شيئاً من الخير الذي هو طاعة اللّه، ولا يستعصم عن شيء من معصية اللّه، فيدخل بذلك الجنة إلاَّ أن يعينه اللّه على ذلك، ويوفقه له، ويغمده برحمته، التي لا يخيب من تغمد بها وعلى هذا المعنى أمر اللّه المؤمنين أن يدعوه بأن يقولوا: ﴿أهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ﴾[1]، وهذا من باب العون من اللّه لأوليائه، والهداية لأهل دينه، وليس هذا من معنى ما ذهبتم إليه في شيء، من أنَّه يضطر العباد على أفعالهم، ويجبرهم عليها، فلا يذمون ولا يحمدون.

ومن سألنا من الجهمية فقال: ما معنى قول اللّه عزّ وجلّ: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ، وَعَلَى سَمْعِهِم﴾[2] وقوله: ﴿بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾[3] وقوله: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ، وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ، وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِه، وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيه مِنْ بَعْدِ اللَّهِ﴾[4] وكذلك لو سأل فقال: ما معنى قوله: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَه يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ، وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً﴾[5] الآية وقوله: ﴿يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ

= مسلم في كتاب المنافقين من طريق ابن عون عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة «ليس أحد منكم ينجيه عمله» ومن طريق الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة أنّه» لن ينجو أحد منكم بعمله» وله من حديث جابر «لا يدخل أحد منكم عمله الجنة ولا يجيره من النار» وأورده الربيع في مسنده عن أبي عبيدة عن جابر بن زيد عن ابن عباس ٢: ٧٣. قال ابن بطال في الجمع بين هذا الحديث وقوله تعالى: ﴿وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون﴾ ما محصله: أن تحمل الآية على أنَّ الجنة تنال المنازل فيها بالأعمال، وأن يحمل الحديث على دخول الجنة والخلود فيها.

(١) سورة الفاتحة الآيات ٥، ٦، ٧.

(٢) سورة البقرة آية رقم ٧ وتكملة الآية: ﴿وعلى ابصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم﴾.

(٣) سورة النساء آية رقم ١٥٥.

(٤) سورة الجاثية آية رقم ٢٣.

(٥) سورة الأنعام آية رقم ١٢٥ وقد جاءت الآية محرفة في المطبوعة حيث قال (من) بدلاً من (فمن).

يَشَاءُ﴾[1]، ﴿أَنْ لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعاً﴾[2]، ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَنْ فِي الأَرْضِ كُلُّهُم جَمِيعاً﴾[3] في أشباهها من الآي التي يحتج بها أهل الإثبات على أهل القدر، فقالوا: ما تأويل هذه الآي عندكم إن كان الأمر على ما تقولون: إنَّ للعباد في إيمانهم وكفرهم، ضلالتهم وهدايتهم حكماً؟ فنقول لهم: شأنكم والقدرية بهذه الآيات التي تلوتموها وسألتمونا عن معناها، فهم الزاعمون أنَّ ليس للّه في فعل العباد مما يفعله بقلبه، أو ما يكون من فعله بسمعه وبصره، وسائر ذلك من جوارحه من تدبير ولا تقدير، وليس في جميع ما يكون منه من ذلك حكم ولا له عليه ملك، ولا سلطان، وإنَّ ذلك غير مضاف إلى اللّه، ولا منسوب إليه بوجه من الوجوه ولا بسبب من الأسباب، وكذلك قوله: ﴿**يضل من يشاء ويهدي من يشاء**﴾ في أمثالها، فإنما تسألون عن ذلك، وتحتجون به على أهل الإزالة الذين لا يضيفون إلى اللّه هدايتهم، ولا ضلالتهم، ولا شيئاً من أفعالهم بوجه من الوجوه، ولا معنى من المعاني، وأما من يقول: بأنَّ اللّه ختم على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم، وطبع عليها بكفرهم الذي اكتسبوه واختاروه فجعل الكفر في نفسه خاتماً، وطابعاً على قلوبهم حيث خلقه في عينه، خلافاً لعين الإيمان، ومضاداً له فهما لا يجتمعان في قلب، ولا في سمع، ولا في بصر، ولا في جارحة فاختيار الكافر الكفر هو المانع له، والطابع على قلبه، والخاتم على سمعه وبصره، حتى لا يكون يفعل ضده من الإيمان في حال فعله الكفر، وأضاف اللّه ذلك إلى نفسه، فقال: (طبع اللّه على قلبه، وختم على سمعه، وجعل على بصره غشاوة، إذ جعل كفره في عينه كفراً، مخالفاً للإيمان مضاداً له منافراً معه، لا يقاومه ولا يجتمعان في قلب، ولا في سمع، ولا في بصر، ولا في جارحة) وهكذا الجواب للمجبرة في جميع ما

(١) سورة فاطر آية رقم ٨.

(٢) سورة الرعد آية رقم ٣١ وقد جاءت الآية محرفة في المطبوعة حيث قال «وأنَّ» بدلاً من (أنَّ) بدون الواو.

(٣) سورة يونس آية رقم ٩٩.

يسألون عنه من المسائل التي يسأل عنها أهل الإثبات، ويحتجون بها على أهل القدر، أن يقال لهم: دونكم القدرية فإنَّهم نظراؤكم في الضلالة والغي، قرناؤكم في الغباوة والجهل، فسألوهم عن هذا ومثله، وافتصلوا فيما بينكم، ولن نرى لكم جميعاً أنتم وإياهم فصلاً فاصلاً بينكم، إلاَّ أن ترجعوا إلى الذي دللناكم عليه بالشواهد التي لا تكذب، وأقمنا عليكم فيه الحجة بالإعلام التي لا تبطل، مما فيه قطع لمعاذر المبطلين، وإنما أوتيتم جميعاً أنتم والقدرية في هذا الباب من قبل فساد العلة والبنيان على غير الأس، وذلكم أنَّكم وإياهم اتفقتم في بدء أمركم على أنَّ الفعل جزء واحد، وأنَّه لا يحتمل التجزئة وغير متجه، لا يوصف بالجهات، فاتفقتم على ذلك وقلتم جميعاً: لا يخلو هذا الفعل من أن يكون جميعه للّه، أو يكون جميعه للعبد، فلما اتفقتم على هذا من قولكم، رجعتم فيما بينكم فاختلفتم على وجهين مختلفين متباعدين كلاهما بعيد عن وجه الصواب وفصل الخطاب، فقلتم أنتم معشر المجبرة بأنَّ الفعل ما كان بهذه الصفة، لا يحتمل التجزئة، ولا يوصف بالجهات، فينبغي أن يكون الفعل بذلك مضافاً جميعه إلى اللّه عزّ وجلّ لأنَّه أضاف ذلك إلى نفسه بأن خلقه وجعله في قلوب الفاعلين فأضلهم اللّه به، وهداهم، ولثبوت عجز العبد عن أن يجعله بكيفيته التي هو بها.

وقالت القدرية: بل لما وجدنا هذا الفعل غير متجزء ولا محتمل للجهات على مثل علة المجبرة، ووجدناه مضافاً إلى العبد بأنَّه يكتسبه ويختاره، ويذم عليه ويحمد، وغير جائز أن يضاف إلى اللّه بأنَّه يتحرك به أو يسكن، ويؤمن به أو يكفر، أو يطيع به ويعصى، فيجب أن يكون الفعل لما ذكرنا جميعاً مضافاً إلى العبد بجميع وجوهه، وليس للّه فيه حكم، ولا تدبير، ولا له عليه ملك ولا سلطان، فانتشرت عليكم الأمور وتفرقت بكم السبل عن سبيل اللّه، وذلكم أنَّكم عمدتم إلى علتين مختلفتين، وجهتين متفاوتتين، فجعلتموهما علة واحدة، وجهة واحدة وهو أنَّ للفعل جهتين مفترقتين، متباينتين غير متفقتين: احداهما جهة الخلق للّه والتدبير والتقدير، والأخرى جهة التحرك للعبد والسكون

والطاعة والمعصية، فجعلتم هاتين الجهتين المختلفتين جهة واحدة، فأبطلت المجبرة واحدة، وأبطلت القدرية واحدة، فضللتم بذلك جميعاً عن سبيل الله ضلالاً بعيداً، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الحِسَابِ﴾[1].

ولهذه المسألة نظائر في مثل هذا المعنى، فينبغي أن يعود لذلك دون ما سواه كتاب تصحح فيه بغاية التصحيح إن شاء اللّه، ولا قوة إلاَّ باللّه.

باب القول في الإيمان[2] وفي تثبيت الإيمان والتسمية به، والرد على من قال بغير الحق في ذلك.

اختلف الناس في الإيمان وفي تثبيته على أصل قولين: قالت المرجئة، إنَّ الإيمان هو ما تعبد اللّه به عباده، ودعاهم إليه من توحيده بصفاته، ونفي الأشباه والأنداد عنه، في جميع ما لا يليق به من صفات خلقه، فكل من وحد اللّه بصفته، ونفى عنه صفة خلقه سمي مؤمناً مستكمل الإيمان وما عدا ذلك من جيمع ما أمر اللّه به عباده، وتعبدهم به، من فعل جميع ما افترض عليهم من الفرائض، وترك جميع ما نهاهم عنه من المعاصي فليس ذلك بإيمان ولا هو للّه بدين، ولا إسلام، ثمّ افترقوا فيما بينهم على طوائف ثلاث: فقالت طائفة منهم: إنَّ الإيمان من ذلك هو المعرفة للّه بالقلب، والاعتقاد بالضمير[3]،

---

(١) سورة ص آية رقم ٢٦.

(٢) كتبت كلمة عن الإيمان. ويراجع ما كتبه علي بن علي بن محمد ابن أبي العز الحنفي في شرحه للعقيدة الطحاوية من ص ٥٧: ٨٨ ج ٢ بتحقيقنا وكشاف اصطلاحات الفنون ١:١٣٤ ـ ١٤٠ وكتاب المواقف ص ٢٧٤ ـ ٢٩٠ وصحيح البخاري كتاب الإيمان ودائرة المعارف الإسلامية ٥: ٤١٣ ـ ٤١٥.

(٣) هم الغسانية: أصحاب (غسان الكوفي) وزعم غسان أنَّ أبا حنيفة يقول بقوله: وهذا غلط منه لأنَّ أبا حنيفة قال: إنَّ الإيمان هو المعرفة والإقرار باللّه تعالى وبرسله وبما جاء من اللّه تعالى ورسله في الجملة دون تفصيل. راجع في شأن هذه الفرقة: التبصير ص ٦٠ والملل والنحل ١: ١٤١ والفرق بين الفرق ٢٠٣.

دون الإقرار بذلك باللسان وقالت الثانية: بل الإيمان هو الإقرار بتوحيد اللّه، ونفي الأشباه عنه باللسان دون المعرفة بالقلب، والضمير في النفس[1].

وقالت الطائفة الثالثة: بل لا يكون كل واحد منها إيماناً دون الآخر، فمتى اجتمع من ذلك إقرار باللسان، وضمير بالقلب، سمي جميعه إيماناً[2]، وسمي فاعله مؤمناً، وإذا كان أحدهما دون الآخر بطلت التسمية له بأن يكون إيماناً وبطل أن يسمى فاعل بعض ذلك دون بعض مؤمناً، وشبهوا ذلك فيما زعموا بالأبلق الذي لا يسمى بأحد اللونين، أبلق، وإذا اجتمع عليه كلا اللونين سمي أبلق.

وقال جميع الفرق: من الأزارقة[3]، والأباضية، والزيدية، والمعتزلة، والحشوية: إنَّ الإيمان هو جميع ما أمر اللّه به عباده، وتعبدهم به من فعل جميع ما افترض عليهم من الفرائض، وترك جميع ما نهاهم عنه من المعاصي فكل ذلك إيمان للّه، ودين له، وإسلام وكله إيمان، وبعضه إيمان، ما كان من ذلك توحيداً للّه، وما كان منه غير توحيد، فمن استكمل ذلك سمي مؤمناً، ومن لم يستكمل ذلك، واقتصر على فعل التوحيد دون فعل الفرائض، وترك المعاصي، بطل أن يسمى مؤمناً، إلاَّ ما استخصت به الحشوية[4] في التسمية باسم

---

(١) هم اليونسية: أصحاب يونس بن عون السمري: راجع في شأن هذه الفرقة التبصير ٦٠ والملل ١٤٠/١ والمقالات ١: ١٩٨.

(٢) هم التومنية: أصحاب أبي معاذ التومني. راجع مقالات الإسلاميين ١: ٢٠٤ و٣٢٦ والملل ١: ١٤٤ والتومني: بضم التاء وفتح الميم (انظر معجم البلدان ٢: ٤٣٢).

(٣) كتبت عنهم كلمة وافية ص ٩٤. ويراجع اعتقاد فرق المسلمين والمشركين للفخر الرازي ٥٤.

(٤) فرقة من الفرق الإسلامية أجمعت على الجبر والتشبيه، وينكرون الخوض في الكلام والجدل. ويقولون على التقليد وظواهر الروايات والتشبيه. ولهذا تسمى بالمشبهة. وتنسب هذه الفرقة إلى محمد بن كوام الذي نشأ في سجستان، وتوفي ببيت المقدس سنة ٨٦٩ هـ. راجع دراسات إسلامية في الأصول الأباضية ص ١٣٨ لبكير بن سعيد أعوشت.

وقال السبكي في شرح أصول ابن الحاجب: الحشوية طائفة ضلوا عن سواء السبيل يجرون آيات اللّه على ظاهرها ويعتقدون أنَّه المراد سموا بذلك لأنَّهم في حلقة الحسن البصري فوجدهم يتكلمون كلاماً فقال: ردوا هؤلاء إلى حشاء الحلقة فنسبوا إلى حشاء فهم حشوية بفتح الشين، وقيل سموا بذلك لأنَّ =

المؤمن، وذلك أنَّ الحشوية مخالفة للمرجئة في إثبات الإيمان، حيث زعموا أنَّ العمل بجميع طاعة اللّه مما أمر به عباده إيمان ما كان من ذلك قولاً أو عملاً موافقة لهم في التسمية بالإيمان، حيث زعموا أنَّ المؤمن مؤمن مع ترك الإيمان، الذي هو طاعة للّه من العمل بجميع الفرائض التي هي دون التوحيد، ومع ركوبه جميع ما نهى اللّه عنه من معصيته التي هي دون الشرك، فخالفوا المرجئة في التثبيت، ووافقوهم في التسمية.

ونحن مبتدئون بالمسألة على من قال من المرجئة: بأنَّ الإيمان معرفة دون إقرار بأنَّ اللّه واحد وهم الجهمية، فنقول لهم: أخبرونا عن الإقرار بأنَّ اللّه واحد لا شريك له في ملكه ولا شبيه ولا نظير، وأنَّه لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، ولم يكن له كفوءاً أحد، أهذا الإقرار ممن هو منه إيمان؟ فإن قالوا: لا، قلنا: فالمنكر لجميع ذلك، المكذب للّه في ربوبيته، والواصف له بصفات خلقه، من الأنداد والأشباه، وبأنَّه اتخذ صاحبة وولداً، تعالى اللّه عن ذلك، فهل تقولون في هذا إنَّه كافر باللّه؟ فإن قالوا: ليس بكافر، خرجوا مما أجمع عليه الإسلام صراحاً، مع تكذيبهم لقول اللّه حيث يقول: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّه ثَالِثُ ثَلاثَةٍ﴾[1] وقال: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّه هُوَ الْمَسِيحُ بْنُ مَرْيَمَ﴾[2] وقال: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّه وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ

= منهم المجسمة أو هم والجسم حشو فعلي هذا القياس فيه الحشوية بسكون الشين نسبة الى الحشو، وقيل المراد بالحشوية طائفة لا يرون البحث في آيات الصفات التي يتعذر اجراؤها على ظاهرها بل يؤمنون بما أراده اللّه مع جزمهم بأنَّ الظاهر غير مراد ويفوضون التأويل إلى اللّه تعالى وقيل طائفة يجوزون أن يخاطبنا اللّه بالمهمل ويطلقون الحشو على الدين فإنَّ الدين يتلقى من الكتاب والسنة وهما حشو أي واسطة بين اللّه ورسوله وبين الناس. كذا ذكر الخفاجي في سورة البقرة في حاشية البيضاوي في تفسير قوله تعالى: ﴿فإما يأتينكم مني هدى﴾ البقرة آية ٣٨ راجع كشاف اصطلاحات الفنون ٢: ١٦٦ ـ ١٦٧.

(١) سورة المائدة آية رقم ٧٣.

(٢) سورة المائدة آية رقم ١٧.

كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ﴾[1] فسمى قولهم في كل ما قالوا من ذلك كفراً وقال اللّه: ﴿وَقَالُوا: اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدّاً، تَكَادُ السَّمَواتُ يَتَفَطَّرنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الجِبَالُ هَدّاً أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَداً﴾[2] فإن قالوا: من كذب باللّه ووصفه بصفات خلقه وشبهه بغيره، مما ذكرتم، فقد كفر باللّه، قيل لهم: فيجب أن يكون ضد ذلك من الإقرار للّه بوحدانيته، والوصف له بصفاته إيماناً، إذا كان ضده من التكذيب به، والوصف له بصفة خلقه كفراً ثم يقال لهم: أخبرونا عن الإقرار للّه بالربوبية وإثبات الوحدانية له، أتوحيد هو وإيمان أم غير توحيد، ولا إيمان؟ فإن قالوا: ليس بتوحيد ولا إيمان قيل لهم: وكذلك ضده من الإنكار لربوبيته، والجحد لوحدانيته، لا يكون شركاً باللّه ولا كفراً فإن قالوا: إنَّ الجحد لربوبية اللّه والإنكار لوحدانيته هو شرك باللّه، وليس بكفر، كما أنَّ الإقرار بذلك توحيد، وليس بإيمان، قيل: أفيكون توحيد اللّه من الفعل ما ليس بإيمان، ويكون شركاً باللّه من الفعل ما ليس بكفر، وهذا مما لا يقول به إلاَّ ذو مرار هائج[3] أو من به جنة مولعة[4] وقد قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم: أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلاَّ اللّه، فإذا قالوها حقنوا مني دماءهم وأموالهم إلاَّ بحقها[5].

---

(١) سورة التوبة آية رقم ٣٠.

(٢) سورة مريم آية رقم ٨٨ ـ ٩١. في المطبوعة يكاد بدلاً من (تكاد) وهو تحريف.

(٣) هاج النبت هيجاً: يبس واصفر. قال تعالى: ﴿ثمّ يهيج فتراه مصفراً﴾. سورة الحديد آية ٢٠ وهاج الشر، وهاجت الحرب بينهم، وهاجت الإبل: عطشت. وهايج فلان فلاناً: أثاره وقاتله. وتهيج الشي مبالغة في هاج. والهائج: الفورة والغضب. والهيج: الحرب. وكذلك الهيجاء.

(٤) ولع به يولع ولعاً، وولوعاً، علق به شديداً، ولج في أمره وحرص على أيذائه. والوالع: الكذاب. والمولع يقال: رجل مولع فيه لمع من برص به. وفرس مولع: استطال بلقه وتفرق. الولوع: الشديد التعلق.

(٥) الحديث رواه الإمام مسلم في كتاب الإيمان ٨، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلاَّ اللّه، محمد رسول اللّه، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ٣٢ (٢٠) بسنده عن أبي هريرة. قال: لما توفي رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وسلّم) واستخلف أبو بكر بعده، وكفر من كفر من العرب، قال عمر بن الخطاب لأبي بكر: كيف تقاتل الناس وقد قال رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وسلّم)، وذكره. ورواه الإمام البخاري في كتاب الإيمان ١٧، ٢٨. وفي كتاب الاعتصام ٢: ٢٨. ورواه الإمام الترمذي في التفسيرة سورة ٨٨. والنسائي في الزكاة ٣. وابن ماجه في الفتن ٣،١.

ولا يكونون يحقنون دماءهم وأموالهم إلاً بأن يؤمنوا باللّه ورسوله فدل على أنَّ قولهم لا إله إلاَ اللّه إيمان، فإن قالوا: ليس الإقرار بذلك إيماناً وإنما الإيمان هو المعرفة بالقلب، دون الإقرار، والإقرار دلالة على ما في القلب من الإيمان، قيل لهم: وما في الإقرار باللسان مما يدل على ما في القلب؟ أو ليس قد يقر المقر بلسانه على أمر، وفي قلبه خلاف ذلك الذي هو مقر به، ومن أعلم رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم والأئمة من بعده بأنَّ في قلوب المقرين بلا إله إلاَّ اللّه من المعرفة بما تقر به ألسنتهم من ذلك، ولو أنَّ ذلك الإقرار لم يكن من نفس الإيمان لما حقنوا به دماءهم وأموالهم، وهذا كله مما يوجب أن يكون الإقرار من الإيمان، مع ما اجتمع عليه أهل التفسير في معنى قول اللّه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾[1] أينما هو في كتاب اللّه عزّ وجلّ أي أقروا، ولا نعلم لهم في ذلك اختلافاً فدل ذلك من إجماعهم على أنَّ الإقرار من الإيمان.

وأما الذين زعموا منهم أنَّ الإيمان إقرار باللسان، دون المعرفة فيلزمهم أن يكون من جهل اللّه واعتقد على أنَّه بخلاف ربوبيته، ووحدانيته مؤمناً مع جهله واعتقاده لذلك، مع ما يلزمهم فيمن أخرس اللّه لسانه، إذ هو عرف اللّه بقلبه أن يكون غير مؤمن، إذ كان الإيمان لا يكون عندهم إلاَّ الإقرار باللسان فقط، وقد قال اللّه عزّ وجلّ: ﴿قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ، وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ﴾[2] فأضاف الإيمان إلى القلوب كما ترى، وقد قال اللّه عزّ وجلّ: ﴿وَإِذَا جَاؤُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَّخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قد خَرَجُوا بِه﴾[3] فسمى ما في قلوبهم كفراً ولن يجوز أن يكون ما في قلوبهم من اعتقادهم كفراً، إلاَّ بأن يكون خلاف ذلك من الذي في قلوب المؤمنين من اعتقادهم إيماناً، مع ما روي عن النبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم في غير ما رواية أنَّه يقول: الإيمان

---

(١) سورة آل عمران آية ١٠٢، ١١٨، ١٣٠، ١٤٩، ١٥٦، ٢٠٠، وسورة النساء آية ١٩، ٢٩، ٤٣، ٥٩، ٧١، وسورة المائدة آية ١، ٢، ٦، ٨، ١١، ٣٥، ٥١، ٥٤ وغير ذلك كثير في كتاب اللّه تعالى.

(٢) سورة المائدة آية رقم ٤١.

(٣) سورة المائدة آية رقم ٦١ وقد جاءت الآية محرفة في المطبوعة حيث لم يذكر لفظ (قد).

ها[1] هنا فيشير إلى صدره، وهذا كله مما يدل على أنَّ الإقرار باللّه والمعرفة به جميعاً من الإيمان، ثمّ يقال للمرجئة جميعاً: أخبرونا عن الإيمان ما هو؟ قالوا: الإقرار باللّه أنَّه واحد، والإقرار بمحمد أنَّه رسول اللّه، وما جاء به أنَّه الحق، قيل لهم: هذه خصال ثلاث، بعضها غير بعض، قد يقر بشيء منها من ينكر شيئاً، فإن كان الإقرار باللّه أنَّه واحد إيماناً، لأنَّه إقرار باللّه، بطل أن يكون غيره من الإقرار بمحمد أنَّه رسول اللّه، وبأن ما جاء به حق إيماناً، وكذلك أنَّ كان الإقرار بمحمد رسول اللّه إنما كان إيماناً لأنَّه إقرار برسول اللّه، بطل أن يكون الإقرار باللّه أنَّه واحد إيماناً.

ويقال لهم: ما تقولون في الإقرار بموسى وعيسى عليهما السلام بأنَّهما رسولا ربّ العالمين، والإقرار بغيرهما من المرسلين أنَّهم رسل اللّه والإقرار بالبعث والثواب والعقاب، والملائكة والكتب والنبيين، أذلك كله من الإيمان أم ليس من الإيمان؟ فإن قالوا: ليس من الإيمان، قيل لهم: فيجب أن يكون المنكر لرسالة موسى وعيسى وغيرهما من المرسلين مؤمناً مع إنكاره لذلك، ومع إنكاره للبعث والثواب والعقاب والملائكة، والكتب والنبيين، وقد قال اللّه: ﴿**وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً**﴾[2] فسمى كل ذلك إيماناً فإنَّ قالوا: لا يكون مؤمناً مع إنكاره رسالة أحد من المرسلين، ولا مع إنكاره شيئاً مما ذكرتم، قيل لهم: فنراكم قد أثبتم للإيمان خصائل كثيرة، فلم لا جوزتم لغيركم أن يجعل جميع ما أمر اللّه به من طاعته، وأوجب عليه ثوابه إيماناً؟ وقد قال اللّه عزّ وجلّ: ﴿**وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ، وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ**﴾[3] فسمى صلاتهم وزكاتهم ديناً، وقال: ﴿**وَمَا كَانَ للَّهُ**

---

(١) لم نعثر على هذا الحديث بهذا اللفظ على كثرة البحث والتقصي في كتب السنة والصحاح.

(٢) سورة النساء آية رقم ١٣٦.

(٣) سورة البينة آية رقم ٥.

﴿لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾[1] أي صلاتكم نحو بيت المقدس وذلك أنَّ اليهود قالوا لهم: ما حال صلاتكم نحو بيت المقدس؟ وأنتم تزعمون أنَّ من صلّى إليها اليوم كافر؟ فأجابهم اللّه: ﴿وَمَا كَانَ لِيضيع إيمانكم﴾ فسمى صلاتهم نحو بيت المقدس إيماناً وقال عزّ وجلّ: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُم إِيمَاناً﴾[2] أي يعملون بما في السورة من الفرائض فيزدادوا بذلك إيماناً، وقال: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَّعَ إِيمَانِهِمْ﴾[3]، فهؤلاء قوم مؤمنون مستكملون الايمان، قد أخبر اللّه عنهم أنَّهم مع ذلك يزدادون إيماناً مع إيمانهم، فدل بذلك على أنَّ الايمان خصايل كثيرة تزداد وتنقص.

ومما تسألنا عنه المرجئة أن قالوا: لم سميتم ببعض الكفر كافراً، ولم تسموا ببعض الإيمان مؤمناً، أو ليس الإيمان أولى بأن يتسمى به لفضيلته، دون أن يتسمى بالكفر؟ فما جعل التسمية ببعض الكفر أولى من التسمية ببعض الإيمان؟ أو ليس في لغة العرب أنَّ كل اسم مشتق من فعله وما الاسم الذي يتسمى به من آمن باللّه وبمحمد رسول اللّه وآمن بجميع رسل اللّه، وملائكته، وكتبه ورسله، واليوم الآخر، إذا هو ضيع الفرائض، وارتكب القبائح، قيل لهم: سمينا ببعض الكفر كافراً، ولم نسم ببعض الإيمان مؤمناً، لما كانت التسمية بالإيمان مشروطة معلقة باستكمال الإيمان، ولم تكن التسمية بالكفر مشروطة ولا معلقة باستكمال الكفر، ولكن كانت التسمية بالإيمان والكفر جميعاً معلقة منوطة بأحكام المسلمين وشروطهم، وقد فرق اللّه عزّ وجلّ بين أحكام المؤمنين وشروطه وبين أحكام الكافر وشروطه، فمن شروط المؤمن وجوب الولاية والمودة في الدين، والاستغفار له، قال: ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾[4] وقال: ﴿وَاسْتَغْفِرْ

---

(١) سورة البقرة آية رقم ١٤٣.

(٢) سورة التوبة آية رقم ١٢٤.

(٣) سورة الفتح آية رقم ٤.

(٤) سورة الفتح آية رقم ٢٩.

لِـذَنْبِكَ وَلِلْمُؤمِنينَ وَالْمُؤْمِنَـاتِ﴾[١] وتجويـز الشهادة، وتثبيت العـدالـة، والتزكية، والقيام بأمر دين اللّه والأمر بالمعروف وعمله، والنهي عن المنكـر وتركه، ومن أحكام الكافر وشروطه، وجوب العداوة والبغضاء والشتم واللعنة، قال: ﴿لاَّ تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُـولَه﴾[٢] الآيـة، وقـال: ﴿مَلْعُـونِينَ أَيْنَمَـا ثُقِفُـوا أُخِـذُوا وَقُتِلُوا تَقْتِيلا﴾[٣]، وقال: أُولَئِكَ يَلْعَنُهُم اللَّهُ وَيَلْعَنُهُم اللاَّعِنُونَ﴾[٤] مع تجريح الشهادة، وإبطال العدالة، وإقامة الحدود عليهم من القطع، والـرجم والقتل والجلد، وقال اللّه عزّ وجلّ في جلد الزانيين: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٥] ولا يجوز أن يكون المجلود المحدود ممن يشهد عذابها، وقال في القاذف: ﴿وَلاَ تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَداً﴾[٦] فلو كان الزاني والقاذف مـع فعلها مؤمنين، كانا عدلين وشهادتها ماضية مقبولة، وفي جملة المؤمنين عند إقامة الحدود على الزناة، داخلين، فلما كان المحدود المجلود ليس هو الذي يشهد عذابها علمنا أنَّ الزاني والقاذف قد خرجا من جملة المؤمنـين، وقال: ﴿ولا تأخذكما بهما رأفة في دين اللّه﴾ عند إقامة الحدود عليهما، ثمّ قال يمدح نبيه: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[٧] فلو كان الزانيان مع زناهما مؤمنين، كـان رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم بها رؤوفاً رحيماً، ولو كان الزاني والقاذف والقاتل والسارق مع توحيدهما مؤمنين، كانوا مفلحين لقول اللّه عزّ وجلّ ﴿قَدْ

(١) سورة محمد آية رقم ١٩ وقد جاءت الآية في المطبوعة محرفة حيث قال: استغفر بدلاً من قوله: واستغفر.

(٢) سورة المجادلة آية رقم ٢٢.

(٣) سورة الأحزاب آية رقم ٦١.

(٤) سورة البقرة آية رقم ١٥٩.

(٥) سورة النور آية رقم ٢.

(٦) سورة النور آية رقم ٤.

(٧) سورة التوبة آية رقم ١٢٨.

﴿أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾[1] ثمّ وصفهم فقال: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاَتِهِم خَاشِعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾[2] إلى آخر المدحة، وقال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُم وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِم آيَاتُهُ زَادَتْهُم إِيمَاناً، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[3] ثمّ بين من هم فقال: ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾[4] ثمّ أكد ما قلنا بقوله: ﴿أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً﴾[5] فلما كانت هذه الشروط معلقة مقرونة بالتسمية بالإيمان، تبين أنَّ ذوي الكبائر من أهل التوحيد، ليسوا بمؤمنين، ولما كانوا غير مؤمنين ثبت أنّهم كافرون، وليس بين الاسمين اسم، ولا بين الحكمين حكم، وقال صلّى اللّه عليه وسلّم: «لا يزني الزاني وهو مؤمن[6]» وقال: «ليس بين العبد والكفر إلاّ تركه الصلاة[7]». وفضيلة الإيمان التي ذكروها

(١) سورة المؤمنون آية رقم ١.

(٢) سورة المؤمنون آية رقم ٢، ٣، ٤.

(٣) سورة الأنفال آية رقم ٢.

(٤) سورة الأنفال آية رقم ٣.

(٥) سورة الأنفال آية رقم ٤ وتكملة الآية ﴿لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم﴾.

(٦) الحديث رواه ابن ماجه في كتاب الفتن ٣ باب النهي عن النهبة ٣٩٣٦ عن عقيل، عن ابن شهاب، عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، عن أبي هريرة، أنَّ رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وسلّم) قال: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن. ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن. ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن. ولا ينتهب نهبة، يرفع الناس إليه أبصارهم، حين ينتهبها وهو مؤمن».

(٧) رواه الإمام مسلم، وأبو داود والترمذي عن جابر بن زيد رضي اللّه عنه بلفظ «بين الرجل وبين الشرك ترك الصلاة.» وهذه رواية مسلم ـ وفي رواية الترمذي: «بين الكفر والإيمان ترك الصلاة» وله في أخرى: بين العبد وبين الشرك أو الكفر: ترك الصلاة، وفي أخرى: بين العبد وبين الكفر: ترك الصلاة. وفي رواية أخرى رواها النسائي والترمذي عن بريدة ـ رضي اللّه عنه: قال: قال رسول اللّه ـ صلّى اللّه عليه وسلّم: «العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر».
ورواية الإمام مسلم في كتاب الإيمان باب بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة وأبو داود في السنة باب في رد الارجاء والترمذي في الإيمان باب ما جاء في ترك الصلاة، ورواية النسائي في الصلاة باب الحكم في تارك الصلاة. ورواه أيضاً أحمد في المسند، وابن ماجه والنسائي وابن حبان والحاكم وصححه ووافقه الذهبي. وهو حديث صحيح، ورواه أبو عبيدة عن جابر بن زيد عن ابن عباس مسند الربيع ١: ٦١.

قد حرمها أهل الكبائر أنفسهم، ومنعوها إياها ولو أنَّهم أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف وعملوه، ونهوا عن المنكر وتركوه لكانوا لتلك الفضيلة حارزين ولاسمها مستحقين لأنَّ هذه الأسماء التي يسمي اللّه بها أولياءه من المؤمنين والمتقين والبارين والمهتدين، فإنما هي من مجازاتهم على إيمانهم، وبرهم، وتقواهم، كما أنَّ الأسماء التي سمى بها أعداءه من الكافرين والظالمين، والفاسقين، والضالين، والفجار، مجازاة لهم على أفعالهم، وفجورهم، وظلمهم، فجعل تسمية كل واحد من الفريقين مجازاة لهم على أفعالهم.

وأما سؤالهم عن الاسم الذي يسمى به من آمن باللّه، وبمحمد رسول اللّه، وآمن برسل اللّه، وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر إذا هو ضيع الفرائض، وارتكب الكبائر، فإنا نسميه بالذي سماه اللّه به فنقول الذي آمن ولا نقول: «مؤمن» قال اللّه عزّ وجلّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾[1] فبذلك يسميهم، ويناديهم، في كل موضع من كتابه ونسميه موحداً باللّه غير مشرك به، مقراً باللّه، وبالرسل والملائكة والكتب واليوم الآخر، غير جاحد لذلك ولا منكر له.

وأما قولهم: إنَّ كل اسم في لغة العرب مشتق من فعله، فإنا نجد ها هنا أفعالاً كثيرة، وليس لها أسماء مشتقة منها، وذلك أنا نجد من يبني بيتاً واحداً، ويخيط ثوباً واحداً، ويصوغ خاتماً، لا يسمى بانياً، ولا خياطاً، ولا صائغاً، لقلة استمراره على الفعل بذلك، وإنما الاسم للغالب، وكذلك الذي أقر باللّه، وترك ما سوى ذلك من فعل الإيمان، لا يسمى مؤمناً، وقال عزّ وجلّ في المنافقين: ﴿وَلاَ يَذْكُرُونَ اللّهَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾[2] وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللّهَ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً أُولَئِكَ هُمْ

(١) سورة البقرة آية رقم ٩٠.
(٢) سورة النساء آية رقم ١٤٢ وقد جاءت الآية في المطبوعة بدون (الواو) حيث قال «لا».

الكَـافِرُونَ حقـاً﴾[١]، وقال: ﴿أَفتُؤْمِنُـونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُـرُونَ بِبَعْضٍ﴾[٢] فدل على أنَّ من كان معه بعض الإيمان وبعض الكفر أنَّه الكافر حقاً، وعلى هذا المعنى جاءت التسمية بأسماء الدين وأحكامه، لأنَّه لا يخلو هذا الذي معه بعض الإيمان، وبعض الكفر من أن يكون يسمى بهما جميعـاً، أو يكون يسمى بأحدهما دون الآخر فبطلت التسمية بهما جميعاً إذ لا يجوز أن يكون يجري عليه حكمان مختلفان، متضادان، فيكون من أهل الولاية[٤] والمودة، والرحمة، والاستغفار ووجوب الثواب العظيم، ثمّ هو من أهل العداوة والبغضاء، واللعنة ووجوب العقاب الأليم، فلما استحال أن يجتمع عليه هـذا الحكمان استحال أن يوصف بأسمائهما وبطل أيضاً أن يسمى مؤمناً، للذيـل معه من الفعل الذي يستحق فاعله ما ذكرنا من العداوة، والبغضاء والشتمة، واللعنة ووجوب العقاب الأليم، وتجريح الشهادة، وبطلان العـدالة، وغـير ذلك ممـا ذكرناه، وما لم نذكره، فلما بطل هذان الوجهان عن مرتكب الكبائر، المضيع للفرائض بطل أن يسمى مؤمناً، ولم يبق إلاَّ التسمية بأنَّه كـافر، وهـا أنتم تسمون القدرية ضالين غير مهتدين، على ما معهم من الهدى الذي هو توحيد اللّه وحده والإقرار بنبيه، وكتابه ورسله، واليوم الآخر، وغير ذلك من دين اللّه، وما سميتوهم ضالين إلاَّ بتكذيبهم القدر ولم تسموهم بجميع ما معهم من الهدى مهتدين، وسميتم الخوارج مارقين من الدين مبتدعين، وقد علمتم ما هم

---

(١) سورة النساء آية رقم ١٥١ وتكملة الآية ﴿واعتدنا للكافرين عذاباً مُهيناً﴾.

(٢) سورة البقرة آية رقم ٨٥ وتكملة الآية ﴿فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلاَّ خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما اللّه بغافل عما تعملون﴾.

(٣) الولاية لغة: القرب والقيام للغير بالأمر والنصر والاهتمام بالمصالح والحفظ والاتصال يقال فلان موال لفلان إذا كان مقرباً له وقائماً بأمره ونصره ومهتماً بمصالحه وحافظاً لغيبته ومتصلاً به قال القطب وعلى هذا تنبني الولاية الشرعية.

وخالفه الشيخ السالمي في ذلك فقال.

أما ولاية اللّه لعباده فهي توفيقه إياهم لطاعته واعانتهم عليها ونصرته لهم على أعـدائهم. راجع مشارق أنوار العقول ٣٣٧ ـ ٣٥٥ بتصرف.

عليه وفيه من الدين، بأنَّهم يؤمنون باللّه وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة، وهم راكعون، ولم تنقموا منهم إلاَّ لأنَّهم يكفرونكم ويستعرضونكم بالسيف، فسميتوهم مارقين من الدين، كما يمرق السهم من الرمية، مبتدعين خارجين من الدين[1]، ولم تلتفتوا إلى ما هم عليه وفيه من دين اللّه، والقيام بأمره، والعمل بكتابه وسنة رسوله صلّى اللّه عليه وسلّم فتسمونهم بما معهم من ذلك، داخلين في الدين غير خارجين منه، ولا مارقين ومتبعين للسنة غير مبتدعين، فهذا كله منكم معنى ما أنكرتم.

باب الوعد والوعيد والرد على من قال بغير الحق في ذلك.

ثمّ اختلف الناس في إثبات وعد اللّه ووعيده على اختلافهم في التسمية بالإيمان، فقالت المرجئة والحشوية[2]: كل من سميناه بأنَّه مؤمن للذي أتى به

(١) الدين: يقال للطاعة والجزاء واستعير للشريعة، والدين كالملة لكنه يقال اعتباراً بالطاعة والانقياد للشريعة.

قال تعالى: ﴿ومن أحسن من اللّه ديناً.﴾ النساء آية ١٢٥ أي طاعة وقوله: ﴿لا تغلو في دينكم﴾ النساء ١٧١ حث على أتباع دين النبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم.

وقال بعضهم: الدين الجزاء دنته دِيْناً وديناً والإسلام وقد دنت به والعادة قال:

تقول إذا درأت لها وضيني أهذا دينه أبداً وديني

والطاعة، والغلبة، والحكم، والتوحيد. وفي الحديث: إنَّ الدين يسر وفيه: إنَّ دين الله الحنيفية السمحة. وقال: إنَّ الدين متين فأوغل فيه برفق.

والدين: ورد في القرآن بمعنى التوحيد والشهادة: ﴿إنَّ الدين عند اللّه الإسلام﴾ آل عمران آية ١٩ وبمعنى الحساب والمناقشة قال تعالى: ﴿الذين يكذبون بيوم الدين﴾ سورة المطففين آية ١١ وبمعنى الملة. قال تعالى: ﴿وذلك دين القيمة﴾. البينة آيه ٥.

(٢) الحشوية: فرقة من الفرق الإسلامية أجمعت على الجبر والتشبيه وينكرون الخوض في الكلام والجدل، ويقولون على التقليد وظواهر الروايات والتشبيه، ولهذا تسمى بالمشبهة، وتنسب هذه الفرقة إلى محمد ابن كرام الذي نشأ في سجستان، وتوفي في بيت المقدس سنة ٨٦٩م. راجع دراسات إسلامية في الأصول الأباضية ص ١٣٨ والفرق بين الفرق عند الحديث عن الكرامية ص ٢١٥ وانظر اللباب ٣: ٣٢ ولسان الميزان ٥: ٣٥٣.

من توحيد اللّه عزّ وجلّ مع تضييعه ما أمر اللّه به من الفرائض التي هي دون التوحيد، ومع ركوبه الذي نهى اللّه عنه من المعاصي التي هي دون الشرك، فواجب له وعد اللّه عزّ وجلّ بثوابه في المعاد[1] على كل حال، وتوقفوا في إنجاز وعيد اللّه لمن كان بهذه الصفة التي ذكرناها، واضطربت فيه كلمتهم، وتشتت أمرهم فمن قائل يقول: بأنَّ أمة محمد لا تعرض على النار، ومن قائل يقول بأنَّه يعذب المذنبين منهم على قدر ذنوبهم، ثمّ يخرجون فينجز لهم بعد ذلك ما وعد لهم من الثواب، ومن قائل بالتوقف عن ذلك، والشك فيه، ولذلك سموا مرجئة، لأنَّهم أرجوا أهل الكبائر، أي أخروهم، وتركوا القول فيهم، ولم يقطعوا عليهم عذراً وقيل سموا مرجئة لأنَّهم ارجوا العمل، ولم يجعلوه إيماناً مع القول، وفي مثل هذا من القول ما روي عن النبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم (لعنت المرجئة على لسان سبعين نبياً) قيل وما المرجئة يا رسول اللّه؟ قال: (الذين يقولون الإيمان قول بلا عمل)[2] وقيل إنَّهم سموا مرجئة لأنَّهم أرجأوا علياً ولم يعدوه رابعاً من الخلفاء، وعلى هذا كله أنَّهم مرجئة فقط.

واتفق جمهور من ذكرنا في صدر المقالة من الأمة، على أنَّ اللّه منجز وعده ووعيده، ومصدقهما بتمام ذلك وامضائه في جميع من وعده وتوعده لا تبديل لكلمات اللّه، ولا تحويل لأمره، قال عزّ وجلّ: ﴿لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾[3]، وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾[4] وقال: ﴿جَزَيْنَاهُمْ

---

(١) المعاد: مما دلّ عليه الكتاب والسنة والعقل والفطرة السليمة فأخبر اللّه سبحانه عنه في كتابه وأقام الدليل عليه قال تعالى: ﴿يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية﴾. سورة الحاقة آية ١٨ والمكذب به مرتد عن دينه لأنّه أنكر ما عرف من الدين بالضرورة. راجع أضحوية في أمر الميعاد لابن سينا.

(٢) الحديث أخرجه الربيع بن حبيب في الجامع الصحيح ٣: ٢٠١ في باب الحجة على من قال: إنَّ الإيمان قول بلا عمل. ورواه الدارقطني في السنن عن علي ـ رضي اللّه عنه ـ وقال السيوطي في الجامع الصغير ـ ضعيف.

(٣) سورة ق آية رقم ٢٩.

(٤) سورة الرعد آية رقم ٣١.

بِبَغْيِهِم وَإِنَّا لَصَادِقُون﴾[1]، وذلك أنَّ اللّه عزّ وجلّ وعد قوماً وتوعد آخرين، فجعل وعده الجنة لأوليائه المؤمنين، وجعل وعيده النار لأعدائه الكافرين ولن يجوز أن يكون وعده أو وعيده مبدلاً، ولا محولاً، ولا مستثنى فيه، ولا مرجوعاً عنه، إذ لا يجوز أن تكن أخباره جلّ جلاله متكاذبة، ولا متناقضة، فلو كان وعده أو وعيده مبدلاً أو محولاً، أو مستثنى فيه لكانت جميع أخباره جلّ جلاله ذات تكاذب وتناقض[2]، وهل الوعد والوعيد إلاَّ أخبار منه عزّ وجلّ بأنَّه أعد للفريقين ما وعدهم به، وتوعدهم، وقال: ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلكَافِرِينَ﴾[3] وقال: ﴿قُلْ أَفأُنَبِئُكُم بِشَرٍّ مِّنْ ذَلِكُمُ النَّارُ وَعَدَها اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[4] وكيف يخبر بأنَّه أوعد ما لم يوعد أو وعد ما لم يعد؟ أو يكون يعد ويوعد ثمّ لا يفي بما وعد، ولا بما أوعد؟ ولا يوجد شيء من ذلك على ما أخبر به، وهذا غاية الوصف للّه جلّ جلاله بالكذب تعالى اللّه عما يقول المبطلون علواً كبيراً، وقال اللّه عزّ وجلّ في إبليس: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِم وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إلاَّ غُرُوراً﴾[5] فحاش للّه أن تكون

---

(١) سورة الأنعام آية رقم ١٤٦.

(٢) نقض الشيء أفسده بعد أحكامه، ونقض اليمين أو العهد نكثه، ونقض ما أبرمه فلان أبطله، وناقض غيره خالفه.

والتناقض في اصطلاح الفلاسفة: هو اختلاف تصورين أو قضيتين بالإيجاب والسلب.

وقال ابن سينا: التناقض هو اختلاف قضيتين بالإيجاب والسلب بحيث يلزم عنه لذاته أن تكون إحداهما صادقة والأخرى كاذبة والتناقض عند الأصوليين: هو تقابل الدليلين المتساويين على وجه لا يمكن معه الجمع بينهما ويسمى بالتعارض أو المعارضة.

ومبدأ النقيض: «هو القول إنَّ الشيء نفسه لا يمكن أن يكون حقاً وباطلاً معاً.» راجع منطق المشرقيين ص ٧ والتعريفات ٦٠ والكليات ٢: ٩١، ٩٢.

(٣) سورة آل عمران آية رقم ١٣١.

(٤) سورة الحج آية رقم ٧٢ وتكملة الآية ﴿وبئس المصير﴾

(٥) سورة النساء آية رقم ١٢٠. قال الفخر الرازي: والغرور هو ان يظن الإنسان بالشيء أنه نافع ولذيذ ثم يتبين اشتماله على أعظم الآلام والمضار، وجميع أحوال الدنيا كذلك ـ راجع التفسير الكبير ٦:٥١.

مواعيده كمواعيد الشيطان، ولعل قائلاً يقول فإنا قد وجدنا ها هنا فيما بيننا من خلف التوعد، ما قد يكون تارة من الكرم والجود والافضال فلم لا جوزتم على اللّه جلّ ثناؤه أن يكون يتوعدهم، ثمّ هو لا يفي لهم بذلك؟ قيل له: ويحك قد ناظرت ما لم يكن نظيراً، وشبهت ما ليس بشبيه، وذلك أنَّ أحداً منا قد يعد ويوعد، وهو لا علم له بالذي تصير إليه عاقبة وعده وتوعده ثمّ يكون من بعد ذلك تبدو له أمور يتبين بها أنَّ عاقبة وعيده، إذا هو أمضاه تصير إلى فساد، وتنتهي إلى هلاك، فيرى أنَّ الخلف للذي توعد به أصلح من امضائه، واتمامه فيقصر عندما بدا له من إنجاز ما توعد بـه، واللّه عزّ وجـلّ غير موصوف بأن يكون يجهل عاقبة أمر من الأمور، فيكون يبدو له ما لم يكن يعلم من ذلك، ولو كان اللّه عزّ وجلّ يعد أحداً أو يتوعده، ثمّ هو لا يفي له بذلك لوقع التوهم في جميع موعوداته[1]، عزّ وجلّ والشك في جميع أخباره ألا يأتي شيء منها على ما وعد، ولا على ما أخبر وهذا إبطال التصديق للّه عزّ وجلّ في جميع ما يخبر به أو يعده أو يتوعد به، ولا يخلو المتوهم لهذا، والقائل به من أن يكون غبياً، منقوصاً، أو سفيهاً عبثاً، تعالى اللّه عن ذلك، ولعله يقـول: (أو ليس اللّه جلّ جـلاله رحيـماً بخلقـه، غنيـاً عن عـذابهم، يمن برحمته)[2]، ولا يظلم بعذابه[3] وهو قد وعد ثوابه على الطاعة[4] وتوعد بعقابه على المعاصي[5]، فلم جعلتم ما توعد به من العقاب أمضى وأنجز من الذي وعد به الثواب؟ قيل له: لسنا ننكر بل نقول بأنَّ اللّه عزّ وجلّ رحيم بخلقه،

---

(١) راجع ما كتبه صاحب منهج الطالبين عن الوعد والوعيد والرد على القائلين بأنَّ اللّه سبحانه وتعالى ينجز وعده ولكنه يمكن أن يخلف وعيده ١: ٤٨.

(٢) قال تعالى: ﴿ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بـآياتنـا يؤمنون﴾ الأعراف آية ١٥٦.

(٣) قال تعالى: ﴿ولا يظلم ربك أحداً﴾.

(٤) قال تعالى: ﴿فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض﴾. سورة آل عمران آية رقم ١٩٥.

(٥) قال تعالى: ﴿ومن يعص اللّه ورسوله ويتعدّ حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين﴾. سورة النساء آية ١٤.

لطيف بعباده بمن بالرحمة، ولا يظلم بالعذاب، ومعنى ذلك أنَّه متفضل على خلقه برحمته يصيب بها من يشاء من عباده، على غير استحقاق منهم، ولا استيجاب ولا يظلم بالعذاب فيؤاخذهم على غير ما عملوا، أو يعذبهم على ما لم يفعلوا، وليس هذا من الذي قلنا بأنَّه يثيب أولياءه بأعمالهم على ما وعدهم. ويعاقب أعداءه على ما توعدهم في شيء.

ومسألته إيانا بأن قال: لم جعلتم ما توعد به من العقاب أمضى وأنجز من الذي وعد به من الثواب، مسألة ساقطة، ومعارضة واهية من وجوه كثيرة وذلك أنَّه لا يخلو ما سأل عنه في هذا المعنى من وجوه ثلاثة: أما أن يكون اللّه عزّ وجلّ يجمع لهم الثواب والعقاب جميعاً، فيكونون معذبين مثابين في حال واحدة، فهذا من أمحل المحال، الذي لا يتوهم وجوده، أو يكون يقدم أحدهما على الآخر، فيكون المقدم منقطعاً زائلاً، والمؤخر متصلاً باقياً، فأيها المتصل؟ وأيها المنقطع؟ فكل ما ثبت من ذلك دون الآخر، فهو دعوى منه بغير دليل، فمن أراد أن يثبت دعواه بغير دليل أو بما لا تثبت به الدعوى فهو متحكم.

والوجه الثاني أن يكون اللّه أثاب على بعض الطاعات، وترك العقوبة على بعض المعاصي، فإنّا لسنا نجد للثواب على شيء من فعل الطاعات وجهاً، إلاَّ بأن يكون المثاب ليس معه من فعل المعاصي التي توعد اللّه عليها العقاب، وأما إذا كان معه من فعل ما توعد اللّه عليه العقاب فلا، لأنَّ في ذلك إبطال وعيد اللّه عزّ وجلّ، وتكذيب خبره، فلما بطل هذان الوجهان لم يبق إلاَّ الوجه الثالث بأن يكون المثاب ليس معه فعل شيء مما توعد اللّه عليه العقاب، فيكون الثواب حينئذ للمؤمنين المستكملين الإيمان على ما وعدهم، كيف وعدهم، والعقاب للكافرين الراكبين ما وعدهم عقابه عليه، فهذا الذي قلنا.

ووجه آخر في سقوط مسألته أنَّه لا يخلو المثاب المعاقب من أن يكون مؤمناً وكافراً جميعاً، أو مؤمناً دون كافر، أو كافراً دون مؤمن فبطل أن يكون مؤمناً كافراً معاً، لما في ذلك من الاختلاط الذي لا يسوغ به قول، ولا يوصف معه حكم، وأن يكون مؤمناً معذباً في النار، معاقباً في الجحيم، فهذا غاية

التكذيب للّه عزّ وجلّ، قال: ﴿أُوْلَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾[1] في أمثالها، أو أن يكون كافراً دون مؤمن، فيكون معذباً على كفره، معاقباً على عصيانه لربه فهو ما نقول.

ووجه آخر في سقوط مسألته أنَّه لو كان مثاباً معاقباً، لم يخل من أن يكون من أهل الثواب في الجنة أو من أهل العقاب في النار، أو من أهلها جميعاً، فبطل أن يكون من أهلها جميعاً، لما في ذلك من غاية الفساد، أو أن يكون من أهل الجنة، فيكون معذباً معاقباً في النار، وهذا غاية التكذيب للّه عزّ وجلّ، وقد قال: ﴿أَصْحَابُ الجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَراً وَأَحْسَنُ مَقِيلاً﴾[2]، أو أن يكون من أهل النار معذباً على عصيانه لربه، وكفره به، فهو ما قلنا ويبطل عنه عند ذلك أن يكون من أهل الجنة، ومن أهل الثواب.

ووجه آخر أنَّه لو جاز أن يكون مثاباً معاقباً، لم يخل أن يكون من أهل ولاية اللّه أو من أهل عداوته، فإن كان من أهل ولاية اللّه فاللّه غير معاقب من كان له ولياً[3]، أو يكون من أهل عداوة اللّه، فإنَّ اللّه لا يكون مثيباً بجنته من هو له عدو ومن أهل عداوته، فهذا الذي قلنا.

ووجه آخر في سقوط مسألته أنَّه لو جاز أن يدخل النار من يخرج منها، ليجوزن أن يدخل الجنة، من يخرج منها.

ووجه آخر لو جاز أن يدخل النار مؤمن، لجاز أن يدخل الجنة كافر.

ووجه آخر في سقوط مسألته أنه لا يخلو هذا المثاب المعاقب من أن

---

(١) سورة الأنبياء آية رقم ١٠١ قال الفخر الرازي: قال أهل العفو معناه: أولئك عنها مخرجون واحتجوا عليه بوجهين الأول: قوله تعالى: ﴿وإن منكم إلاَّ واردها﴾ سورة مريم آية ٧١ أثبت الورود وهو الدخول فدلّ على أنَّ هذا الإبعاد هو الإخراج الثاني: إنَّ إبعاد الشيء عن الشيء لا يصح إلاَّ إذا كانا متقاربين لأنَّهما لو كانا متباعدين استحال إبعاد أحدهما عن الآخر، لأن تحصيل الحاصل محال. راجع التفسير الكبير ١١: ٢٦٦.

(٢) سورة الفرقان آية رقم ٢٤.

(٣) قال تعالى: ﴿ألا إنَّ أولياء اللّه لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾. سورة يونس آية رقم ٦٢.

يكون خالداً في الجنة، أو خالداً في النار، أو خالداً فيهما جميعاً فبطل أن يكون خالداً فيهما جميعاً، لما في ذلك من المحال الذي لا يتوهم كونه، أو أن يكون خالداً في الجنة، فهذا أيضاً لا يجوز أن يسمى خالداً في الجنة، وهو قد خلد في النار، زماناً كثيراً، ودهراً طويلاً، أو أن يكون خالداً في النار فهو الذي قلنا، إن مَن دخلها فهو خالد فيها، قال عزّ وجلّ: ﴿**يريدون أن يخرجوا من النار، وما هم بخارجين منها وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ**﴾[1] وقال: ﴿**وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ، قَالَ إِنَّكُمْ مَّاكِثُونَ**﴾[2]، وقال: ﴿**كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنَها أُعِيدُوا فِيهَا**﴾[3]، وقال: ﴿**وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً**﴾[4]، وقال: ﴿**وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلٰهاً آخَرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلاَ يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ آثَاماً يُضَاعَفْ لَهُ العَذَابُ يَوْمَ القِيَامة، وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً إِلاَّ مَنْ تَابَ**﴾[5]، وقال: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالبَاطِلِ إِلاَّ أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُم وَلاَ تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً وَمَنْ يَفْعل ذلك عدواناً وظلماً فَسَوْفَ نُصْليه نَاراً، وكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً**﴾[6] وقال: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلونَ أَمْوَالَ اليَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلونَ فِي بِطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً**﴾[7] وقال: ﴿**وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيل اللَّهِ فَبَشِّرهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّم فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُم وَجُنُوبُهم**

(١) سورة المائدة آية رقم ٣٧ .

(٢) سورة الزخرف آية رقم ٧٧.

(٣) سورة السجدة آية رقم ٢٠.

(٤) سورة النساء آية رقم ٩٣.

(٥) سورة الفرقان آية رقم ٦٨، ٦٩، ٧٠ وتكملة الآية: ﴿وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً﴾. سورة الفرقان آية ٧٠.

(٦) سورة النساء آية رقم ٢٩، ٣٠.

(٧) سورة النساء آية رقم ١٠.

وَظُهُورُهم هَذا مَا كَنَزْتُمْ لأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُم تَكْنِزُون﴾[1] وقال: ﴿أَضَاعُوا الصَّلاةَ واتَّبعُوا الشَّهَواتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾[2] وقال: ﴿وَيْلٌ للمُطَفِّفِينَ﴾[3] وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبا إنْ كُنْتُم مُؤْمِنينَ، فِإن لَّم تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾[4] وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلى الأَرْضِ - إلى قوله - إِلاَّ تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾[5] وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُم الَّذِينَ كَفُروا زَحْفاً فلا تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفاً لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[6]. وهذا كلّه من كتاب الله عزَّ وجلّ وعيد لأهل الكبائر من أهل الملة على كبائرهم، أو يقول قائل إنه وعيد للمشركين على هذه الكبائر، وليس بوعيد لأهل الكبائر من أهل التوحيد؟ ويقال عند ذلك فكذلك النهي عن هذه الكبائر إنما هو نهي للمشركين، وليس هو لأهل الكبائر من أهل التوحيد، لما كان هذا الوعيد جاء مقروناً بهذا النهي، ولا يجد في ذلك فرقاً أبداً مع ما في قوله بذلك من الفساد الذي لا تتوهم غايته ولا تكيف نهايته، إذا كان الوعيد للمشركين أن يكون الله إنما حضّ المشركين، على أن لا يولوا أدبارهم للمسلمين، ويتوعدهم على أن فعلوا ذلك فيقول: **﴿ومَن يولي دبره من المشركين للمؤمنين فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير﴾**، ويقول للمشركين: **﴿مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيل**

---

(١) سورة التوبة آية رقم ٣٤، ٣٥ وقد جاءت الآية محرّفة في المطبوعة حيث قال (إن الذين) بدلاً من (والذين).

(٢) سورة مريم آية رقم ٥٩.

(٣) سورة المطففين آية رقم ١.

(٤) سورة البقرة آية رقم ٢٧٨، ٢٧٩.

(٥) سورة التوبة آية رقم ٣٨.

(٦) سورة الأنفال آية رقم ١٥، ١٦.

اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ﴾[1]، ويقول لهم: ﴿ألا تنفروا﴾ فتغزوا المؤمنين يعذبكم عذاباً أليماً، ويقول للمشركين: ﴿لا تكنزوا الذهب والفضة، ولكن أنفقوهما في سبيل الله الذي أنتم عليه﴾، من قتالكم محمداً رسول الله وجهادكم المؤمنين وهذا من الهذيان[2] الذي لا يتكلّم به إلاّ المجنونون المغلوبون على عقولهم، أو مَن هو في مثل حالهم، فإن سألوا عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾[3] قيل لهم: فقد قال الله أيضاً: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً﴾[4]، ولم يخص ذنباً من ذنب، ولا غير شرك من شرك، فيجب بهذا من قول الله أن يكون يغفر الشرك وغير الشرك، والقرآن يصدق بعضه بعضاً، ولا يكذب بعضه بعضاً، والذي قال: أهل التفسير في تأويل قول الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾، يقول لا يتجاوز عن شرك لقيه به عبده، ويغفر ما دون الشرك من الذنوب لمن يشاء، فقالوا: إن ما دون الكبائر مغفور لأهله، متروك لهم، إذا هم اجتنبوا الكبائر، فوقع الغفران على الصغائر التي يوجب عليها العقاب، ووكد ذلك بقوله: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾[5] فدلّ على أنهم إن اجتنبوا الكبائر كفرت عنهم سيئاتهم التي هي دون الكبائر، فإن لم يجتنبوها فلا، وقوله عزّ وجلّ: ﴿لِمَن يشاء﴾ فقد شاء أن يغفر لمجتنب الكبائر ما دون الكبائر ولم يشأ أن يغفر لمرتكبها إذا هو لقي الله بها، وقال عزّ وجلّ: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالفَوَاحِشَ إِلاَّ اللَّمَم﴾[6] يريد من

(١) سورة التوبة آية رقم ٣٨ وتكملة الآية: ﴿أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلاّ قليل﴾.

(٢) هذى فلان هذياً وهذياناً: تكلّم بغير معقول لمرض أو غيره فهو هاذٍ وهذَّاء، ويقال هذى فلان بالشيء إذا ذكره هذيانه. والهذيان: اضطراب عقلي مؤقت يتميّز باختلاط أحوال الوعي.

(٣) سورة النساء آية رقم ٤٨.

(٤) سورة الزمر آية رقم ٥٣.

(٥) سورة النساء آية رقم ٣١ وقد جاءت الآية محرّفة في المخطوطة حيث قال (يكفر) بدلاً من (نكفر).

(٦) سورة النجم آية ٣٢.

أَلَمَّ منهم بما دون الكبائر فقال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ المَغْفِرَةِ﴾[1] وهو تأويل سهل قريب والحمد لله.

ولو كان قوله: ﴿لِمَن يشاء﴾ على ما ذهبوا إليه أنها كانت لغواً ليست باستثناء كان يكون قوله عزّ وجلّ: ﴿وَقَالَتِ اليَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ، قُلْ: فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾[2] أن يكون اليهود[3] والنصارى[4] مغفوراً لهم بغير استثناء، ولا شريطة، ولو كان ما ذهب إليه أهل الإرجاء أن ما دون الشرك مغفور لأهله،

---

(١) سورة النجم آية رقم ٣٢ واللمم: هي الصغائر التي لا يسلم من الوقوع فيها إلاّ من عصمه الله وحفظه، وقد اختلف في معناها. فقال أبو هريرة وابن عباس والشعبي: اللمم: كل ما دون الزنى. وقال ابن مسعود، وأبو سعيد الخدري، وحذيفة ومسروق: إن اللمم ما دون الوطء من القبلة والغمزة والنظرة والمضاجعة. وقال ابن عباس: هو الرجل يلم بذنب ثم يتوب قال ألم تسمع النبيّ ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ كان يقول:

إن يغفر الله يغفر جماً ... وأي عبد لك لا ألما

ودليل هذا قوله تعالى: ﴿والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم﴾ سورة آل عمران آية ١٣٥. ثم قال: ﴿أولئك جزاؤهم مغفرة من ربّهم﴾ سورة آل عمران آية ١٣٦. فضمن لهم المغفرة كما قال عقيب اللمم ﴿إن ربّك واسع المغفرة﴾ سورة النجم. راجع تفسير القرطبى ١٠٧٠٩.

(٢) سورة المائدة اية رقم ١٨.

(٣) نسبوا إلى يهوذا وهو أكبر ولد يعقوب عليه السلام فقلبت العرب الذال دالاً، لأن الأعجمية إذا عرِّبت غيرت عن لفظها، وقيل: سموا بذلك لتوبتهم عن عبادة العجل. هاد: تاب، والهائد التائب قال الشاعر: إني امرؤ من حبه هائد. أي تائب وفي التنزيل: إنا هدنا إليك. أي تبنا. وقال ابن عرفة. هدنا إليك. أي سكنا إلى أمرك والهوادة السكون والموادعة.

(٤) النصارى: جمع واحد نصراني وقيل نصران بإسقاط الياء وهذا قول سيبويه، والأنثى نصرانة كندمان وندمانة، وهو نكرة يعرف بالألف واللام قال الشاعر:

صدَّت كما صدّ عمّا لا يَحِلُّ له ... ساقي نصارى قُبيل الفِصْح صُوَّام

فوصفه بالنكرة. وقال الخليل: واحد النصارى نصري، كمهري ومهارى وأنشد سيبويه شاهداً على قوله:

تراه إذا دار العشا متحنفاً ... ويُضْحى لديه وهو نصرانُ شامِس =

غير مؤاخذين به، على حال. لكان يجب أن يغفر للمشركين ما دون شركهم من معاصيهم التي هي قتلهم للمؤمنين وسفكهم لدمائهم، وأخذهم لأموالهم وقتلهم لأولادهم سفهاً بغير علم، وفعلهم الفواحش التي نهاهم الله عمّا ظهر منها وما بطن، وشربهم للخمور وبيعهم لها، من الذي لعنوا عنه، وتركهم النهي عن المنكر الذي لعنوا به على لسان داود وعيسى ابن مريم، فيكون المشركون مغفوراً لهم هذه الأفعال وأمثالها، من معاصي الله عزّ وجلّ لأنه قال: ﴿**لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك**﴾[1] جميعاً على مقالتهم.

وهذا بحمد الله بيّن لمن أراد الله توفيقه وهداه، فإن قالوا وقول الله عزّ وجلّ لبني إسرائيل: ﴿**وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُم خَطَايَاكُمْ**﴾[2] قيل لهم: قد قال أهل التفسير بأن الله أمر بني اسرائيل بأن يقولوا حطة أي أحطط عنا ذنوبنا ﴿**فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ**﴾[3] فقالوا حنطة، وليس هذا من الذي يذهب إليه أهل الإرجاء في شيء أن مَن قال لا إله إلاّ الله غفرت له جميع ذنوبه، وهو مقيم عليها، مصرّ على فعلها، ولم يكن بنو إسرائيل قوماً مشركين بالله حتى يكون الله عزّ وجلّ يأمرهم بأن يقولوا لا إله إلاّ الله، ليغفر بها خطاياهم بل هم كانوا مع موسى عليه السلام على دينه من لا إله إلاّ الله، مقرّين بموسى،[4] وهارون أنهما رسولا ربّ العالمين.

= ولكن لا يستعمل نصران ونصرانة إلاّ بياءي النسب لأنهم قالوا: رجل نصراني وامرأة نصرانية، ونصّره جعله نصرانياً وفي الحديث: فابواه يهودانه أو ينصرانه وقال عليه السلام: لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي أو نصراني ثمّ لم يؤمن بالذي أرسلت به إلاّ كان من أصحاب النار.

(١) سورة النساء آية رقم ٤٨.

(٢) سورة البقرة آية رقم ٥٨ وتكلمة الآية ﴿وسنزيد المحسنين﴾ وقد جاءت محرّفة في المطبوعة حيث قال يغفر بدلاً من (نغفر).

(٣) سورة البقرة آية رقم ٥٩ وتكلمة الآية ﴿فأنزلنا على الذين ظلموا رجزاً من السماء بما كانوا يفسقون﴾ وقد جاءت الآية محرّفة في المطبوعة بزيادة لفظ ظلموا (منهم).

(٤) موسى: اسم معرَّب أصله موشا ومو بالعبرية الماء، وشا الشجر سمى به لأنه وجد في الماء والشجر الذي كان حول قصر فرعون في عين الشمس وهو موضع معروف بمصر لا ينبت شجر البَلَسان إلاّ فيه، سئل النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ـ ما بال الله أكثر ذكر موسى في القرآن الكريم؟ فقال: لأن الله يحبه ومَن أحبّ شيئاً أكثر ذكره. راجع بصائر ذوي التمييز ٦١:٦ وما بعدها.

باب القول في حجة[1] الله على الخلق كيف قامت وبم قامت والرد على مَن قال بغير الحق في ذلك.

إختلف مَن أثبت الوعيد لأهل الكبائر وأسمائهم، وفي كبائرهم ما هي؟ بعد إجماعهم على ثبوت الوعيد لهم، ونفي التسمية عنهم بالإيمان فقالت الصفرية:[1] إن كبائرهم كفر شرك، وأسماءهم كفار مشركون، محاربون كأهل حرب النبيّ ﷺ تسفك دماؤهم، وتسبى ذراريهم، وتغنم أموالهم، وهم مع ذلك قد تورث أموالهم، وتنكح نساؤهم وتؤكل ذبائحهم ويحج معهم، ويصلى معهم، فقسمت الأزارقة[2] واختارت، فأخذوا ما أحبوا، وتركوا ما كرهوا!

وقالت المعتزلة: كبائرهم فسق وضلال، ليست بكفر، وأسماؤهم فاسقون ضالون، ليسوا بكافرين، ولا مؤمنين، فأثبت هؤلاء منزلة ثالثة ليست بإيمان ولا كفر، وادّعوا اسماً ثالثاً، لا مؤمناً ولا كافراً.

وقالت الأباضية والزيدية[3]: كبائرهم كفر نفاق، لا كفر شرك،

---

(١) هم أتباع زياد بن الأصفر. وقولهم في الجملة كقول الأزارقة في أن أصحاب الذنوب مشركون، غير أن الصفرية لا يرون قتل أطفال مخالفيهم ونسائهم والأزارقة يرون ذلك. وهم ثلاث فرق. ويرى صاحب الأصول الأباضية: أن التقية عندهم توجب في القول أمّا العمل فلا. راجع دراسات إسلامية في الأصول الأباضية ص ١٤ والفرق بين الفرق ص ٩٠ ومقالات الإسلاميين ١:١٦٩ والتبصير ص ٣١ والملل والنحل للشهرستاني ١:١٣٧.

(٢) الأزارقة: هم أتباع نافع بن الأزرق الحنفي المكّيّ بأبي راشد ولم تكن للخوارج فرقة أكثر عدداً ولا أشدّ منهم شوكة ويرون أن صاحب الكبيرة كافر كفر شرك. وزعم نافع أن دار مخالفيهم دار كفر ويجوز فيها قتل الأطفال والنساء. وأنكرت الأزارقة الرجم كما يقول صاحب كتاب الفرق بين الفرق. راجع مقالات الإسلاميين ١:١٥٧ والتبصير ٢٩ والملل والنحل للشهرستاني ١:١١٨ ودراسات في الأصول الأباضية ص ١٣٨.

(٣) الزيدية: فرقة من فرق الشيعة فنسبها يعود إلى زيد بن علي بن الحسين، وهي أقرب الفرق الشيعية إلى السنة.

فالإمامة عندهم تكون عن طريق الخيار في نسل العلويين والفاطميين وأنَّ إمامة علي تمت عن طريق الوصف لا عن طريق التشخيص الثابت فهم لا يتبرأون من أبي بكر وعمر وابن الخطاب ولا يطعنون في خلافتها فهم يجوزون إمامة المفضول مع وجود الأفضل، وقد تأثروا في عقائدهم بمدرسة المعتزلة. راجع الأصول الأباضية ص ١٤٠ ومقالات الإسلاميين ١: ١٢٩ ومروج الذهب ٣: ٢٢٠.

وأسماؤهم كافرون منافقون، ليسوا بمشركين، ولا مؤمنين ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لاَ إِلَى هَؤُلاَءِ وَلاَ إِلَى هَؤُلاَءِ﴾[1] لا إلى المشركين في الحكم والسيرة ولا إلى المؤمنين في الاسم والثواب، كما قال عزّ وجلّ: ﴿مَّا هُم مِّنكُمْ وَلاَ مِنْهُمْ﴾[2]، نفاهم من المؤمنين أن يكونوا معهم، في التسمية بالإيمان والمودة في الدين، ونفاهم من المشركين أن يكونوا معهم في التسمية بالشرك وأحكام المشركين، فهذه أحكام ثلاثة لأسماء ثلاثة: القتل للمشركين، والسبي والغنيمة وتحريم الذبائح، وتحريم المناكحة والموارثة والمدافنة معهم، إلاّ ما يحل من أهل العهد من ذلك، وتحريم القتل للمنافقين، إذا هم لم يظهروا نفاقهم، وتحريم السبي والغنيمة منهم، وتحليل الذبائح والمناكحة والموارثة والمدافنة معهم، وتجريح شهادتهم، وإبطال عدالتهم، وإقامة الحدود عليهم، وفيهم، ولذلك يروى عن الحسن[3] أنّه قال: إنَّ الحدود في المنافقين، وللمؤمنين وجوب الولاية، والمودة والمحبة في الدين، والاستغفار لهم وتجويز شهادتهم، وإثبات عدالتهم، والتزكية لهم، فهذه أحكام ثلاثة، لأسماء ثلاثة، قال الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّه كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً، لِّيُعَذِّبَ اللَّهُ المُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالمُشْرِكِينَ وَالمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤمِنِين وَالْمُؤمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيمَاً﴾[4] فجعلهم ثلاث منازل معروفة غير مجهولة في كتاب الله عزّ وجلّ وقال عزّ وجلّ في المنافقين: ﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنُكُمْ﴾[5] يقوله للمؤمنين أي في النصر والتسمية

---

(١) سورة النساء آية رقم ١٤٣ وتكملة الآية ﴿ومن يضلل الله فلن تجد له نصيراً﴾.

(٢) سورة المجادلة آية رقم ١٤ وتكملة الآية ﴿ويحلفون على الكذب وهم يعلمون﴾.

(٣) لعله الحسن بن يسار البصري أبو سعيد تابعي، كان إمام أهل البصرة وحبر الأمة في زمنه ولد عام ٢١ هـ وتوفي عام ١١٠ هـ. راجع تهذيب التهذيب، ووفيات الأعيان، وميزان الاعتدال ١:٢٥٤ وحلية الأولياء ٢: ١٣١.

(٤) سورة الأحزاب آية رقم ٧٣.

(٥) سورة التوبة آية رقم ٥٦.

بالإيمان والوفاء فقال عزّ وجلّ تكذيباً للمنافقين: ﴿وَمَا هُمْ مِّنْكُمْ﴾[1] يقوله للمؤمنين أي ليسوا منكم في الوفاء، ولا تجرى عليهم أسماؤكم، ثمّ بين ما الذي لم يكونوا به من المؤمنين، فقال: ﴿وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ﴾[2] أي يجبنون عن الحرب، وعن قتال العدو فبذلك ومثله من أفعالهم، لم يكونوا من المؤمنين، ثمّ قال: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ﴾[3] يقول: قد علموا ذلك ودلّ على أنّهم من أهل التصديق، وقال مفرقاً بين المؤمنين والمنافقين: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُم أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَه﴾[4] إلى آخر الآية ثمّ قال: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ﴾[5] يعني النفقة في سبيل اللّه، فبين ما به فرق بين المؤمنين وبين المنافقين، من أفعال المنافقين التي هي ليست شركاً، وإنما هي كبائر دون الشرك، ومما يؤثر عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم في حيلة المنافقين أنّه قال: (المنافق إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أؤتمن خان)[6]. فدل على أنَّ هذه الأفعال من النفاق ودل بذلك على أنَّ المنافقين ليسوا بمشركين.

(١) سورة التوبة آية رقم ٥٦.

(٢) سورة التوبة آية رقم ٥٦.

(٣) سورة التوبة آية رقم ٦٣.

(٤) سورة التوبة آية رقم ٧١ وقد جاءت الآية محرفة في المطبوعة حيث قال المؤمنون بدلاً من (والمؤمنون).

(٥) سورة التوبة آية رقم ٦٧ وقد جاءت الآية محرفة في المطبوعة حيث قال (والمنافقون) بدلاً من (المنافقون).

(٦) الحديث أخرجه الإمام البخاري ومسلم والترمذي والنسائي عن أبي هريرة ـ رضي اللّه عنه ـ قال رسول اللّه ـ صلّى اللّه عليه وسلّم وذكره، وزاد مسلم: وإن صام وصلّى، وزعم أنّه مسلم. ورواية البخاري ١: ٨٣ في الإيمان باب علامات المنافق، وفي الشهادات باب من أمر بإنجاز الوعد، وفي الوصايا باب قول اللّه تعالى ﴿من بعد وصية يوصي بها أو دين﴾، وفي الأدب باب قول اللّه تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقو اللّه وكونوا مع الصادقين﴾. ورواية مسلم رقم ٥٩ في الإيمان باب بيان خصال المنافق والترمذي رقم ٢٦٣٣ في الإيمان باب ما جاء في علامة المنافق والنسائي ٨: ١١٧ في الإيمان باب علامة المنافق.

نسأل الصفرية عن الشرك ما هو؟ وما معناه في اللغة؟ فإن قالوا: هو المساواة باللّه غيره، كما أنَّ التوحيد إفراد للّه من غيره، أبطلوا أن يكون ترك الفرائض والعمل بالكبائر شركاً، لأنَّ أهلها لم يساووا اللّه بغيره، وإنما أتوا ما أتوا شهوة ولذة، وهم مقرون بتحريمه، دائنون به. وإن قالوا: إنَّ المعصية للّه إنما كانت شركاً لأنَّها طاعة لإبليس، واعتلوا بقول اللّه عزّ وجلّ: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾[1] فقالوا إذا أطعتم المشركين في أكل الميتة فأكلتموها أشركتم. قيل لهم: لم يشركوا بأكل الميتة وإنما أشركوا باستحلالها، وذلك أنَّ المشركين جادلوا المؤمنين فقالوا لهم: تأكلون ما قتلتم، ولا تأكلون ما قتل اللّه لكم، فأنزل اللّه: ﴿وَلاَ تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِم لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾[2] وذلك إذا أطاعوهم في استحلال أكل الميتة، ويلزمهم إذا كان كل من عصا اللّه في شيء أطاع إبليس، أنَّه عابد لإبليس مشرك باللّه، أن يكون آدم صلّى اللّه عليه وسلّم حيث قال اللّه: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾[3] عابداً لإبليس، مشركاً باللّه، في معصيته للّه حين أكل من الشجرة التي نهاه اللّه عنها، أو غيره من الأنبياء، قال اللّه لنبيه صلّى اللّه عليه وسلّم ﴿عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ﴾[4] ولا يكون أن يعفو عنه ما ليس بمعصية وكذلك قول يونس عليه السلام حيث يقول: ﴿سُبْحَانَكَ إِنِي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[5] وموسى إذ يقول: ﴿سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[6] أن يكون هؤلاء من الأنبياء عابدين الشيطان مشركين بالرحمن وحاشا للّه، ولأنبيائه، ولرسله، وخيرته من خلقه، من هذا القول وما يجر إليه من الضلال.

(١، ٢) سورة الأنعام آية رقم ١٢١.

(٣) سورة طه آية رقم ١٢١.

(٤) سورة التوبة آية رقم ٤٣ وتكملة الآية ﴿حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين﴾.

(٥) سورة الأنبياء آيه رقم ٨٧.

(٦) سورة الأعراف آية رقم ١٤٣.

فإن قال قائل منهم لم جعلتم جميع طاعة اللّه إيماناً ولم تجعلوا جميع معصيته كفراً؟ قيل لهم: من قبل أنَّ الإيمان إنما كان إيماناً لوجوب الثواب عليه، فكل طاعة للّه عزّ وجلّ، فالثواب عليها واجب، فكانت لذلك إيماناً، وليست كل معصية للّه عليها عقاب، فتكون كلها كفراً. وقد اجتمعت الأمة على أنَّ كل كبيرة معصية ولم يجمعوا على أنَّ كل معصية كبيرة[1]، فلو كانت كل معصية كبيرة كانت الأمة تجمع على ألاّ معصية إلاّ كبيرة، كما أجمعوا أن لا كبيرة إلاّ عصيان، ألا ترى أنَّ اللّه قال في كتابه: ﴿**مَا لِهَذَا الكِتَابِ لاَ يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً إلاَّ أَحْصَاهَا**﴾[2]، وقال: ﴿**وكل صغير وكبير مستطر**﴾[3] وقال: ﴿**إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَونَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلاً كَرِيماً**﴾[4] فكل ما كان مغفوراً لأهله، متروك المؤاخذة عليه، فهو صغير غير كبير، وغير كفر، فعلمنا لذلك أنَّ جميع طاعة اللّه إيمان، وليس جميع معصيته كفراً، ولا كبيراً، فإن قالوا قد أخبر اللّه أنَّ من عصى (**اللّه وَرَسُولَه فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً مُبِيناً**﴾[5] فينبغي أن تكون كل المعاصي كبيرة، قيل لهم: قد استثنى في المعاصي فقال: ﴿**إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَونَ عَنْهُ نُكَفِّر عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ**﴾[6] والسيئات عام، والمعاصي عام، فاستثنى في الاسم العام، فعلمنا أنَّ ليس كل معصية ضلالاً، لأنَّ المعصية اسم عام، ولأنَّ بعضها من بعض، فقلنا صغير باستثنائه في الاسم العام من السيئات. فإن قالوا: لم كفرتم الجبابرة ولم تشركوهم؟ قيل لهم: ليس كل كفر شركاً، كما أنَّ كل شرك كفر، فكل فعل أوعد اللّه عليه العقاب، وأضاف فاعله إلى النار علمنا أنَّه كفر، والشرك إنما هو مقصور على المساواة باللّه

(١) راجع ما كتبه الشيخ السالمي في كتابه مشارق أنوار العقول عن الكبائر وأقسام الكبائر ٣٧٤ ـ ٣٩٥.

(٢) سورة الكهف آية رقم ٤٩.

(٣) سورة القمر آية رقم ٥٣.

(٤) سورة النساء آية رقم ٣١.

(٥) سورة الأحزاب آية رقم ٣٦ وقد جاءت الآية محرفة في المطبوعة حيث قال: بعيداً بدلاً (مبيناً).

(٦) سورة النساء آية رقم ٣١ وتكملة الآية ﴿وندخلكم مدخلاً كريماً﴾.

غيره، كما أنَّ التوحيد إفراد للّه من غيره، فلما أن وجدنا من ذكرتم ليسوا بمساوين للّه بغيره في شيء، من أفعالهم، وإنما أتوا ما أتوا من ذلك شهوة ولذة دائنين بتحريمه، غير مستحلين له، علمنا أنَّهم كافرون غير مشركين. فإن قالوا: فكيف حتى قلتم بتحليل دمائهم، ولم تقولوا بتحليل أموالهم، وسبي[١] ذراريهم؟ قيل لهم: ليس كل من حل دمه، فقد حل ماله، وجاز سبيه، ألا ترون أنَّ القاتل للنفس التي حرم اللّه قد يقتل، ولا يحل ماله، ولا سبيه، وقد يرجم الزاني المحصن[٢]، ولا يحل سبيه ولا ماله، والقاطع طريق المسلمين، والدال على عوراتهم، فليس أحد من هؤلاء يحل ماله ولا سبيه، وقال اللّه عزّ وجلّ: ﴿فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾[٣]، وقد جرى في سالف هذه الأمة بينهم في الدماء ما هو مشهور غير مستور، معروف غير مجهول، فهل سمعتم فيما بينهم بتحليل في مال، أو سبي في ذرية، حتى كنتم أول من أحدث هذا الحدث، وفتحتم بابه، وزعمتم أنَّ المحدثين من أهل القبلة مشركون كأهل حرب رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم، فسفكتم دماءهم، وأخذتم أموالهم، وسبيتم ذراريهم، وانتحلتم الهجرة، وزعمتم أنَّها فريضة على الناس أن يهاجروا أوطانهم، ويفارقوا ديارهم، أينما كانوا في شرق الأرض وغربها، حتى يلحقوا ببيضتكم[٤]، أينما كنتم، وحيثما ما كنتم، ومما يؤثر عن النبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم أنَّه قال: لا هجرة بعد فتح مكة[٥]، وقد أقر الناس

---

(١) يقال: سبته الغانية أسرته، والسَّبْيُ: المأسور وصف بالمصدر يقال قوم سَبْيٌ والنساء لأنَّهن يسبين القلوب والسَّبِيُ: المأسور والمأسورة وهي سبية أيضاً والسَّبِية: الدرة يخرجها الغواص من البحر.

(٢) حصن المكان حصانة: منع فهو حصين، والمرأة حصناً وحصانة عفت وتزوجت فهي حصان، وأحصن الرجل: تزوج وعفَّ فهو مُحصن وهي محصنة وفي التنزيل قال تعالى: ﴿والمحصنات من النساء﴾.

(٣) سورة الحجرات آية رقم ٩.

(٤) بيضة الشيء أصله، وبيضة القوم: حوزتهم وحماهم، وبيضة الدار وسطها، ويقال: أفرخت بيضته: ظهر مكتوم أمره، وفلان بيضة البلد: إذا عرف بالسيادة ويقال للشيء الذي لا يقع إلاَّ مرة واحدة بيضة الديك. وبيضة الصيف: شدة حره.

على منازلهم بعد فتح مكة، وغيرها من البلدان، فلم يضيق على أحد منهم في اللحوق به صلّى اللّه عليه وسلّم.

ونحن محتجون على المعتزلة فنقول لهم: أخبرونا أليس قد اتفقنا نحن وأنتم جميعاً على أنَّ الوعيد لأهل الكبائر ثابت، وأنَّهم غير مؤمنين؟ وبعد فأخبرونا من أين علمتم بتفسيقهم، ولم تعلموا بتكفيرهم؟ وهل سميتموهم فاسقين إلاَّ لأن سميتموهم غير مؤمنين، ولأن ثبتم وعيدهم؟ فإن كنتم لهذين الوجهين سميتموهم فاسقين فيجب عليكم أن تسموهم كافرين كما سميتموهم فاسقين إذا كان الوعيد إنما هو للكافرين والفاسقين وإذ كان من بطلت عنه التسمية بالإيمان، لم تبطل عنه إلاَّ لأن ثبت وعيده، وسمي كافراً، فإن كنتم لا تسمونهم كافرين، فيجب عليكم أن تسموهم مؤمنين، وتبطلوا وعيدهم، فتصيروا إلى مذهب المرجئة وليس لكم بين القولين قول ولا بين السبيلين سبيل، إما أن تكونوا تزيلون وعيد أهل الكبائر وتسمونهم مؤمنين، أو تكونوا تثبتون وعيدهم فتسمونهم كافرين، فانظروا على أي هذين القولين تعزمون، وعلى أيهما تعتمدون، ومقالتنا على كل حال أقرب لكم من مقالة المرجئة، لأنكم خالفتم المرجئة في معنيين في إثبات الوعيد، ونفي التسمية بالإيمان، وما وافقتموهم إلاَّ في شيء واحد، وهو نفي التسمية بالكفر، ووافقتمونا في معنيين في إثبات الوعيد، ونفي التسمية بالإيمان، ولم تخالفونا في عبارة التسمية بالكفر، وأما جميع معاني الكفر ووجوهه، من إثبات الوعيد، والخلود في النار، والتسمية لهم بجميع أسماء أهل الكفر، من الضالين، والفاسقين، والظالمين، والفجار، وأعداء اللّه، فقد أثبتم جميع ذلك وسميتموهم به، فلم شنعتم[1] النظر عن عبارة التسمية بالكفر، وأنتم أثبتم معناها لأنَّ في نفيكم التسمية بالإيمان تسمية بالكفر، كما أنَّ

---

(١) شنع به شَنَعاً استنكره واستقبحه، وشنع شناعة اشتد قبحه فهو شنيع، وشنَّع الشيء قبحه على فلان فضحه وشوه سمعته وتشنَّع غلب عليه القبح، وتشنع القوم: قبح أمرهم باختلافهم واضطراب رأيهم ويقال فعلة شنعاء قبيحة بالغة القبح.

في نفي التسمية بالكفر تسمية بالإيمان، وليست التسمية بالفسق مما يقابل لكم التسمية بالإيمان، ولا مما يضادها، ولا مما يسد مسدها وينافيها، وإنما يضاد المؤمن الكافر، والكافر يضاد المؤمن، ويضاد الموحد المشرك، كما أنَّ المشرك يضاد الموحد ويضاد المطيع العاصي، كما أنَّ العاصي يضاد المطيع، ويضاد الضال المهتدي، كما أنَّ المهتدي يضاد الضال، ويضاد الفاجر البار، كما يضاد البار الفاجر ويضاد العدو الولي، كما أنَّ الولي يضاده العدو ويضاد الفاسق الصالح، كما أنَّ الصالح يضاد الفاسق، وكذلك يضاد المؤمن الكافر، كما أنَّ الكافر يضاد المؤمن، فمن تدبر ما قلنا من هذا وجده كما وصفنا، إن شاء اللّه.

ويقال لهم: أخبرونا لأية علّة صار الإيمان[1] إيماناً؟ فإن قالوا: لأنه تصديق، أبطلوا عن الفرائض التي هي غير تصديق أن تكون إيماناً، وليس ذلك من قولهم، فإن قالوا: إنما كان الإيمان إيماناً، لوجوب الثواب عليه، قيل لهم: فيجب عليكم أن يكون الكفر كفراً لوجوب العقاب عليه، فيدخل في حد الكفر جميع ما أوجب الله عليه العقاب، كما دخل في حد الإيمان جميع ما أوجب الله عليه الثواب، ويقال لهم: أليس من الإيمان تصديق وغير تصديق؟ قالوا: بلى، وهو قولهم، قيل لهم: فكذلك الكفر تكذيب، وغير تكذيب، فالإيمان الذي هو تصديق ضد الكفر الذي هو تكذيب، والإيمان الذي هو غير تصديق ضد الكفر الذي هو غير تكذيب ثم يقال لهم: أخبرونا عن الإقرار بأن دماءكم حرام، وأن دينكم حق، وعدل، هل الإقرار بهذا عندكم إيمان، أو ليس بإيمان؟

---

(١) الإيمان عند صاحب التعريفات: في اللغة: التصديق بالقلب وفي الشرع: هو الاعتقاد بالقلب، والإقرار باللسان، قيل: مَن شهد وعمل ولم يعتقد فهو منافق، ومَن شهد ولم يعمل واعتقد فهو فاسق، ومَن أخلَّ بالشهادة فهو كافر.
ويقول صاحب الأصول الأباضية: الأباضية: يرون أن الدين والإيمان والإسلام أسماء لشيء واحد وهو طاعة الله تعالى وتطبيق قواعد الإسلام تطبيقاً عملياً على حسب (ما قاله علماء الأباضية) راجع كتاب الوضع ص ١٤ ـ ١٦ ومقدمة التوحيد لأبي حفص عمر بن جميع ص ٥٠ والأصول الأباضية ص ٥٦، ٥٧ والتعريفات ص ٣٤.

قالوا: بلى هو إيمان، وهو قولهم، قيل لهم: فالجحد لذلك، والقول بأن دماءكم حلال، وأن دينكم باطل، فلِمَ لا كان كفراً؟ قالوا: إن كان ذلك القول من المتأولين من أهل القبلة فليس هو بكفر، قيل لهم: لِمَ قلتم ذلك والإقرار به إيمان؟ وهل رأيتم شيئاً يكون الإقرار به إيماناً، ولا يكون الإنكار له كفراً فإن قالوا: فإن الله عزّ وجلّ قال: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ﴾[1] قيل لهم أيضاً: فقد قال الله عزّ وجلّ: ﴿قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّنْ ذَلِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[2] وقال: ﴿وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾[3]، وقال: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾[4] فاسم الكافرين، والفاسقين، والضالين، والظالمين، والفجار، مشتمل على جميع أسماء أهل النار، كما أن اسم المؤمنين والمسلمين، والمهتدين، والبارين، مشتمل على جميع أسماء أهل الجنة، فمرّة سمّي أهل النار كافرين، فقال: ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾[5] ومرّة سماهم ضالين فقال: ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾[6] ومرّة سماهم فجار فقال: ﴿كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾[7]، ومرة سماهم ظالمين فقال: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾[8] ومرّة سماهم أعداء الله، فقال: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ

---

(١) سورة السجدة آية رقم ٢٠ وتكملة الآية: ﴿كلّما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم: ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون﴾.

(٢) سورة الحج آية رقم ٧٢ وتكملة الآية: ﴿وبئس المصير﴾ وقد جاءت الآية محرّفة في المطبوعة حيث قال: (للذين) بدلاً من (الذين).

(٣) سورة غافر آية رقم ٦.

(٤) سورة العنكبوت آية رقم ٥٤.

(٥) سورة آل عمران آية رقم ١٣١.

(٦) سورة الواقعة الآيات رقم ٩٢- ٩٣، ٩٤.

(٧) سورة المطففين ٧.

(٨) سورة الزخرف آية رقم ٦٠.

﴿يُوزَعُونَ﴾[1] وقد قال الله عزّ وجلّ: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾[2] فهم أعداء الله، وهو لهم عدو، لأنه قال: ﴿عدو للكافرين﴾ وليس في أن سماهم ضالين ما يزيل عنهم كافرين، أو شيئاً من أسمائهم، ولا أن سماهم كافرين بالذي يزيل عنهم ضالين، ولا شيئاً من أسمائهم فدلّ بهذا الذي قلنا أن هذه الأسماء كلّها مقرونة بإثبات الوعيد، منوطة بوجوب العقاب، ولن يجوز أن يكون وجوب العقاب إلاّ للكفر، كما لا يجوز أن يكون وجوب الثواب إلاّ للإيمان، وقال عزّ وجلّ: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾[3] فدلّ على أنهم في القيامة على هاتين الحالتين، ثم قال: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا العَذَابَ بِمَا كُنْتُم تَكْفُرُونَ﴾[4] فجعل علّة أن ذاقوا العذاب علّة الكفر بقوله: ﴿بما كنتم تكفرون﴾ وقال: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ، وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ، أُولَئِكَ هُمُ الكَفَرَةُ الفَجَرَةُ﴾[5] وهل بقي يومئذ وجوه أخرى غير هاتين، ولم يذكرها الله عزّ وجلّ، أو أغفلها، أو نسيها، مما قلتم، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً وقد قال عزّ وجلّ: ﴿خَلَقَكُم فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾[6] فدلّ على أنه ليس فيما خلق منهم بين هذين الاسمين اسم، ولا بين هاتين المنزلتين منزلة، فالدخول في الإيمان هو الخروج من الكفر، كما أن الدخول في الكفر هو الخروج من الإيمان، وقال: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً﴾[7] رداً على مَن قال إن بينهما اسماً ثالثاً، لقوله: «إمّا»

---

(١) سورة فصلت آية رقم ١٩.

(٢) سورة البقرة آية رقم ٩٨.

(٣) سورة آل عمران آية رقم ١٠٦.

(٤) سورة آل عمران آية رقم ١٠٦.

(٥) سورة عبس آية رقم ٣٨ ـ ٤٢ وقد جاءت الآية ٤٢ محرّفة في المطبوعة حيث قال «والفجرة» بزيادة (الواو) بدلاً من (الفجرة).

(٦) سورة التغابن آية رقم ٢.

(٧) سورة الإنسان آية رقم ٣.

مكسورة مكرّرة وقال سليمان عليه السلام: ﴿هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِي لِيَبْلُونِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾[١] وقال عزّ وجلّ: ﴿وَللَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ البَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً، وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْ العَالِمينَ﴾[٢]. وفي مثل ذلك ما روي عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم حين سأله الرجل عن فريضة الحج فقال: أفي كل عام يا رسول الله؟ فقال صلّى الله عليه وسلّم: «لو قلت نعم لوجبت، ولو وجبت ما قدرتم إذا لكفرتم»[٣]. ثم قال صلّى الله عليه وسلّم: ألا لا ألفينكم رجعتم بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض على الدنيا.[٤] وقوله صلّى الله عليه وسلّم: ليس بين العبد والكفر إلاّ تركه

---

(١) سورة النمل آية رقم ٤٠.

(٢) سورة آل عمران آية رقم ٩٧.

(٣) الحديث أخرجه الترمذي رقم ٣٠٥٧ في التفسير باب ومن سورة المائدة ورقم ٨١٤ في الحج باب ما جاءكم فرض الحج، وأخرجه ابن ماجة رقم ٢٨٨٤ في الحج باب فرض الحج وفي سنده منصور بن وردان الأسدي الكوفي لم يوثقه غير ابن حبان، وأبو البختري وهو سعيد بن فيروز يرسل عن علي، ولم يلقه ولم يسمعه منه فالسند منقطع، ولكن للحديث شواهد دون ذكر سبب النزول عند الإمام مسلم، وأحمد والنسائي من حديث أبي هريرة، وعند أحمد وأبي داود والنسائي وابن ماجة والبيهقي والحاكم من حديث ابن عباس، وعند ابن ماجه من حديث أنس، ولذلك قال الترمذي: حديث حسن غريب.

(٤) الحديث رواه الإمام البخاري في كتاب العلم ٤٣ باب الإنصات للعلماء ١٢١ ـ عن أبي زرعة عن جرير أنّ النبيّ ـ صلّى الله عليه وسلّم قال له في حجة الوداع استنصت الناس فقال: وذكره. وادّعى بعضهم أن لفظ (له) زيادة، لأن جرير إنما أسلم بعد حجة الوداع بنحو من شهرين فقد جزم ابن عبد البر بأنه أسلم قبل موت النبيّ ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ بأربعين يوماً، وما جزم به يعارضه قول البغوي وابن حبان أنه أسلم في رمضان سنة عشر.
ورواه الإمام مسلم في كتاب الإيمان ٢٩ باب بيان معنى قول النبيّ ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض ١١٨ (٦٥) عن محمد بن جعفر عن شعبة، وحدّثنا عبيدالله ابن معاذ واللفظ له حدّثنا أبي حدّثنا شعبة عن علي بن مدرك سمع أبا زرعة يحدث عن جدّه جرير قال: قال النبيّ ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ وذكره ورواية أبي داود في كتاب السنّة ٤٦٨٦ قال واقد بن عبدالله أخبرني عن أبيه أنه سمع أن عمر يحدث عن النبيّ ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ وذكره ورواية الترمذي في الفتن ٢٨ والدارمي في المناسك ٧٦ وأحمد بن حنبل في المسند ٨٥:٢، ٨٧ (حلبي).

الصلاة.[1] فقد أجمعت الأمة على هذه الأحاديث يرويها الموافق، والمخالف عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وكل ما أدخلناه على المعتزلة في نفيهم التسمية بالكفر، فهو داخل على المرجئة سواء.

النقض على جهم بن صفوان[2]

تسأل الجهمية[3] عن قولهم بأن الجنة والنار بما فيهما من الثواب والعقاب، ومَن فيهما من أهل الثواب والعقاب غير باقيين ولا دائمين، فيقال لهم: ويلكم كيف منكم حتى اعترضتم على أخبار الله عزّ وجلّ بالرد على جميع ذلك بالدوام ولأهلها بالخلود، وتجاسرتم عليها بالنقض، وأنفردتم بمخالفة الأمة؟ قالوا: لما وجدنا الله عزّ وجلّ قديماً لا يحدث، باقياً لا يفنى، ولن يجوز أن يساويه أحد في صفته فلذلك أبطلنا عما دونه من الخلق أن يكون باقياً، كما

---

(١) سبق تخريج هذا الحديث.

(٢) جهم بن صفوان: هو أبو محرز جهم بن صفوان الراسبي. قال عنه الذهبي في تذكرة الحفاظ: رقم ١٥٨٤: «الضال المبتدع رأس الجهمية. هلك في زمان صغار التابعين، وما علمته روى شيئاً، ولكنه زرع شرّاً عظيماً».
وقال الطبري عنه: «إنه كان كاتباً للحارث بن سريج الذي خرج في خراسان في آخر دولة بني أمية». أنظر حوادث سنة ١٢٨ وكان جهم تلميذاً للجعد بن درهم الزنديق الذي كان أول مَن ابتدع القول بخلق القرآن وفيه يقول الذهبي في ميزان الاعتدال رقم ١٤٨٢: الجعد بن درهم عداده في التابعين، مبتدع ضال. زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً، ولم يكلّم موسى تكليماً. فقتل على ذلك بالعراق يوم النحر. راجع الفرق بين الفرق ٣١١ وميزان الاعتدال ١، ١٩٧ وتذكرة الحفاظ، وتاريخ الطبري. والتبصير ٦٢ والملل والنحل ٨٦:١ ولسان الميزان ١٤٢:٢ والرد على الجهمية والزنادقة بتحقيقنا ط دار اللواء ـ الرياض.

(٣) أتباع جهم بن صفوان الذي قال بالإجبار والاضطرار إلى الأعمال وأنكر الاستطاعات كلّها، وزعم أن الجنة والنار تبيدان وتفنيان، وزعم أيضاً أن الإيمان هو المعرفة بالله تعالى فقط، وأن الكفر هو الجهل به فقط وقال: لا فعل ولا عمل لأحد غير الله تعالى، وإنما تنسب الأعمال إلى المخلوقين على المجاز، وفي مقالات الإسلاميين: قال جهم: «إن علم الله محدث، هو أحدثه فعلم به وأنه غير الله وقد يجوز عنده أن الله يكون عالماً بالأشياء قبل وجودها بعلم يحدثه قبلها». راجع مقالات الإسلاميين ٤٩٤:٢ والملل والنحل ٨٦:١ والفرق بين الفرق ٢١١ والتعريفات للجرجاني ٧١.

أبطلنا عنه أن يكون قديماً. قيل لهم: ويحكم قد أتقيتم الأبرة، وبلعتم الزبرة[1] ووقعتم في أشدّ مما هربتم منه، أليس العلّة في أن كان القديم قديماً، أنه لم يحدث قط؟ وليست العلّة في أن كان الباقي باقياً، أنه لم يفن قط، والباقي قد يكون باقياً، ثم يفنى ويكون باقياً ولا يفنى، والقديم لا يكون قديماً إلاّ بأن لم يحدث قط.

وبعد فمن أين ناظرتم[2] الباقي بالقديم؟ وصرتم لنا مع أهل الدهر عديلتين قرينتين، فإذا ما احتججنا على الدهرية عارضونا بكم، وإذا احتججنا عليكم عارضتمونا بالدهرية قبحاً لكم، ولمقالتكم بين سائر المتكلمين! ويقال لهم: أخبرونا عن هذه الأجسام الباقية، من أبقاها وأدامها؟ قالوا: الذي خلقها هو الذي أبقاها وأدامها، قيل لهم: أبقدرة فعل ذلك، أم بغير قدرة؟ قالوا: بقدرة، قيل لهم: فهل لقدرته في ابقائه لها من نهاية، أم ليس لها نهاية؟ فإن قالوا: بأنَّ لها نهاية، وصفوا ربهم بصفات الأجسام، حيث زعموا أنَّ قدرته ذات نهاية، وإن قالوا: غير متناهية، قيل لهم: فإذا كانت غير متناهية، فلم زعمتم أنَّه لا يجوز على اللّه، ولا على قدرته أن يكون يبقي هذه الأشياء إلى غير نهاية؟ ثمّ يقال لهم: أخبرونا عن المدة في الذي انتحلتم من ذلك ما هي؟ وكم هي؟ قالوا: لا نجد لها حداً إلاَّ أنا عرفنا بأنَّها منقطعة، كما عرفنا أنَّ الدنيا منقطعة، ولو أنَّا لا نحد أجلها، ولا نعد مدتها قيل لهم: قبحاً لكم إنا إنما قلنا إنّ الدنيا منقطعة الأجل، لعلمنا بما وراءها من الآخرة، فهل تعلمون للآخرة وراء يعرف به أنَّها منقطعة كما عرف أنَّ الدنيا منقطعة بما وراءها من الآخرة؟

---

(١) الزبرة: بالضم القطعة من الحديد قال الله تعالى: ﴿آتوني زبر الحديد﴾ سورة الكهف آية ٩٦ وزُبُر أيضاً بضم الباء قال تعالى: ﴿فتقطعوا أمرهم بينهم زبراً﴾ سورة المؤمنون آية ٥٣ أي قطعاً. والزبْر: الزجر والانتهار وبابه نصر والزبر بالكسر الكتاب والجمع زبور كقدر وقدور ومنه قرأ بعضهم: ﴿وآتينا داود زُبُوراً﴾ سورة الاسراء آية ٥٥.

(٢) النظير: المِثل، والجمع: نُظراء وأصله المناظر كأن كل واحد منهما ينظر إلى صاحبه فيباريه.
والمناظرة: المباحثة والمباراة في النظر واستحضار كل ما يراه ببصيرته.
والنَّظر: «البحث وهو أعم من القياس، لأنَّ كل قياس نظر وليس كل نظر قياساً.»

ويقال لهم: هل تصفون اللّه عزّ وجلّ بأنّه دائم؟ قالوا: نعم، قيل لهم: فإنّه قد قال اللّه عزّ وجلّ في صفة الجنة: ﴿أُكُلُها دَائِمٌ وَظِلُّهَا﴾[1] افترون أنّ اللّه عزّ وجلّ وصف الجنة بصفة نفسه؟ تعالى اللّه عن مقالات الجهمية علواً كبيراً.

النقض على من زعم أنَّ القرآن غير مخلوق

يقال لمن زعم أنَّ القرآن غير مخلوق: أخبرونا عن القرآن وجميع الكتب المنزلة من اللّه إلى خلقه على ألسنة رسله، أهي أشياء أم ليست بأشياء؟ فإن قالوا: بأنّها غير أشياء أبطلوها، وجعلوها في حد العدم والتلاشي فيقال لهم: فما الذي زعمتم أنّه ليس بمخلوق؟ إذ ليس ثمّ شيء يكون غير مخلوق، أو خلقاً، وبطل على هذا المعنى أن تكون رسل اللّه جاءت من عند اللّه بشيء، وإنَّ اللّه أنزل على أنبيائه شيئاً، وقد قال اللّه عزّ وجلّ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّنْ شَيْءٍ﴾[2] فقال رداً عليهم: ﴿قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى﴾[3] فلما تبين أنَّ كتاب اللّه شيء من الأشياء، قلنا؛ لا يخلو هذا الشيء من وجهين لا ثالث لهما: إمّا أن يكون محدثاً أو غير محدث، فإن قالوا: غير محدث أبطلوا، وردوا على اللّه حيث قال: ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَنِ مُحْدَثٍ إِلاَّ كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾[4]، فإن قالوا: محدث، قيل: من أحدثه؟ فإن إضافوا حدوثه إلى غير اللّه أبطلوا، وإن قالوا: إنَّ اللّه أحدثه أقروا بخلقه، ويقال هل كان القرآن دالاً على اللّه في ربوبيته، شاهداً عليه في وحدانيته؟ فإن قالوا: لا

---

(١) سورة الرعد آية رقم ٣٥ وتكملة الآية ﴿تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار﴾.

(٢) سورة الأنعام آية رقم ٩١ وقد جاءت الآية محرفة في المطبوعة حيث قال: ﴿ما أنزل على بشر﴾ دون ذكر لفظ (اللّه).

(٣) سورة الأنعام آية رقم ٩١.

(٤) سورة الشعراء آية رقم ٥.

أبطلوا، وإنَّ قالوا: بل هو دال على اللّه، وشاهد عليه كما كان سائر الأشياء من الخلق دالاً على اللّه، قلنا من جعله دالاً على اللّه؟ ولا يجدون إلاَّ أن يقولوا اللّه جعله دلالة على ربوبيته، وشهادة على وحدانيته، كما جعل سائر الخلق كذلك، فإذا قالوا ذلك أقروا بخلقه، ويقال لهم: أخبرونا عن القرآن أليس هو محدثاً كائناً بعد أن لم يكن؟ فإن قالوا لا أبطلوا، وجعلوه قديماً مع اللّه، وصاروا إلى مذهب الاثنين[1] ممن أنبأنا عن باطلهم فيما مضى، فإن قالوا محدث كائن بعد إذ لم يكن أقروا بخلقه، والحدوث هو الخلق، كما أنَّ الخلق هو الحدوث، وإنما شنعوا عبارة الخلق لغباوتهم، وجهلهم، وهم قد أتوا بجميع معاني الخلق ولن يجوز أن يكون محدثاً غير مخلوق، كما لا يجوز أن يكون مخلوقاً غير محدث، ولن يجوز أن يكون محدث غير مخلوق، كما لا يجوز أن يكون قديم غير خالق.

وما أدخلناه على أهل القدر من الحجة في نفيهم خلق الأفعال، وهو داخل على من زعم أنَّ القرآن غير مخلوق، وداخل على كل من حاول إخراج شيء من جميع العالم، أن يكون خلقاً للّه، وتدبيراً له، ومع هذا كله أنا وجدنا اللّه عزّ وجلّ وصف القرآن بما وصف به غيره من سائر الخلق، فقال عزّ وجلّ: ﴿**إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِياً**﴾[2] وقال في غير القرآن من الخلق: ﴿**وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَينِ**﴾[3]، وقال: ﴿**وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفاً مَحْفُوظاً**﴾[4]، وقال: ﴿**هَوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورَاً**﴾[5] في

---

(١) منهم المانوية: أصحاب ماني بن فاتك الذي ظهر في زمان سابور بن أردشير، ومنهم المزدكية أصحاب مزدك، حكى الوراق أنَّ قول المزدكية كقول كثير من المانوية في الكونين والأصلين. ومنهم الديصانية أصحاب ديصان أثبتوا أصلين نوراً وظلاماً، ومنهم المرقيونية أصحاب مرقيون. راجع الملل والنحل ٢: ٥٧ وما بعدها.

(٢) سورة الزخرف آية رقم ٣.

(٣) سورة الاسراء آية رقم ١٢.

(٤) سورة الأنبياء آية رقم ٣٢.

(٥) سورة يونس آية رقم ٥.

أمثالها وقال في القرآن: ﴿إِنَا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾[١]، وقال: ﴿إِنَا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِكْرَ﴾[٢] وقال في غير القرآن من الخلق: ﴿وَأَنْزَلْنَا الحَدِيدَ فِيه بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾[٣]، وقال: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾[٤]، وقال في القرآن: ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[٥] وقال في غير القرآن: ﴿وَحَفِظْنَاهَا مِنَ كُلِّ شيْطَانٍ رَجِيم﴾[٦] وقال في القرآن: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّنْ ذِكْرٍ مِّنْ رَّبِهِم مُّحْدَثٍ إِلاَّ اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُون﴾[٧]، وقال: ﴿أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْراً﴾[٨]، وقال: ﴿أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ﴾[٩] وقال في غير القرآن من الخلق: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ﴾[١٠]وقال في القرآن: ﴿كِتَاباً مُتَشَابِهاً﴾[١١] وقال: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهاتٌ﴾[١٢]، ثمّ قال: ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَه مِنْهُ﴾[١٣]، وقال في غير القرآن من الخلق: ﴿وَالنَّخْلَ والزَّرْعَ مُخْتَلِفاً أُكُلُه والزيتون وَالرُّمَانَ مُتَشَابِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِه﴾[١٤] ، وقال في القرآن: ﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُه﴾[١٥]، وقال: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى

---

(١) سورة القدر آية رقم ١.

(٢) سورة الحجر آية رقم ٩.

(٣) سورة الحديد آية رقم ٢٥.

(٤) سورة الزمر آية رقم ٦.

(٥) سورة الحجر آية رقم ٩.

(٦) سورة الحجر آية رقم ١٧.

(٧) سورة الأنبياء آية رقم ٢.

(٨) سورة طه آية رقم ١١٣.

(٩) سورة النجم آية رقم ٥٩.

(١٠) سورة لقمان آية رقم ٦.

(١١) سورة الزمر آية رقم ٢٣.

(١٢) سورة آل عمران آية رقم ٧.

(١٣) سورة آل عمران آية رقم ٧.

(١٤) سورة الأنعام آية رقم ١٤١ وقد جاءت هذه الآية محرفة في المطبوعة حيث سقط منها كلمة (والزيتون).

(١٥) سورة فصلت آية رقم ٣.

عِلْمٍ﴾[1]، وقال في غير القرآن من الخلق: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً﴾[2]، وقال في القرآن: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَاجِرْهِ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾[3] وقال: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا كِتَاباً أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى﴾[4]، وقال: ﴿إِنَا سَمِعْنَا قُرآناً عَجَباً يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾[5]، وقال في غير القرآن من الخلق: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِها﴾[6]، وقال: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾[7]، وقال: ﴿يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَه﴾[8]، وقال في القرآن: ﴿هُدىً وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُون﴾[9]، وقال في رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالِمِينَ﴾[10]، وقال في غير القرآن من الخلق: ﴿أُوْلَئِكَ عَلَى هُدىً مِّن رَّبِّهِمْ﴾[11]، يعني ما هم عليه من الإيمان، وقال في القرآن: ﴿آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾[12] وقال: ﴿آيَةً لِلنَّاسِ﴾[13]، وقال في غير القرآن من الخلق: ﴿وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ﴾[14] وقال: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيلَ وَالنَّهارَ آيتَيْنِ﴾[15] ومثل هذا في كتاب اللّه عزّ

---

(١) سورة الأعراف آية رقم ٥٢.

(٢) سورة الاسراء آية رقم ١٢.

(٣) سورة التوبة آية رقم ٦.

(٤) سورة الاحقاف آية رقم ٣٠.

(٥) سورة الجن آية رقم ١، ٢.

(٦) سورة المجادلة آية رقم ١ وقد جاءت الآية في المطبوعة محرفة حيث قال (وقد سمع) بزيادة «واو».

(٧) سورة آل عمران آية رقم ١٨١.

(٨) سورة الزمر آية رقم ١٨.

(٩) سورة الأعراف آية رقم ٥٢.

(١٠) سورة الأنبياء آية رقم ١٠٧.

(١١) سورة البقرة آية رقم ٥ وتكملة الآية ﴿وأولئك هم المفلحون﴾.

(١٢) سورة البقرة آية رقم ٩٩.

(١٣) سورة مريم آية رقم ٢١ وتكملة الآية ﴿ورحمة منا وكان أمراً مقضياً﴾.

(١٤) سورة البقرة آية رقم ٢٥٩ وتكملة الآية ﴿وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحماً فلما تبين له قال أعلم أنَّ اللّه على كل شيء قدير﴾.

(١٥) سورة الاسراء آية رقم ١٢.

وجلّ من التمثيل والتشبيه للقرآن بغيره من الخلق مما يوجب أنَّ القرآن داخل في جملة الخلق، غير خارج منها، فيجب عليكم أن تقضوا على القرآن بـأنَّه خلق، كما قضيتم على سائره مما ذكرنا، وما لم نذكره، بأنَّه خلق، كما وقع في التمثيل به في الصفة، والتشبيه له في الحلية، أو تقضوا على سائر القرآن مما ذكرنا من الخلق الذي سوى الله بينه وبين القرآن في الصفة، على أنَّ ذلك كله ليس بخلق، إذ كنتم تقضون بالتسوية في الصفة على التسوية في الحكم، أن كنتم تعلمون بل أنتم قوم تجهلون، وهذه الجملة كافية في هذا الباب، إن شاء اللّه تعالى.

باب القول في حجة[1] الله على الخلق كيف قامت وبم قامت والرد على مَن قال بغير الحق في ذلك.

إختلف الناس في قيام حجة الله التي يثبت بها فرض الدين على عباده، ووصولها إلى خلقه، في جميع ما دعاهم إليـه من طاعتـه وزجرهم عنـه من معصيته، بعد إجماعهم على أن الله كلّف عباده البالغين أشدّهم من الأصحاء، وأنهم محجوجون مقطوعو العذر، فيما أتوا وفيما تركوا وأن الله مستـدعٍ إلى طاعته، نادب إلى عبادته، ولم يؤت أحد من الخلق في تقصير من قبل الله، وإنما

---

(١) الحجة: الدلالة المبيّنة للمحجة أي المقصد المستقيم والذي يقتضي صحة أحد النقيضين. ووردت في القرآن بمعنى المنافرة والمخاصمة قال تعالى: ﴿ألم ترَ إلى الذي حاج إبراهيم في ربه﴾. سورة البقرة آية ٢٥٨.
ووردت بمعنى البرهان تارة من المؤمنين مع الكفار قـال تعالى: ﴿لا حجـة بيننا وبينكم﴾. سـورة الشورى آية رقم ١٥.
وتارة من الكفار بحسب اعتقادهم قال تعالى: ﴿ما كان حجتهم إلاّ أن قالوا ائتوا بآبائنا﴾. الجاثية آية ٢٥.
وتارة من الحق إلى الخلق بآيات القرآن وإظهار البرهان قال تعالى: ﴿قل فللّه الحجة البالغة﴾. البقرة آية ١٥٠. راجع المفردات ١٠٧ والبصائر ٢:٤٣١، ٤٣٢.

أوتوا فيما أمروا به، ونهوا عنه، من قِبَل أنفسهم، وأنّ الله لم يقطع عليهم إلاّ بالبيان الواضح لئلا يؤتوا في شبهة من قِبَل الله، على أصل قولين: فقالت المعتزلة: إن حجة الله على عباده التي قطع بها عذرهم فيما تعبدهم بـه من الإقرار بوحدانيته[1]، والإذعان لربوبيته، ما ركبه فيهم من العقول الصحيحة السالمة من شوائب الآفات، فكل مَن صحت له جارحة العقل وسلمت له غريزة الفكر، فعليه أن يعرف بعقله، أن الله واحد لا شريك له في خلقه، ولا يشبهه شيء من بريته، لما يجده من الدلالة على ذلك في هذا الخلق، مما يشاهد من عجز الخلق عن إحداث بعضه لبعض، وحاجة بعضه إلى بعض، فدلّ ذلك على حاجة جميعه إلى محدث يحدثه ومدبر يدبره، قالوا فإذا نظر في هذا بأحسن النظر، وفكّر فيه بحقيقة الفكر، عرف بعقله ما بين الدليل والمدلول عليـه، فيستدل على أن لهذا الخلق خالقاً خلقه، ومدبراً دبره، ولا يشبهه خالقه في وجه من الوجوه، وزعموا أن الناس قد يسلمون في أمر دينهم لما جعل الله في عقولهم من الكفاية، ولا حاجة لهم إلى منبّه ولا معبّر يعبّر عن الله في شيء من أمره، وأن ما وراء هذا من المعارف برسل الله وبكتبه وأن محمداً رسول الله وبأن ما جاء به محمد أنه هو الحق، فقد يسلم الناس عندهم بجهالة ذلك وقد زعموا أنهم يسلمون بجهل جميع ما أتى به محمد صلّى الله عليه وسلّم من ذلك من الفرائض، وأنهم يسلمون بترك جميع ذلك، وأنهم يسلمون بفعل جميع ما حرّم الله على لسان نبيّه من المحارم، وأنهم غير مأمورين بمعرفة شيء من ذلك ولا بعمل شيء مما كان منه فرضاً، ولا بترك شيء مما كان منه محرّماً، وأنهم ليسوا بمنهيين عن جهل شيء من ذلك ولا عن ترك شيء مما كان منه فرضاً ولا عن مقارفة شيء مما كان منه محرماً، إذا كانوا لا يجدون في عقولهم المعرفة لشيء من ذلك حتى تكون الحجة قائمة عليهم، ووافقهم على ما وصفنا من

---

(١) الوحدانية: الفردانية. وقال أبو القاسم الراغب: الواحد في الحقيقة هو الشيء الذي لا جزء له البتّة، ثم يطلق على كل موجود حتى إنه ما من عدد إلاّ ويصح وصفه به فيقال عشرة واحدة، ومائة واحدة فالواحد لفظ مشترك يستعمل على وجوه. راجع البصائر ٥:١٧٠ بتصرّف.

مقالتهم من الأباضية[١] عيسى بن عمير.

وقال أهل الحق في ذلك إنَّ حجة الله التي يثبت بها فرض دينه على عباده، فيما تعبدهم به من طاعته، وزجرهم به عن معصيته قد قامت على الناس من جميع البالغين أشدّهم من الأصحاء برسل الله التي أرسلها إلى خلقه، دالة على وحدانيته، شاهدة بربوبيته، داعية إلى طاعته، زاجرة عن معصيته، وإن الناس لن ينالوا شيئاً من معرفة الله في الدلالة على توحيده، ولا من معرفة شيء من دينه إلاّ بتوقيف الله لهم على ألسنة رسله، وتنبيه منه على أيديهم، وإنّ الناس لا يسلمون بجهالة رسل الله إلى خلقه، ولا بجهالة كتبه التي نزلها على ألسنتهم وأنهم لا يسلمون بجهالة محمد صلّى الله عليه وسلّم، ولا بجهالة ما جاء به محمد أنه ألحق من عند الله، وإنهم لا يسلمون بترك شيء من الفرائض التي فرضها الله على لسانه صلّى الله عليه وسلّم، وإنهم بها مأمورون، ملزمون وإنهم لا يسلمون بمقارفة شيء مما حرّم الله على لسان نبيّه صلّى الله عليه وسلّم علموا بشيء من ذلك أو لم يعلموا، وهذا الذي وصفنا من هذا القول هو ما عليه جمهور الأمة لا يعرفون غيره ولا يدعون إلى ما سواه.

فإن سأل سائل فقال إذا زعمتم أن حجة الله إنما قامت بدعوة رسول الله إلى خلقه، فما لحال مَن لم تبلغه حجة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ولم يسمعها من الديلم،[٢] والصقالبة[٣]، وياجوج وماجوج ومَن بأقطار الأرض من

---

(١) الأباضية: نسبة إلى عبدالله بن أباض وهو تابعي عاصر معاوية، وتوفي في آخر أيام عبد الملك بن مروان. وهذا المذهب يعد من أقدم المذاهب الإسلامية على الإطلاق. مصادره الكتاب والسنّة والإجماع والقياس، أمّا في الحديث الشريف فيعتمد على الجامع الصحيح للإمام الربيع بن حبيب المتوفى سنة ١٧٠هـ ويوجد الأباضية حالياً في الجزائر، وتونس، وليبيا، وعمان، وزنجبار. راجع دراسات إسلامية في الأصول الأباضية ص ١٣٦.

(٢) الديلم: هم من الدول التي تفرّعت عن الدولة العباسية أصلهم مهاجرون هاجروا إلى عليّ بن أبي طالب، ثمّ صار لهم ملك في القرن الثالث في كيلان ومازندران وتغلبوا على الخليفة العباسي إلى سنة ٤٢٠هـ ثمّ تغلبت عليهم ملوك غزنة.

والديلم: الموت، والديلم: الأعداء والديلم: الموت الأسود، والديلم جبل سموا بأرضهم في قول بعض أهل الأثر، وليس باسم لأب لهم. راجع دائرة معارف القرن العشرين ١٠٦:٤ ومعجم البلدان ٥٤٤:٢. =

مشرق الشمس ومغربها؟ قلنا لا يخلو جميع مَن ذكرتم من أحد رجلين لا ثالث لهما: إمّا رجل كان على دين نبيّ من أنبياء الله تعالى عليهم السلام، متمسكاً بشريعته، ولم يسمع بدعوة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ولم تقم عليه الحجة بأنه قد جاء، فهذا واسع له أن يقيم على ما هو عليه من حجة الله التي تمسك بها من شريعة أنبيائه، أو رجل كافر بالله، جاهل بأمره غير متمسك بشيء من دين الله الذي بعث به رسله إلى خلقه، فهذا لا يسعه أن يقيم على كفره طرفة عين، وعلى هذا المعنى كانت دعوة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى مَن لا تمكنه مشافهته، ولا تبلغه مراسلته، أن يوسع على مَن كان منهم على دين نبيّ من أنبياء الله، لأن دين الله واحد، وحجته متصلة، لا يبطل آخرها أولها، كما لا يخالف أولها آخرها، ويضيق على مَن كان على كفره، وليس هو على شيء من دين الله الذي بعث به أنبياءه، ألا ترى لو أن رجلاً مضى من عند رسول الله صلّى الله عليه وسلّم على فرض شيء، أو على تحريم شيء، أو تحليله، فغاب عنه، أليس هذا واسع له أن يقيم على ما مضى به من عند رسول الله، حتى يلقى الحجة بتحويل شيء من ذلك على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم.

فإن قال فما حال الصم البكم الذين لا يعقلون الكلام، ولا يسمعون الحجة، ولا يفهمونها، وكيف حتى ألزمتموهم المعرفة بالله، إذ كانت عندكم لا تنال بالعقل، ولا تدرك بالفكر؟ أو ما حال مَن في جزيرة من جزائر البحر، كجزائر القمر،[1] وجزائر الخالدات[2]، وأشباهها من الجزائر، التي لا يؤتى

= (٣) الصقالبة: هم جيل من الناس بين بلاد البلغار والقسطنطينية وهم الذين يطلق عليهم اليوم السلافيون وهم ليسوا محصورين بين البلغار والقسطنطينية فقط ولكنهم منتشرون في الشمال الشرقي لأوروبا وفي غرب البلغار. المصدر السابق ٥:٥٣١.

(١) جزر القمر (كومورو) جمهورية إفريقية حديثة. تقع في المحيط الهندي الجنوبي. تتألف أساساً من أربع جزر. تقع إلى الشرق من ساحل موزمبيق وإلى الشمال الغربي من مدغشقر. مساحتها ٢١٧٩كم٢ السكان من أصول عربية وإفريقية وهندية، يدينون بالمذهب الشافعي باستثناء أقلية كانت تمثل سلطنة إسلامية في القرن ١٩، ثمّ أصبحت مقاطعة فرنسية. ثمّ استقلّت عام ١٩٧٥. لغتها العربية والسواحلية. راجع القاموس السياسي لأحمد عطية الله.

(٢) يسميها صاحب كتاب معجم البلدان: جزائر السعادة. وهي واقعة على المحيط الأطلسي. وبها عاش =

إليها ولا منها؟ فإن كنتم ألزمتم هؤلاء فريضة المعرفة بالله، وأنتم لا تقولون بحجة العقل، ولا بدلالة الفكر، فإنما ألزمتموهم فعل ما لا يصلون إلى فعله، لعجز خلقتهم، فهذا مما لا يجوز على الله عزّ وجلّ أن يكلف أحداً من عباده، فعل شيء مما لا يطيقونه، ولا تحتمله خلقتهم، أو كنتم تحطون عنه الفرض بمعرفة الله وحده لا شريك له، فتجيزون لهم الإشراك بالله، والجحد لربوبيته، قيل له: قد أجبنا في مثل هذه المسألة، ونحن نجيب في هذه الأخرى إن شاء الله، ونقول إنه لا يخلو مَن في جزيرة من الجزائر من أن يكون على شيء من دين الله الذي هو دين أنبيائه، فهذا واسع عليه أن يقيم على ما هو عليه من ذلك في جزيرة كان، أو في برية، أو حيثما كان، وأينما كان، أو يكون على غير دين الله، ممن هو على الكفر بالله، والجهالة بدينه، وأنبيائه، ورسله فهذا لا يسعه أن يقيم على كفره لصحة بصره، كما قلنا، وليس في قولنا بأن الإقامة لا تسعه على الكفر الذي هو فعله باكتساب منه، واختيار، ومما قد يوجب بأنا قد ألزمناهم فعل ما لا تحتمله خلقتهم، ولا تقوم به بنيتهم.

وأمّا ما ذكرتم من الصم[1] البكم فإنهم إن كانوا ممن يكتب أو يكتب له أو يفهم أو يفهم عنه، لزمه ما لزم أشياعه، وإلاّ فهو منقوص غير وافر، معذور لانطباقه، فإن قالوا ليس العقل علّة التكليف، فلِمَ لا قلتم بأن المعرفة للذي كلفوا بالعقل تنال دون ما سواه، وفرقتم بين العلة والمعلول؟ قيل لهم: ما أبعد ذهابكم يا أهل القدر عن الحق! وإلى متى، وحتى متى يقوم عوجكم؟ وإنما قال المتكلمون بأن العقل علّة

= مجموعة من الحكماء. وتقسم إلى ٦ جزائر، بإزاء طنجة. وسميت بالسعيدة لما يوجد فيها من أصناف الفواكه الطيبة والرياحين العطرة. راجع معجم البلدان، مادة جزائر.

(١) الصَّم: انسداد الأذن وثقل السمع صمَّ يَصَمَّ بفتحها، وأصمه الله قال تعالى: ﴿فأصمهم وأعمى أبصارهم﴾. سورة محمد آية ٢٣. وهو أصمّ والجمع: صُمُّ وصمّان.

وشبه بالأصم مَن لا يصغي إلى الحق ولا يقبله فقال تعالى: ﴿صم بكم عمي﴾. سورة البقرة آية ١٨، ١٧١.

والصَّماء: الداهية.

التكليف، لما كان العاقل يفهم بعقله ما خوطب به من الأمر والنهي، ويتهيّأ له أن يمتثل فعل ما أمر به بالاتّصاف دون اليأفوف الذي تهجم خلطته على ما يقع منه هجوماً، وتنبعث به فورته انبعاثاً، ولذلك قالوا أو قال بعضهم: إن ما يقع من المعتوه[١] ومن النائم والسكران وأشكالهم، إن ذلك منهم اضطرار غير اكتساب، وليس في أن قلنا إن العقل علّة التكليف، وميّزنا بذلك بين العقل والانطماس، ما يوجب أن يكون العقل يدرك ما ليس من طبعه أن يكون مدركاً له، دون منبّه ينبهه ومرشد يرشده إليه، فإن قالوا عن قول إبراهيم عليه السلام: ﴿**فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَباً قَالَ هَـٰذَا رَبِّي**﴾[٢]، ﴿**فَلَمَّا رَأَى القَمَرَ بَازِغاً قَالَ هَذَا رَبِّي**﴾[٣]، ﴿**فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ**﴾[٤] هل تزعمون أن إبراهيم عليه السلام يقول للكوكب وللقمر وللشمس هذا ربّي إلاّ بأن يستدل بالصنعة على الصانع؟ قيل فإنَّ هفوتم هذه الأخرى، أو قد كان إبراهيم عليه السلام قبل ما ينظر إلى الكوكب والقمر والشمس جاهلاً بالله، غير عارف ربه، شاكاً في الكوكب والشمس والقمر متردداً في ذلك؟ فكيف ويحكم وهو نبيّ الله ورسوله؟ أو لم تسمعوا ما قال في أول الآية من قوله: ﴿**وَكَذلِكَ نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين**﴾[٥] أفترون أن غير إبراهيم من جميع الناس أوتي من ذلك ما أوتي إبراهيم عليه السلام،؟ وإنما ذلك منه

---

(١) عته عُتاهاً وعَتَاهة، عَتِه فهو معتوه، وعُتِه فلان في فلان أولع بإيذائه ومحاكاة كلامه.
والعتاه الباكر: هو الفصام وهو ضعف عقلي يصيب المراهقين.
والعتاهة: ضلال الناس.
والعُتاهية: الأحمق.
والمعتَّه: ناقص العقل، مضطرب الخلق.
(٢) سورة الأنعام آية رقم ٧٦.
(٣) سورة الأنعام آية رقم ٧٧.
(٤) سورة الأنعام آية رقم ٧٨.
(٥) سورة الأنعام آية رقم ٢٥.

صلّى الله عليه وسلّم على وجه التوبيخ لقومه ليريهم أن الذي عبدوا من دون الله من الشمس والقمر والكواكب غير مستحق للعبادة، ولا هو لها بأهل، فدلّ على ذلك قوله في آخر الآية: ﴿يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْـرِكُونَ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِي - أي عبادتي - لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوات - وما فيها من الشمس والقمر والكواكب - والأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾،[1] فإن قالوا ما معنى قول الله عـزّ وجلّ: ﴿أَوَ لَمْ يَنْـظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَـوَاتِ والأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾[2] وقوله: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَواتِ والأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ والنَّهارِ لآيَاتٍ لأُوْلِي الأَلْبَابِ﴾[3] وقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ﴾[4]، و﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[5] في أمثالها؟ قلنا وهل أبينا ويحكم أن يكون جميع ما خلق الله دلالـة على وحـدانيته، وشهـادة على ربـوبيته، ﴿لأولي الألبـاب﴾، و﴿للمتوسمين﴾ و﴿لقـوم يعقلون﴾، ولجميع العالمين؟ وإنما نقمنا من مقالتكم بأن العقول تكون تهجم على هذه المعارف، في وجوه دقائق الاستدلالات الغامضة، دون منبه ينبهها على ذلك، ومرشد يرشدها إليه، وفي الذي تلوتم علينا من هذه الآيات، لو نظرتم لعرفتم تصديق ما قلنا، لقوله عزّ وجلّ: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾[6] يعني بـالحديث القـرآن، وبقولـه: ﴿لِّقَوْمٍ يَسْمَعُـونَ﴾[7] أي يفهمون مـا يسمعون، وإنما نبههم الله في كتابه على تلك الآيات، وأوقفهم عليها، ولم يرد بذلك جـلّ جلالـه أن يكون العبـاد يهجمون عـلى تلك المعارف في وجـوه

---

(١) سورة الأنعام آية رقم ٧٩.

(٢) سورة الأعراف آية رقم ١٨٥.

(٣) سورة آل عمران آية رقم ١٩٠.

(٤) سورة الحجر آية رقم ٧٥.

(٥) ١٦٤ البقرة وهناك آيات كثيرة مختومة بهذا المقطع وهي: ٤ الرعد - ١٢ النحل - ٦٧ النحل - ٣٥ العنكبوت - ٢٤ الروم - ٢٨ الروم - ٥ الجاثية.

(٦) سورة المراسلات آية رقم ٥٠.

(٧) سورة يونس آية ٦٧ والروم آية ٢٣.

الدلالات، بغير تنبيه منه وتعليم، ونحن نجد ما دون ذلك من هـذه الصناعات الموجودات، عند مَن لا يوجد عنده شيء من معرفة الله، ولا معرفة دينه، كما الحياكة والصياغة والصباغة والكتابة والنقش، وغير ذلك من وجوه الصناعات التي هي دون معرفة الله، ومعرفة دينه، لا يتأتى لأحد من البشر، ولا يتهيّأ لهم أن يتمثلوا شيئاً منها، إلاّ بأن يوقفوا عليه، ويرشدوا إليه، وقد تجدهم يتعلمونها بـأجرة لمعلميهم بـذلك، فكيف مـا هو أدق منـه وأغمض، وأصعب على العقول، من معرفة الله، ومعرفة دينه، وفرائضه وحلاله وحرامه، من الذي زعموا أن للعقل سبيلاً إلى التوصل إلى معرفته؟ فلو كان الأمر على ما ذهب إليه أهل القدر، وأشياعهم من ذلك لما بعث الله رسولاً إلى خلقه، ولا أنزل عليهم كتاباً، ولا شرع لهم ديناً، ولا أحلّ حلالاً، ولا حرم حراماً، ولا أوجب، ولا حظ، حيث كان العباد مكتفين بما يجدونه في عقولهم من المعارف، من أول يوم خلق الله الدنيا، إلى أن تقوم الساعة، فسبحان الله عما يصفون، ما أفظعهـا من مقالـة! ولعمري أنها لمقـالة ممتثلة من مقـالة المعـطلين أهل التكذيب، الذين أنبأنا عن باطلهم في كتاب التوحيد، والرد على أهل الإلحاد، من البراهمة[1] المنكرين للرسل لما زعمت البراهمة أن في العقول من المعرفة بأن الله واحد لا شريك له في خلقه، وأنه أمر بالعدل والتسوية فيما بينهم، ناه عن الظلم والإساءة، على مقالة هؤلاء، اكتفوا بذلك بزعمهم عن الرسل، وعن تنبيه الله عزّ وجلّ، وإرشاده للعباد، وتذكاره إيّاهم برسله، وبكتبه فلهذه العلّة أنكرت البراهمة الرسل، وكذبوا بها، حتى إنهم قالوا إن بعث الرسل من الله

(١) الديانة البرهمية: أقدم من البوذية بقرون كثيرة، ويظهر أن أصل الديانة البرهمية الهند، وتصعد إلى أبعد عهد من عصورهم التاريخية وتختلط بجميع أدوارهم الاجتماعية.
والكتب المقدسة لهذه الديانة هي «الفيدا» ثم كتاب (منافادا ماساسترا) أي قوانين مانو.
ومذهب الديانة البرهمية في الديانة البرهمية أصلان رئيسيان هما وحدة الوجود والتناسخ أي عودة الروح إلى أجساد في عالم الدنيا سواء أكان إنساناً أو حيواناً وهي من أخص عقائدهم. راجع دائرة معارف القرن العشرين ٢:١٦٠ وما بعدها. وتحقيق ما للهند من مقوله مقبولة في العقل أو مرذولة: ٢٧.

إلى خلقه، لما كان الخلق على هذه الصفة عبث منه، غير حكمة، وخطأ منه غير عدل، بل قالوا إن ذلك مفسدة للخلق غير مصلحة، ومضرّة غير منفعة، إذ كانت الرسل تزيد عليهم في الشرائع، وتحمل عليهم ثقل الفرائض، ولذلك كذبت البراهمة الرسل، وأنكروها جميعاً. وإلاّ فما وجه الحكمة في إرسال الله الرسل إلى خلقه، وإنزال كتبه إلى عباده، إذا كانت العقول كافية عن كل ذلك، نائبة عن جميعه، للذي يوجد فيها من المعارف في وجوه الدين من العبادات والفرائض والحلال والحرام ولا أشك بل أعلم علماً يقيناً، أن المقالة مأخوذة من الأخرى، معمولة عنها، وهذا كله من أهل القدر وأشياعهم، بعد قول الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلى نُوحَ والنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِه وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيـلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُـوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَينا دَاوُدَ زَبُوراً وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً﴾[1] ثمّ قال عزّ وجلّ: ﴿رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَـلاَّ يَكُـونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّـةٌ بَعْـدَ الـرُّسُـلِ وَكَـانَ اللَّهُ عَـزِيـزاً حَكِيماً﴾[2]، وقال: ﴿أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءنَا مِن بَشِيرٍ وَلاَ نَذِيرٍ﴾[3] وقال عزّ وجلّ محتجاً عليهم، وقاطعاً عذرهم ﴿فَقَدْ جَاءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ﴾[4] فهلاّ قال لهم: فقد أوتيتم عقولاً وأفكاراً وقال: ﴿أَنْ تَقُولُوا إِنَّما أُنْزِلَ الكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا﴾[5] يعني بالطائفتين اليهود والنصارى وقال: ﴿ثمّ أرسلنا رسلنا تترى كلّما جاء أمة رسولها كذبوه فاتبعنا بعضهم بعضاً﴾[6]، وقال: ﴿وَإِنْ مِّنْ أُمَّةٍ إلاَّ خَلاَ فِيهَا نَذِيرٌ﴾[7]، وقال: ﴿كُلَّمَا أُلقِيَ فِيهَا

(١) سورة النساء آية رقم ١٦٤.
(٢) سورة النساء آية رقم ١٦٥.
(٣) (٤) سورة المائدة آية رقم ١٩.
(٥) سورة الأنعام آية رقم ١٥٦.
(٦) سورة المؤمنون آية رقم ١٤.
(٧) سورة فاطر آية رقم ٢٤.

فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ قَالُوا بَلَى﴾[1]، وقال: ﴿أَوَ لَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾[2] في أشباهها، وكيف لم تحتج عليهم الملائكة بالعقول كما قالوا؟ وقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ. وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾[3]، فدلّ على أنهم لن يضلوا ولن يهتدوا إلاّ من بعد ما تبيّن لهم الرسل، وهذا كلّه من كتاب الله عزّ وجلّ مما يدل على أن الله قطع على الخلق بحجة الرسل، وأنهم لن ينالوا شيئاً من معرفته، ولا من معرفة دينه، إلاّ على أيدي رسله إليهم، لقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلاَ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَنْ نَّذِلَّ وَنَخْزَيَ﴾[4]، وقوله: ﴿وَلَوْلاَ أَنْ تُصِيبَهُمْ مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلاَ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[5]، فدلّ على أن الله لو أهلكهم قبل أن يرسل إليهم الرسل، لكانت لهم الحجة وإلاّ فإني رأيتم أو سمعتم بأُمَّة ضالة كافرة معذبة، وهي غير مكذبة للرسل؟ قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾[6]، فما باله لم يقل حتى يكونوا غير مفكرين؟ وقال عزّ وجلّ: ﴿كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِي﴾[7] في جميع ما ذكر من تكذيب الأمم لرسلها، وتعذيب الله الأمم على أيدي رسلهم، وتدميره إياهم، وهل رأيتم أو سمعتم بأمة مهتدية، مؤمنة على دين الله، ناجية من عذابه وهي غير مصدقة للرسل، ولا متبعة لهم على دينهم؟ وقال عزّ وجلّ: ﴿فَلَوْلاَ كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي

---

(١) سورة الملك آية رقم ٨، ٩.

(٢) سورة غافر آية رقم ٥٠.

(٣) سورة إبراهيم آية رقم ٤.

(٤) سورة طه آية رقم ١٣٤.

(٥) سورة القصص آية رقم ٤٧.

(٦) سورة الإسراء آية رقم ١٥.

(٧) سورة ق آية رقم ١٤.

الأَرْضِ إلاَّ قَلِيلاً مِّمَّنَ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ﴾[١] يعني ممن هو مع الرسل، وقال: ﴿فَلَوْلا كَانَتْ قَرْيَة آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إلاَّ قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الخِزْيِ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[٢]، وقال: ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونُ بالحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾[٣]، وقال: ﴿مِّنْ أَهْلِ الكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾[٤]، وعلى أثر هذا كلّه يقال لأهل الفكر أخبرونا عن البالغ في أول حال بلوغه، هل عليه في تلك الحال المعرفة بأن الله واحد لا شريك له، أم لا حتى يفكر، ويستدل بوجوه الاستدلالات بالصنعة على الصانع؟ فإن قالوا إنما عليه في حال البلوغ الفكرة، وليس عليه المعرفة، أباحوا له الإشراك بالله في حين بلوغه، وما الفرق بين الحال الأولى من حال البلوغ، والحال الثانية؟ وإن كان يسعه الجهل بالله في حال من الأحوال، فقد يجب أن يسعه ذلك في كل حال وإن قالوا إن المعرفة بالله واجبة عليه في أول حالّ بلوغه، وليس ذلك من قولهم، أبطلوا ما ذهبوا إليه من الفكر، لأنه لا يخلو في تلك الحال من أن يكون جاهلاً أو عارفاً، فإن كان عارفاً، فما حاجته إلى الفكر في تلك الحال، وهو فيها عارف وإن كان جاهلاً، ثبت أنه لم يغن عنه فكره شيئاً، إذ كان لم ينقذه من الجهل بالله عزّ وجلّ، والشك في صفته، وهو بالغ صحيح العقل، حتى يفكر ويستدل، مع ما يقال لهم: أخبرونا عن المفكر في أول حال البلوغ التي هي حال الفكر، أعارف بالله[٥] هو فيها أم جاهل؟ فإن قالوا عارف أبطلوا الفكر، وإن قالوا

(١) سورة هود آية رقم ١١٦ وقد جاءت الآية محرّفة في المطبوعة حيث قال «من قبلكم أو» بزيادة (أو).

(٢) سورة يونس آية رقم ٩٨.

(٣) سورة الأعراف آية رقم ١٥٩.

(٤) سورة آل عمران آية رقم ١١٣.

(٥) يقول ابن سينا: المنصرف بفكره إلى الله مستديماً لشروق نور الحق في سره: يخص باسم العارف. وإذا كان الزاهد قد يكون في الوقت نفسه عابداً، والعابد زاهداً فإن العارف ينطوي على الزهد والعبادة. ولكن زهده إنما هو تنزه عما يشغل سرّه عن الحق، وتكبر على كل شيء غير الحق، وعبادته إنما هو تطويع النفس الأمّارة للنفس المطمئنة، حتى يتجه بكليته إلى الله لا يعوقه عن ذلك خيال فاسد، أو وهم ضال، أو شهوة جامحة. راجع النمط التاسع: في مقامات العارفين ـ الإشارات لابن سينا.

جاهل بالله، قيل: أموحد هو أم مشرك؟ فقالوا إن الكاف ما عليه شيء، ما دام مفكراً، حتى يستدل بوجوه الاستدلالات، قيل لهم: هذا الكاف هو شاك أم غير شاك؟ أو معتقد هو أم غير معتقد؟ وما هو إن مات في حال الفكر والكف؟ أمؤمن هو أم كافر؟ أو غير مؤمن ولا كافر؟ أم من أهل الجنة هو أم من أهل النار؟ أو ليس هو من أهل الجنة ولا من أهل النار؟ فأيّما أجابوا به من هذا كله بان باطلهم.

ويقال لهم أيضاً أخبرونا عن هذه المعارف التي زعمتم أنّها موجودة في العقل أهي مما يكتسب العباد أم مما يضطرون عليه؟ فإن قالوا مما يضطرون عليه صاروا إلى مذاهب الروافض[1] الذين زعموا أنَّ المعرفة باللّه والجهل به اضطرار، وليس ذلك من قولهم، ولا يكون العلم بالاستدلالات اضطراراً، فإن قالوا بأنّها اكتساب، قيل: فأنى اكتسبوها؟ قالوا: إذا فكروا علموا، قلنا: قد نجد من يتفكر ولا يعلم، قالوا: لا يكون من يتفكر من جهة التفكر إلاَّ وقد علم، كما لا يجوز عندكم أن يستدل من جهة الاستدلال إلاَّ وقد علم، قلنا: ومن جعل الاستدلال نظيراً للفكر؟ والاستدلال نفسه هو العلم بالدليل والمدلول عليه، والفكر في نفسه عندكم ليس بعلم، وإنما هو سبب له، ومع ذلك لا يكون الاستدلال من المستدل إلاَّ من دال يدله على الاستدلال، وليس

---

(١) أعلم أنَّ الروافض يجمعهم ثلاث فرق، الزيدية، والإمامية والكسانية، والغلاة، وافترقت الزيدية فرقاً والإمامية فرقاً والغلاة فرقاً، كل فرقة منها تكفر سائرها، وجميع فرق الغلاة خارجون عن فرق الإسلام.

وقد جعل أصحاب كتب الفرق الزيدية من الروافض مع أنَّ الزيدية أتباع زيد بن علي الباقين على أتباعه (انظر مقالات الإسلاميين ١: ١٢٩ وكذلك مروج الذهب ٣: ٢٢٠) والرافضة الذين كانوا معه ثمّ تركوه لأنَّهم طلبوا إليه أن يتبرأ من الشيخين فقال: لقد كانا وزيري جدي فلا أتبرأ منهما فرفضوه وتفرقوا عنه، والزيدية: من الشيعة وقد يطلق بعض الناس اسم الرفض على كل من يتولى أهل البيت وعلى هذا جاء قول الذي يقول:

إن كان رفضاً حب آل محمد فليشهد الثقلان أني رافض

راجع الفرق بين الفرق ٢١ والتبصير ص ٢٧ ومروج الذهب ٣: ٣٣٦، ٤: ١٩٩.

الفكر كذلك حين زعمتم أنَّ صاحبه ليس بذي حاجة إلى مرشد يرشده إلى الفكر، وعلى أنَّ أهل العقول لو رجعوا إلى ما يجدونه في عقولهم، ويعرفونه في أنفسهم لعلموا أنَّهم لا يصلون إلى علم شيء مما ذكرتم إلاَّ بأن ينبهوا عليه، ويرشدوا إليه وقد وجدناهم فكروا بغاية الفكر، وقاسوا نهاية القياس، فأزالوا بفكرهم الربوبية وأبطلوا بقياسهم الوحدانية، وفكروا فقالوا الهين اثنين وفكروا فقالوا ثالث ثلاثة وفكروا فقالوا جسم من الأجسام، في جميع ما أخطأ فيه أهل الفكر، على أنَّ اللّه يناديهم بـ ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لاَ إِلَه إِلاَّ أَنَا﴾[1]، وأنا ﴿الحَقُّ الْمُبِينُ﴾[2]، ولأصحاب الاثنين: ﴿لاَ تَتَخِذُوا إِلَهيْن اثْنَيْن﴾[3] ﴿وَلاَ تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ﴾[4]، وللنصارى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاَثَة﴾[5]، ولأهل التجسيم: ﴿فَلاَ تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُون﴾[6]، وللمجوس[7] وأهل القدر: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ﴾[8] هذا وهو يدلهم، ويرشدهم، ويؤكد عليهم الحجج، ويجدد لهم الأدلة، على ألسنة رسل تترى، في كتب تتلى، وهم مع ذلك وفي كل ذلك على ما ترون، فكيف لو أنَّ اللّه أسلمهم إلى عقولهم، وأكلهم إلى أفكارهم، من أول إنسان خلقه اللّه إلى إنسان تقوم عليه الساعة، لما كان منهم عارف باللّه، ولا مؤمن به، إلاَّ أن يشاء اللّه، وهذا مذهب بعيد من كتاب اللّه عزّ وجلّ، ومن سنة رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم، ومن معالم دين اللّه جداً.

ويقال لهم في اباحتهم لأهل الفكر ما حرم اللّه عليهم من نكاح ذوات

---

(١) سورة طه آية رقم ١٤.

(٢) سورة النور آية رقم ٢٥.

(٣) سورة النحل آية رقم ٥١ وقد جاءت الآية محرفة في المطبوعة حيث قال «ولا» بدلاً من «لا».

(٤) سورة الذاريات آية رقم ٥١.

(٥) سورة المائدة آية رقم ٧٣.

(٦) سورة البقرة آية رقم ٢٢.

(٧) سبق الحديث عن المجوس في كلمة وافية.

(٨) سورة فاطر آية رقم ٣.

المحارم، وشرب المسكرات، وأكل الميتة والدم المسفوح. ولحم الخنزير، وأكل الربا، وأخذ أموال المواريث على غير ما هي من قسمة شرائع الرسل: أخبرونا عن هذه الأشياء إذا اختلف فيها أهل الفكر فيما بينهم، فأحل قوم ما حرم آخرون، وقسم قوم قسمة، وقسم آخرون أخرى، ووقعت بينهم مشاكسة فيما يأخذون ويعطون من الدية، والجروح، والقصاص، والقود في الأنفس، وسائر ذلك من أمور شرائع الأنبياء؟ فما المرجوع إليه في هذا لهم؟ وهم لا يعرفون شريعة[1]، ولا يثبتون رسولاً، وقد وجدنا أهل الإقرار بالشرائع، المثبتين للرسل والسنن، مع إجماعهم على أنَّ لهم أصولاً يرجعون إليها فيما يختلفون فيه، قد كثر بينهم التنازع، وكيف بمن لا يثبت رسولاً، ولا يقول بشريعة؟ وبعد كيف الحكم إذا قامت حجة الرسل بالتحريم على الأخت وهي تحت الأخ، وعلى البنت وهي تحت الأب، ولم تقم بذلك حجة الشرائع على الأخ ولا على الأب؟ والحجة عندكم قليلاً ما تقوم على أحد إلاَّ بأن يتفق عليه المختلفون، المتشتتة أهواؤهم، المتفرقة آراؤهم لبعدهم من التعارف، وتباينهم على التواطئ، مع عدم احتراز منافعهم، ودفع مضارهم، فمتى يتفق قيام الحجة على هذا الجواب؟ وقد أحسن الإمام رضي الله عنه حيث يقول: فما يستدل به على هذا القول بأقبح منه، مع كثرة اختلاف أقاويلكم في قيام حجتكم على المفكر فيما يسعه جهله عندكم، من مثل هذا على ما سيأتي عند ذكر أقوال المختلفين في الحجة فيما يسع الناس جهله، بعقب هذا الباب إن شاء الله. فمتى لم تقم الحجة على أهل دين الفكر، فيما وصفنا، كان لهم أن يتنازعوا فيما يحل أو يحرم، فيحرم قوم ما يحله آخرون، ويحلل آخرون ما يحرمه آخرون، ويوجب آخرون حكماً، ويسقطه آخرون، على قدر أفكارهم، وتنازع الأخت مع الأخ في التحريم، والبنت مع الأب في التحريم، إذا قامت الحجة على بعض، ولم تقم

(١) الشريعة: هي مورد الإبل إلى الماء الجاري ثمّ استعير لكل طريقة موضوعة بوضع إلهي ثابت من نبي من الأنبياء والشريعة: اسم للأحكام الجزئية التي يتهذب بها المكلف معاشاً ومعاداً سواء كانت منصوصة من الشارع أو راجعة إليه. راجع الكليات ٣: ٥٦.

على بعض، في مثل هذا من التخليط الذي لا يقوم للّه به دين، ولا يثبت عليه أمر ولا نهي، ولا يصفو معه حكم. وهذا لتعلموا أنَّ مذاهب القوم مأخوذة من مذاهب أهل التعطيل، محتملة عليها، فصار هذا القول لا ملجأ له يأوي إليه إلاَّ مقالة المعطلين للشرائع، المنكرين للسنن، فنعوذ بـاللّه من الحيرة، ومن متابعة الأهواء، وتقليد الكبراء.

باب فيمن قال إنَّ حجة رسول الله عليه السلام لا تقوم إلاَّ بسماع

قال عبداللّه بن يزيد[1] وأصحابه إنَّ حجة رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم لا تقوم على أحد من الناس إلاَّ بأن يسمعها، ثمّ قالوا وليس أحد منهم إلاَّ وقد سمعها، أما سمعوا في حال طفوليتهم، أو سمعوا في حال بلوغهم، وقال سعيد الحذاء[2] إنَّ حجة رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلم قامت على الناس جميعاً من البالغين أشدهم، الأصحاء، ولزمتهم كافة سمعوا بها أو لم يسمعوا، وليس في أن لم يسمع منهم من لم يسمع، ما يسقط عنه المعرفة برسول

---

(١) الباحث في كتب التراجم يرى عشرات الأفراد بل مئات ممن تسموا باسم عبداللّه بن يزيد، فهناك عبداللّه بن يـزيد بن حصـين بن عمرو، وعبداللّه بن يزيد بن الصلت الشيباني، وعبداللّه بن يزيد ابن مقسم وعبداللّه بن يزيد رضيع عائشة بصري. وغيرهم كثير.
فلعله عبداللّه بن يزيد العدوي أصله من ناحية البصرة، وقيل من ناحية الأهواز. سكن مكة وروى عن كهمس بن الحسن وموسى بن علي بن رباح وروى عنه بشربن موسى بن شيخ بن صالح بن عميرة الأسدي. قال أبو حاتم صدوق. وقال النسائي: ثقة، وقال الخليل ثقة. قال البخاري مات بمكة سنة ٢١٢ هـ. راجع تهذيب التهذيب ٦: ٨٣.

(٢) هو سعيد بن يحيى بن مهدي بن عبد الرحمن بن عبد كلال أبو سفيان الحميري الحذاء الواسطي - روى عن معمر وعوف الأعرابي والضحاك بن حمزة وغيرهم، وعنه إسحاق بن راهويه وأحمد بن سنان القطان وابنا أبي شيبة ومحمد بن موسى بن عمران القطان وغيرهم. قال أبو داود ثقه، وقال الدارقطني متوسط الحال ليس بالقوي، وقال الخطيب كان صدوقاً وذكره ابن حبان في الثقات مات لأربع بقين من شعبان سنة اثنين ومائتين وذكر الكلاباذي أنَّ مولده سنة ١١٢ هـ. راجع تهذيب التهذيب ٤: ٩٩.

اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم، ولا مما يسقط له المعذرة بجهالة رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم، واحتج كل واحد منها بالذي يرى أنّه يقوي مذهبه، ومقالته، وذلك أنَّ عبداللّه بن يزيد قال لسعيد: أليست الحجة فيما اختلف فيه المختلفون أن يرجعوا به إلى ما اتفقوا عليه من الأصل الذي لم يختلفوا فيه، فكل من وافق قوله منهم ما أجمعوا عليه في الأصل الأول، كانت الشهادة والإقرار له دون من كان قوله مخالفاً للأصل الأول الذي اجتمعوا عليه. فأجاب له سعيد: ببلى فقال له عبداللّه: أليس مما خالفنا عليه أهل القدر، ونقمنا من مقالتهم، إن قالوا إنَّ حجة اللّه على خلقه إنما قامت عليهم بعقولهم دون الرسل، فأجابه سعيد: ببلى فقال له عبداللّه: فإذا كان الأمر هكذا، وزعمت أنت أنَّ حجة رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم قد قامت عى الناس سمعوا أو لم يسمعوا، فأنت إنما ذهبت بقولك: أو لم يسمعوا إلى أن يحتج عليهم بما في عقولهم، فترجع إلى الذي عبنا جميعاً على القوم، لأنَّه ليس بين العقول والسماع وجه ثالث، أما أن يكون يحتج عليهم بالعقول، فذلك ما نقمنا جميعاً على من قال به، وأما أن تكون تحتج بالرسل فلا يكون أن تقوم حجة الرسل على الناس وهم لم يسمعوها، فأجابه سعيد بأن قال له: مهلاً عليك لا تعجل، ولكن تثبت فيما سألت عنه، وفيما احتججت به، وفيما أجبت من جوابك حتى تعرف ما يلزمك مما يلزم خصمك، وحتى تعلم أينا أقرب إلى مقالة من ذكرت من أهل الخطأ، وأينا أميل إلى جوابهم، فقال له عبداللّه: هات، فقال له سعيد: أليس الذي فارقنا عليه أصحاب الفكر، بأن قالوا إنَّ حجة اللّه على عباده موجودة في عقولهم مكتفون بأفكارهم عن حجة الرسل(١)، وأنَّه ليس على الناس من حجة الرسل، ولا من معرفتهم، ولا من معرفة محمد صلّى اللّه عليه وسلّم، إلاَّ بأن يسمعوا بها، فأما أن لم يسمعوا بذلك فلا؟ فأجابه

---

(١) راجع ما كتبه الدكتور عبد الحليم محمود في كتابه «التوحيد الخالص أو الإسلام والعقل في فصل (القرآن هاد للعقل ص ١٣ ورده عل من يقول بهذه القالة). وما كتبه الإمام الغزالي في كتابه المنقذ من الضلال نحو هذا الصدد وكذلك إحصاء العلوم للفارابي.

عبدالله: بنعم فقال سعيد: فكيف منك حتى خالفتني إلى مقالة القوم، بعدما عبناها عليهم أنا وأنت جميعاً، فزعمت أنَّ حجة رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم غير قائمة على أحد من الناس، ولا لازمة لهم، إلاَّ بأن يسمعوها كما قال أصحاب الفكر؟ كأنك عذرت بجهالة محمد صلّى اللّه عليه وسلّم من لم يسمع بحجته، كما عذرت أصحاب الفكر في معرفة محمد صلّى اللّه عليه وسلّم من لم يسمع بذلك، ثمّ إنك بعد ذلك ترفع على قولك برقعة محتاجة إلى رقعة أخرى، وقلت قد سمعوا جميعاً، فمتى علمت بأنَّهم سمعوا جميعاً؟ ولولا ما قلت بأنَّهم سمعوا جميعاً لكنت داخلاً في مقالة من عذر بجهالة محمد صلّى اللّه عليه وسلّم وأسقط على الناس حجته، إذا هم لم يسمعوا بها، وأنت تعظم على من عذر بجهالة محمد صلّى اللّه عليه وسلّم لمقالته بغاية التعظيم، فقـال عبدالله بن يزيد: معاذ اللّه أن أكون ممن عذر بجهالة محمد صلّى اللّه عليه وسلّم، وزعم أنَّ حجته ساقطة عن الخلق، غير لازمة لهم، فقال له سعيد: فإذا كنت كذلك فينبغي لك أن لا تقول أنَّ حجة رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم لا تقوم، ولا تلزم أحداً من الناس، إلاَّ بأن يسمعها على مقالة من عذر بجهالة محمد صلّى اللّه عليه وسلّم، وأسقط عن الناس حجته، حتى يسمعوا بها، وليس ما قلت بأنَّهم قد سمعوا مما يرقع عليك، حين قلت لا تقوم حجته إلاَّ على من سمع لأنك أجبت في أول مسألتك بما هو عند جميع السامعين خطأ من الذي يجيب به من قال بالفكر فأزال حجة محمد صلّى اللّه عليه وسلّم عن الناس، حتى يسمعوا بها، ثمّ صرت بعد ذلك ترقع جوابك بأمر لا يجامعك أحد من الناس، خصمك ولا غير خصمك، في قولك قد سمعوا جميعاً، فمن يرقع الخطأ بالخطأ فلا يزال مرقعاً أبداً.

وأما قولك بأني إنما ذهبت في قولي: أو لم يسمعوا، إلى أن أثبت أنَّ حجة رسول اللّه تقوم بالعقل، على مقالة من قال بالعقل، فكيف حتى غلطت على هذه الغلطة؟ وهل من أصحاب الفكر أحد يزعم أنَّ حجة رسول اللّه

صلّى اللّه عليه وسلّم واجبة على أحد بالعقل، وإنما قالوا إنَّها لا تجب على أحد من الناس أبداً، إلاَّ بأن يسمعوا بها، على مثل مقالتك، والزمتني العيب في قولي: إنَّ حجة رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم قد قامت على الناس جميعاً، ولزمتهم سمعوا بها أو لم يسمعوا، وهو لك ألزم وإنما قلت: ولو لم يسمعوا، حتى لا أكون ممن يبسط المعذرة بجهالة محمد صلّى اللّه عليه وسلّم لأحد من الناس، سمع بذلك أم لم يسمع به، كما بسطها أهل الخطأ من أصحاب الفكر لجميع الناس، حتى يسمعوا.

وبعد فأي المقالتين أقرب إلى مقالة من ذكرت من أهل الخطأ، وأيتهما أثبت على الأصل الأول من أنَّ حجة الرسول قائمة على الناس كافة، ولازمة لهم جميعاً؟ وأيتهما أنفر من مقالة أهل الخطأ، حيث زعموا أنَّ حجة الرسل غير قائمة على الناس، ولا لازمة لهم جميعاً، حتى يسمعوا؟ وقلت أنت أيضاً لا تقوم حجة الرسل على الناس إلاَّ بأن يسمعوا بها، ثمّ رقعت بأنَّهم قد سمعوا، وقلنا نحن بأنَّ حجة الرسل قائمة على الناس لازمة لهم سمعوا أو لم يسمعوا، فلما كان هذا من قول الرجلين، نظر المسلمون فرأوا أنَّ مقالة سعيد أقرب إلى الرشد، وأبعد من مقالة من أجمعوا على تخطئته ممن قال بحجة الفكر، وأسقط على الناس حجة الرسل حتى يسمعوا بها، ورأوا أنَّ مقالة من زعم أنَّ حجة الرسل لا تقوم على الناس إلاَّ بسماع، أقرب إلى مقالة أهل الفكر، حيث زعموا أنَّ حجة الرسل ساقطة عن الناس، بما يجدونه في أفكارهم من المعارف، حتى يكونوا سمعوا بحجة الرسل، ولولا ما رقع به صاحب هذه المقالة، بأنَّهم قد سمعوا، لما كان منفصلاً عن مقالة أهل الفكر في شيء ممن اتفقنا جميعاً على تخطئته فيما قالوا، فتبين عند المسلمين أن من قال بأنَّ حجة الرسل قد قامت على الناس كافة، ولزمتهم جميعاً سمعوا بها أو لم يسمعوا، أقرب إلى الهدى، وأبعد من مقالة أهل الخطأ، لما كان قول من يقول إنّ حجة الرسل لا تقوم إلاَّ بالسماع، ولا تلزم إلاَّ به، ثمّ يرقع بعد ذلك بأنَّهم قد سمعوا لا يكون مساوياً لقول من يقول: قد قامت على الناس كافة، ولزمتهم جميعاً من سمع

منهم ومن لم يسمع، في المقاربة من الأصل المجمع عليه، وفي المباعدة من قول أهل الخطأ من أهل القدر.

ثمّ إنَّ سعيداً قال لعبداللّه بن يزيد: إنك قد وهمت في هذين الوجهين من باب الحجة، أحدهما: أنك قلت: بأنَّ حجة رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم لا تقوم على الناس جميعاً، ولا تلزمهم، إلاَّ بأن يسمعوا، ووافقت في ذلك مقالة أهل الخطأ، وأوهمت السامعين بأنَّك عذرت بجهالة حجة رسول اللّه عليه السلام من لم يسمع بها، وليس ذلك من أصلك، والوجه الثاني: أنَّك زعمت بأنَّ الناس جميعاً قد سمعوا بحجة رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم، وقرعت دعوته جميع أسماعهم، ترقيعاً منك بذلك لفساد أول كلامك، وأنا سائلك في هذا الوجه الثاني بمسألتين فإن كنت أجبتني عنهما، وإلاَّ تبين فساد هذا الوجه الثاني من كلامك، كما فسد الأول، أحدهما: أن تخبرني هل يكون أحد على دين عيسى عليه السلام، أو على غير دين عيسى عليه السلام، من الأنبياء بعد مبعث الرسول صلّى اللّه عليه وسلّم، وكان واسعاً له أن يقيم على ما هو عليه من دينه[1]؟ قال نعم، فقال: وكيف وسعه أن يقيم على ما هو عليه من دينه، والناس عندك جميعاً قد سمعوا بدعوة رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم؟ أو كنت تخص هذا الذي هو على دين نبي من أنبياء اللّه بأنَّه لم يسمع بدعوة رسول اللّه من دون الناس، وأنت زعمت أنَّ جميع الناس سمعوا بها؟ فكيف صم هو عن حجة سمعها من في المشرق، ومن في المغرب؟ وهو أحرى أن يسمع بها لأنَّه يتوكف ذلك ويتوقع حدوثه.

والمسألة الثانية: أن قال له: أخبرني عن جميع ما فرض اللّه من الفرائض على لسان نبيه صلّى اللّه عليه وسلّم هل سمع الناس بها جميعاً، حتى نالوا معرفتها أم لم يسمعوا؟ فإن كنت زعمت أنَّهم سمعوا بها، فكيف سمع

---

(١) قال عليه الصلاة والسلام: «لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثمّ لم يؤمن بالذي أرسلت به إلاَّ كان من أصحاب النار.» راجع تفسير القرطبي ١: ٤٣٣ ـ ٤٣٤.

جميع من في المشرق، من ياجوج وماجوج، والسند[١] والهند[٢]، ومن بالمغرب من الإفرنج، والشياكمة، والجلالقة أن يكون هؤلاء كلهم سمعوا بدقائق الفرائض في وجوه معمولاتها؟ فمن أدعى ذلك كان الوجود شاهداً بكذبه، ناقضاً عليه دعواه، أو تكون تقول: إنَّ العمل بجميع تلك الفرائض على من ذكرنا محطوط حتى يسمعوا بها، وليس ذلك من مذهبك ولا من مذهب الأباضية إلاَّ من شذ منهم ممن ذكرنا، ولحق بمذهب أهل القدر، لأنَّ مذهب الأباضية أن قالوا: لا يسع ترك شيء من الفرائض، علم التارك لها أو جهل ولا تسع مقارفة شيء من المحارم، علم المقارف لها أو جهل، فلما كانت الحجة في عمل الفرائض قائمة على الناس كافة، واجبة عليهم جميعاً، سمعوا بها أو لم يسمعوا، كان القول في حجة رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم في الجملة بأنَّها قائمة على الناس، واجبة عليهم، سمعوا بها أو لم يسمعوا مثل ذلك، فما بلغنا أنَّ عبداللّه ابن يزيد أجاب لسعيد في هاتين المسألتين جواباً.

وأنا بنفسي قد سألت عن هذه المسألة في السماع بالفرائض بعض علمائهم فما علمت أنَّه أجابني عنها بجواب أقدر على حكايته، على الحرص مني على ذلك، وقد بلغنا بأنَّ من ضعفة القوم من يتكلف بالجواب عن عبداللّه

---

(١) السند: بلاد بجهات الهند، ويطلق هذا اللفظ أيضاً على طائفة متاخمة للهند صفر الوجوه. وقال ياقوت الحموي في معجمه: إنَّ السند بلاد بين الهند وكرمان وسجستان قصبتها المنصورة واسمها بلغة الهند برهمناباذ على مرحلة من الملتان. راجع دائرة معارف القرن العشرين ٥: ٣٠٧ وقال صاحب معجم البلدان والسند أيضاً ناحية من أعمال طلبيرة من الأندلس، والسند أيضاً مدينة في إقليم فريش بالأندلس، والسند أيضاً قرية من قرى بلدة نسا من بلاد خراسان. راجع معجم البلدان ٣: ٢٦٧.

(٢) الهند: يقول صاحب دائرة معارف القرن العشرين: هي أحد أشباه الجزائر الثلاث التي توجد في آسيا الجنوبية، وهي بانحصارها بين شبه جزيرة العرب، وشبه جزيرة الهند الصينية تشبه إيطاليا من أوربا ولكنها بشكلها الجملي يمكن تشبيهها بأفريقيا فهي عبارة عن مثلث غير منتظم السيقان قاعدته جبال هيماليا ورأسه رأس كومورين يغمرها من جهة الغرب خليج العرب، ومن الشرق خليج بنغال ويحيط بها من جهتين نهرا الأندوس، وهي تتاخم من جهة الغرب الأراضي التي تسكنها القبائل الأفغانية. راجع دائرة معارف القرن العشرين ١٠: ٥٤٠ وما بعدها.

في هذه المسألة، بأمر قد تبين فيه عوار ما تكلف به، بأن قال: إنَّهم حين سمعوا بالجملة[1] قد سمعوا بالفرائض، لما كانت الفرائض داخلة في الجملة، ويقال لهذا متى جومعت على السماع لجميع الناس بالجملة، حتى تجعله أصلاً تبنى عليه سماع الفرائض، ومع ذلك أحسب الأمر على ما قلت فمن أين كان السماع بالجملة مؤدياً إلى السماع بدقائق الفرائض؟ وهل يوجد في الجملة من المعرفة شيء من الفرائض يهتدي إلى عملها سماع الجملة؟ فلما لم يكن سماع الجملة مؤدياً إلى شيء من الفرائض ولا تكون الفرائض مسموعة منها، ولا معروفة من قبلها، فلم لا كان سماع الجملة كسماع سائرها من جميع أقاويل الناس، وهذا أوضح بياناً من أن يتكلم فيه بأكثر من هذا.

ويقال لهم: أخبرونا عن قولكم: بأنَّ دعوة رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم قد سمعها جميع الناس في أول يوم بعثه اللّه، ودعا بمكة: **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً﴾**[2]، متى سمعوا في حين دعائه أم بعد ذلك؟ فإن قالوا: في حين دعائه، قيل لهم: فهل كان جميع الناس موجودين كلهم في ذلك الحين، حتى سمعوا بها، أو لم يسمعوا؟ أم كيف القصة في ذلك؟ أم كيف حتى يكون من بالمشرق، ومن بالمغرب يسمع دعوة رجل بمكة، وهم عنها نايون إلاَّ أن يكون ذلك على جهة الإعجاز[3]، فحينئذ يتفق جميع الناس بأنَّهم قد سمعوا بها ونكون نحن اليوم لها سامعين، وهذا ما قد بان فساده. وفي هذا

---

(١) راجع ما كتبه الشيخ السالمي بشأن الجملة عند الأباضية وتعليق الشيخ أحمد بن حمد الخليلي مفتي عام السلطنة في مشارق أنوار العقول بتحقيقنا جـ ٢ ص ١٥٠.

(٢) سورة الأعراف آية رقم ١٥٨.

(٣) اعجاز القرآن: «ارتقاؤه في البلاغة إلى أن يخرج عن طوق البشر ويعجزهم عن معارضته على ما هو الرأي الصحيح لا الأخبار عن المغيبات ولا عدم التناقض ولا الاختلاف، ولا الأسلوب الخاص، ولا صرف العقول عن المعارضة، ولا إيجاز اللفظ أو كثرة المعنى وليس إعجازه لمعناه فقط بل هو في المعنى التام كما هو في النظم، ولو كان حاصلاً بدون النظم لم يكن مختصاً بالقرآن بل يكون بعض الأحاديث معجزاً أيضاً وهذا خرق الإجماع.» راجع الكليات ١: ٢٣٨.

الباب حجج كثيرة لم أذكر منها إلاَّ اليسير فمن أجل ذلك أخذ المسلمون[1] بمقالة سعيد في الحجة، واحتملوا عليها، وتركوا مقالة الآخرين.

فإن سأل سائل فقال: أخبروني عن حجة رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم، هل كانت قائمة على الناس كافة، لازمة لهم جميعاً؟ قيل له نعم: فإن قال: فكيف قيامها على الناس، وأنتم تفرقون بين قيام الحجة وبين السماع بها؟ قيل له: بلى قد فرقنا بين ذلك، لأنَّ السماع[2] لا يكون إلاَّ بمشافهة الكلام، فيكون السامع سامعاً بمخاطبة من يخاطبه، ولا يكون ذلك إلاَّ والمخاطب بحضرة الذي يخاطبه، وقيام الحجة معناه: أن يكون رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم في دعوته، وتبليغ رسالته مشافهاً بالكلام لمن بحضرته ممن تمكنه مشافهته، ومرسلاً، وكاتباً إلى من لا تمكنه مشافهته بالكلام، مضيقاً على من لا تمكنه مراسلته ولا تبلغه مكاتبته إذا هو لم يكن على شيء من دين اللّه، موسعاً على من هو على دين اللّه، ودين أنبيائه، فلهذا كان السماع ضرباً من التبليغ، وليس معناهما واحداً، فإن قال: فمن أين علمتم بأنَّ حجة رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم قائمة على الناس جميعاً، سمعوا أولم يسمعوا؟ قيل له من قبل قول اللّه عزّ وجلّ: ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَّبِّكَ وَإِن لَّم تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَه**﴾[3]، ثمّ قال عزّ وجلّ لرسوله ﴿**فَتَوَلَّ عَنْهُمْ**

---

(١) يقول الدكتور عمار الطالبي: المسلمون عند المؤلف هم الأباضية والمخالفون لهم يسميهم الأباضيون موحدين.

(٢) يهتم رجال التصوف بالاستماع ويتلون قول اللّه تعالى: ﴿فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه﴾.

وروي عن ابن جريج أنَّه كان يرخص في السماع فقيل له: إذا أتي بك يوم القيامة، ويؤتى بحسناتك وسيآتك ففي أي الجانبين سماعك..؟

فقال: لا في الحسنات ولا في السيآت. يعني أنَّه من المباحات.

وسئل الشبلي عن السماع فقال: «ظاهره فتنة، وباطنه عبرة فمن عرف الإشارة حلَّ له استماع العبرة وإلاَّ فقد استدعى الفتنة وتعرض للبلية.» راجع الرسالة القشيرية ٢: ٦٣٧ وما بعدها.

(٣) سورة المائدة آية رقم ٦٧ وقد جاءت الآية محرفة في المطبوعة حيث قال رسالاته بدلاً من (رسالته).

فَما أَنْتَ بِمَلُومٍ﴾[١]، فدل على أنّه قد فعل من ذلك ما أمر به صلّى اللّه عليه وسلّم، ولو لم يكن رسول اللّه عليه السلام مبلغاً لرسالة اللّه التي أرسله بها إلى خلقه، لكان يجب أن يكون مفرطاً، ملوماً، وحاش له من ذلك صلّى اللّه عليه وسلّم.

فإن سأل سائل: قد ذكرت أقاويل المختلفين في الحجة فيما لا يسع الناس جهله، وثبتت أن الحجة لله على خلقه قد قامت عليهم بالرسل التي أرسلها إليهم، ودلّت أن حجة الرسل واجبة على الناس جميعاً[٢]، بالغة إليهم في معرفة جميع ما لا يسعهم جهله، وفي فعل جميع ما لا يسعهم تركه، وفي ترك ما لا يسعهم فعله، ودللت على أن ما جاءت به الرسل من ذلك واجب على العباد امتثاله على ما جاءت به الرسل من المعرفة والعمل - والترك جميعاً، سمعوا بذلك أو لم يسمعوا، فالآن أخبرني ما الحجة فيما يسع الناس جهله ما هي؟ وما الوجه الذي إذا أورد عليهم كانت المعرفة به واجبة في جميع ما ورد به من ذلك؟ قيل له: ولا قوة إلاّ بالله، إن هذه المسألة التي سألت عنها قد تنازعت الأمة في جوابها على أقاويل لا تحصى عدتها كثرة لما يوجد من اختلاف كل طائفة منهم في فروع ما بينهم، سوى الاختلاف في مقالات المختلفين في أصولهم، فلذلك يتعذر تتبعه إلى أقصى غايته، لكنني أحصل لك جميعه في ثلاث صفات تحتوي على مذاهب القوم في أصولهم، وفي فروعهم وتكتفي بذلك عن تعدادها إن شاء الله.

---

(١) سورة الذاريات آية رقم ٥٤.

(٢) قال تعالى: ﴿وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه﴾. سورة الأنعام آية رقم ٨٣.
والحجة ما جرى بينه وبين قومه من الاستدلال على حدوث الكواكب والقمر والشمس وعيبهم إذ سووا بين الصغير والكبير وعبدوا مَن لا ينطق وإلزامه إيّاهم الحجة ﴿آتيناها إبراهيم﴾ أرشدناه إليها بالإلهام وقال مجاهد: الحجة قول إبراهيم (فأي الفريقين أحق بالأمن). راجع زاد المسير ٣:٧٨ وتفسير ابن جرير ١١:٥٠٤.

فأمّا الوجه الأول منها: فمذهب أهل العدد[1] الذين يذهبون إلى أن العدد هو الحجة، على قدر اختلافهم في الأعداد وأكثر القائلين بهذا من الناس أهل القدر.

والوجه الثاني: ما ذهب إليه أهل التواتر[2] ممن يزعم أن الحجة لا تقوم فيما يسع الناس جهله حتى تتواتر به الأخبار، فحينئذ تتأكد المعرفة ولهم في صفة التواتر اختلاف، وتنازع كثير، تغنيك هذه الجملة عن تفصيله إن شاء الله.

والوجه الثالث: مقالة مَن يقول إن ورود الحق على الناس بصفته التي هو بها هو الحجة عليهم، في معرفة جميع ما يسعهم جهله، من قبل وروده، ولا تعتبر في ذلك عندهم عدّة الواصفين، قلوا أو كثروا، ولا ينتظر به تواتر الأخبار حتى تتفق أو تختلف، فإلى هذه الوجوه الثلاثة تأوي جميع مذاهبهم في هذا الباب، إن شاء الله.

فإن قال: قد فهمت محصول هذه الوجوه الثلاثة المتضمنة لجميع أقاويل

---

(١) العدد: أحد المفاهيم العقلية الأساسية، وهو بهذا الاعتبار لا يحتاج إلى التعريف، إلاّ أن بعض العلماء يعرفونه بنسبته إلى غيره من المعاني القريبة منه فيقولون: العدد هو الكمية المؤتلفة من الوحدات أو الكمية المؤلفة من نسبة الكثرة إلى الواحد. ويسمى بالكم المنفصل لأن كل واحد من أجزائه منفصل عن الآخر دون اشتراك بينها. وعلم العدد: هو العلم الرياضي المحض، وينقسم إلى علم الكم المنفصل كالحساب والجبر وعلم الكم المتصل كعلم الهندسة، وعلم اللانهايات. راجع التعريفات ١٢٨ ـ ١٢٩ والكليات ٣:٢٥٣، ٢٥٤.

(٢) التواتر: من حيث الرواية هو أن يرويه جماعة لا يتصوّر تواطؤهم على الكذب فيكفر جاحده.
وأمّا التواتر: من حيث ظهور العمل به قرناً فقرناً من غير ظهور المنع والنكير عليهم في العمل به غير أنهم ما رووه على التواتر، لأن ظهور العمل به أغناهم عن روايته فجاحد هذا المتواتر لا يكفر لمعنى عرف في أصول الفقه.
ويقول صاحب كتاب جامع الشمل: التواتر: خبر أقوام عدول زال عنهم اسم الجهالة موثوق بقولهم عن أمر محسوس يستحيل تواطؤهم على الكذب عادة، بخلاف النظري لجواز الغلط فيهم، فإن الجمع العظيم لو أخبر عن حدوث العالم أو غيره من النظريات لم يحصل للعلم بخبرهم. راجع الكليات ٢:٩٦ والتعريفات ص: ٦٣ وجامع الشمل في أحاديث خاتم الرسل ٢:٣٤٩، ٣٥٠.

الناس فيما سألت عنه من هذا، فأخبرني عن مذهبك في هذه الوجوه، وإلى أيّها تميل بجوابك؟ قيل له: لما كان العدد في الحجة لا يجب القطع به ولو كثر، إذا كان مخالفاً للصفة، مع عدم الدلالة في شيء من تلك الأعداد دون شيء، كان القول به قولاً فاسداً، ولّما كان التواتر يتعذر اتفاقه، ولا يتهيَّأ ايتلافه إلاّ بعد شكوك معارضة للحجة، بعد كثير سماعها كان القول بأن لا تقوم الحجة، ولا تلزم المعرفة بما دون التواتر قولاً مضطرباً، غير ذي حد معروف، إلاّ بأن يتواتر الخبر بما لا يدفع له من التواتر اضطراراً، وهذا بعيد الحد، ولما كان هذان الوجهان على ما وصفنا، كان الحق في نفسه حجة على مَن سمعه، كثر الموردون له أو قلوا، على أنّا لا ندفع أن يكون كثير العدد في الحجة ولا نأبى أن يكون تواتر الخبر فيها موجباً للمعرفة، بل ذلك كلّه حجة، وما دونه حجة، وإنما الاختلاف في المعنى الذي لا تقوم الحجة ولا تلزم المعرفة إلاّ به، فإن قال: فإني أراك تذهب إلى أن الحق في نفسه حجة على مَن سمع به، ولم تلتفت إلى عدّة القائلين في ذلك، فهل تقول إن الواحد من الناس في الحق حجة؟ قيل له: نعم إن الواحد حجة في جميع دين الله، إذا كان هو من أهل دين الله، ولا يوجد على ما وصف من حجة الله مزيد، ولا لما قال من ذلك خلاف.

فإن قال: فمن أين علمت ذلك من الأصل[1] أو من الفرع؟ قيل له: من الأصل، ومن الفرع جميعاً، أمّا من الأصل فإني وجدت الله حاج عباده فيما تعبدهم به برسول واحد، وقطع بذلك عذرهم، ولو كان الواحد لا يكون حجة، لما كان الله يقيم به حجته على خلقه، ويقطع بذلك معاذيرهم ثم إنّي وجدت من فعل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أنه يرسل إلى الناس في

(١) الأصل: في اللغة عبارة عما يفتقر إليه ولا يفتقر هو إلى غيره. وفي الشرع عبارة عمّا يبني عليه غيره، ولا يبني هو على غيره. والأصل ما يثبت حكمه بنفسه ويبنى عليه غيره.
والأصول من حيث إنها مبنى وأساس لفرعها سميت قواعد. ومن حيث إنها مسالك واضحة إليها سميت مناهج ومن حيث إنها علامات لها سمّيت أعلاماً. راجع التعريفات ٢٢ والكليات ١٨٩:١ ومقدمة ابن خلدون ٢٨٤.

آفاقهم رسولاً واحداً، يحتج به عليهم، ولو كان لا يكون حجة إلاّ ما ذكروا من العدد، لما كان رسول الله يرسل إلى الناس إلاّ جماعات وفي هذا أيضاً ما يفسد على أهل التواتر مذهبهم، إلاّ يكون رسول الله يقطع على أحـد من الناس إلاّ بأن يعلم بتواتر الأخبار عليهم.

وأمّـا من الفرع فـإني وجدت الأمـة تولي واحـداً، وتستفتي واحداً، وتستعمل واحداً، وتستقضي واحداً، فيكون ذلك الواحد حجة عندهم في كل ما هو فيه، ولو كان لا يكون الواحد حجة، لما كانت الأمة تجتمع على ما وصفنا من فعلهم ذلك.

ووجه آخر لما كان العدد غير قاطع به إذا هو أخطأ في الصفة، وخالف في الحق، وجب أن يكون الحق في نفسه حجة. فإن قال قد فهمت ما وصفت في هذا من قولك إن الحق في نفسه حجة، قل الموردون له أو كثروا، غير أني أخذت عليك في واحدة، حيث اشترطت أن يكون المورد للحجـة من أهل الحجة، كأنك عارضت قولك، فلِمَ لا قلت: إن الحق في نفسه حجة يكـون المورد له من شاء من الناس؟ قيل له: قلت، ذلك لقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِين آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾[1]، فدلّ على أنه لو كان غير فاسق[2] لما وجب عليهم أن يتبينوا، وفي هذه الآية إشارة إلى أن الـواحد حجة، إذا كان غير فاسق، على أني رأيت أكثر أصحابنا، أكثر ما تميل أجوبتهم

---

(١) سورة الحجرات آية رقم ٦ وتكملة الآية ﴿أن تصيبوا قوماً بجهالةٍ فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾. وذكرت الآية في المطبوعة على أنها رقم (٥).

(٢) فسق فلان خرج عن حجر الشرع وذلك من قولهم فسق الرطب إذا خرج عن قشره، وهو أعمّ من الكفر، والفسق يقع بالقليلْ من الذنوب وبالكثير لكن تعورف فيما كان كثيراً. وأكثر ما يقال الفاسق: لَمن التزم حكم الشرع وأقرَّ به ثمّ أخلّ بجميع أحكامه أو ببعضه، وإذا قيل للكافر يا فاسق فلأنه أخلّ بحكم ما ألزمه العقل واقتضته الفطرة قال تعالى: ﴿ومَن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون﴾. سورة النور آية ٥٥ وقال تعالى: ﴿ومَن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون﴾. سورة النساء آية ٤٧ والفاسق أعم من الكافر. راجع بصائر ذوي التمييز ٤؛ ١٩٢ والمفردات ص ٣٨٠.

إلى أن الواحد لا يكون حجة حتى يزيد معه ثان غيره، كأنهم ناظروا ذلك بالشهادات في الأحكام، والله أعلم.

وقد قال بعض علمائنا: بأن الواحد لا يكون حجة، ولو أنه أتى بصفة الحق التي لا يوجد عليها مزيد، ولا لها خلاف، حتى يكون ذلك الواحد في الغاية من العلم بجميع دين الله، فذهب بقوله إلى أن يكون القائم بالحق منظوراً إليه، معمولاً على قوله، لا تعتري الشكوك[1] عند الضعفاء ممن تقوم عليه الحجة فيما يقول به، ولبعضهم إشارات إلى أن الحق في نفسه حجة، لا تعتبر ثقة الواصف له، كما لا تعتبر عدته، كائناً مَن كان من الناس. وهذه أربعة أقاويل لأصحابنا، تدبّروا منها ما قوي مما ضعف، وفيما ذكرت من أقاويل أصحابنا في الحجة دون مَن سواهم، ما ينبئك عن كثرة أقاويل المختلفين من الأمة في ذلك.

فإن قال: ما معنى قول بعض العلماء إن الحجة فيما يسع الناس جهله أن تعلمه من كتاب الله، أو من سنّة رسول الله، أو مما أجمع عليه المسلمون مما دانوا به؟ قيل له: هذا قول غير مختلف فيه، فكلّ مَن فهم الحق من الكتاب، أو من السنّة، أو من أقاويل المسلمين التي دانوا بها، وعرفه منها، كانت معرفته عليه حجة واجبة، وإنما الاختلاف فيمَن ورد عليه وجه من الحق، وخوطب به أنه من كتاب الله، أو من سنّة رسول الله، أو من آثار الأئمة مما أجمعوا عليه، والمخاطب لا يعلم ذلك، ففي هذا اختلف الناس، متى تقوم الحجة عليه فيه؟

---

(١) الشكوك جمع شك، والشك هو التردد بين النقيضين بلا ترجيح لأحدهما على الآخر عند الشاك، وقيل الشك ما استوى طرفاه، وهو الوقوف بين الشيئين لا يميل القلب إلى أحدهما فإذا ترجح أحدهما ولم يطرح الآخر فهو ظن فإذا طرحه فهو غالب الظن وهو بمنزلة اليقين.
وقال الجويني: الشك ما استوى فيه اعتقادان أو لم يستويا ولكن لم ينته أحدهما إلى درجة الظهور الذي يبني عليه العاقل الأمور المعتبرة.
والشك كما يطلق على ما لا يترجح أحد طرفيه يطلق أيضاً على مطلق التردد. راجع التعريفات ١٦٨ والكليات ٣:٦٢ ـ ٦٣.

وأمّا ما ذكر عن قوم من الأباضية في الحجة أنهم قالوا: إن الحجة لا تقوم على الناس فيما يسعهم جهله من دين الله، إلاّ بأن يجتمع عليها جميع العلماء، فلست أدري ما يذكر عنهم من هذا، بعد إذ سألت فيه من أخذت عنه من علمائنا، وشافهت بعض علمائهم، فما أوقفوني على محصول ذلك، ولم أقف عليه فيما درست مع شدّة الحرص مني فيه، وكثرة البحث، فإن كان القوم يذهبون إلى أنه لا يكون حجة إلاّ ما يجتمع عليه العلماء دون ما يختلفون فيه، فهذا وجه، أو يكونوا يذهبون إلى أن الحجة لا تقوم على أحد من الناس فيما يسعهم جهله من دين الله، إلاّ بمحضر جميع العلماء، فإن كان القوم إلى هذا يذهبون، وإيّاه يريدون، فما أراهم جعلوا للحجة وجهاً تقوم به، كأنهم أرادوا ألاّ يوجبوا على الناس حجة في جميع ما يسعهم جهله أبداً، فيكون هذا القول منهم شبيهاً بالذي يذكر عنهم من توسعة الجهل بجميع الفرائض التي هي دون التوحيد على مَن فرضت عليه، وإن الذي يجب على الناس من ذلك أن يفعلوا دون أن يعلموا، والله أعلم بما يذكر عنهم من هذا، فلست أكون كرامي سهم في ليلة ظلماء ولا يرى غرضاً.

باب القول في إنَّ الملل[1] المخالفة لملة الإسلام مشركون

اجتمعت الأمة ولا نعلم لهم خلافاً، أنَّ الملة المخالفة لملة الإسلام مشركون، يحكم عليهم بأحكام المشركين من القتل، وسبي الذرية، وغنيمة

(١) الملة كالدين وهو اسم لما شرع الله تعالى لعباده على لسان الأنبياء ليتوصلوا به إلى جوار الله، والفرق بينها وبين الدين أنَّ الملة لا تضاف إلاَّ إلى النبيّ عليه الصلاة والسلام الذي تسند إليه قال تعالى: ﴿اتبعوا ملة إبراهيم﴾ وقال: ﴿واتبعت ملة آبائي﴾. ولا تكاد توجد مضافة إلى الله ولا إلى آحاد أمة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ولا تستعمل إلاَّ في جملة الشرائع دون آحادها لا يقال ملة الله، ولا يقال ملتي وملة زيد كما يقال دين الله ودين زيد. راجع المفردات في غريب القرآن ص ٤٧١ - ٤٧٢.

المال، وأخذ الجزية من أهل العهد منهم، وغير ذلك من أحكام المشركين، إلاَّ ما كان من هؤلاء الرهط الذين هم شعث بن عمير وابن أبي المقداد، فإنَّهم خالفوا في التسمية باسم الشرك دون أحكام الشرك، فلما كانت الأمة مجتمعة على أنَّ هذه الأحكام التي ذكرناها من القتل، والسبي، والغنيمة، وغير ذلك أنَّها أحكام المشركين، بانوا بها من الموحدين، صار إجماعهم حجة على من أراد أن يزيل عنهم اسم المشركين، والأمة لا تجتمع على شيء ثمّ تختلف فيه، وأجمعوا على القول بأنَّ هذه الملل، ملل الشرك ففي إجماعهم على القول بأنَّها ملل الشرك، دليل على إبطال ما ذهب إليه من زعم أنَّهم غير مشركين، وأجمعت الأمة على أنَّ أهل هذه الملل إذا هم حاربوا، وبانوا بدارهم، أنَّ دارهم دار شرك، واجتمعت الأمة على أنَّ من خرج من دينه راجعاً إلى ملة من هذه الملل، أنَّه مرتد إلى الشرك، واجتمعت الأمة على أنَّ أهل هذه الملل إذا قوتلوا، أو سبوا، أو غنموا، فإنَّ ذلك من قبل ما أنَّهم مشركون، واجمعوا على أنَّ مناكحتهم محرمة، لأنَّهم مشركون وأن ما حلّ من ذلك بخصوصية اللّه إياه بقوله عزّ وجلّ: ﴿**وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ**﴾[1]، وإلاَّ فالجميع باق على تحريمه من قوله عزّ وجلّ: ﴿**وَلاَ تَنْكِحُوا المُشْرِكَاتِ**﴾[2] ﴿**وَلاَ تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ**﴾[3]، فعلى مدعي الخلاف أن يوجدنا وجهاً به حرم إنكاح رجالهم، من الكتاب، أو من السنة، أو من الإجماع، إلاَّ من قول اللّه: ﴿**وَلاَ تُنْكِحُوا المُشْرِكِينَ**﴾،[4]، أو يوجدنا وجهاً به أحل قتالهم، إلاَّ من قول اللّه عزّ وجلّ: ﴿**وَقَاتِلوا المشَرِكينَ كَافَةً**﴾[5] ومن قوله: ﴿**قَاتِلُوا**

(١) سورة المائدة آية رقم ٥.

(٢، ٣) سورة البقرة آية رقم ٢٢١ وتكملة الآية ﴿حتى يؤمن ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم أولئك يدعون إلى النار واللّه يدعو إلى الجنة والمغفرة بإذنه ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون﴾.

(٤) سورة البقرة آية رقم ٢٢١.

(٥) سورة التوبة آية رقم ٣٦.

﴿الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ ـ إلى قوله ـ: وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾[1]، فدل على أنّهم مشركون، وأجمعوا على أنّهم إنما عرفوا جميع ما أجمعوا عليه في هذا من الكتاب، ومن سنة رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم في فعله، وفي سيرته عليه السلام، فلما كان من إجماع الأمة ما وصفنا، والرسول صلّى اللّه عليه وسلّم يقول: (لن يجمع اللّه أمتي على ضلال)[2] تبين أنَّ الخارج عن إجماعهم، والنائي عن كافتهم في ضلال، واللّه أعلم بما هو في ضلالته تلك.

ثمّ نحن مع هذا كله سائلو القوم بما لا جواب لهم فيه: ولا قبل لهم به إن شاء اللّه، ولا قوة إلاّ باللّه، فنقول لهم: أخبرونا عن أهـل هذه الملل؟ أليسوا مكذبين للرسل، جاحدين لحجج اللّه التي دل بها على رسالتهم، منكرين لمعجزاتهم، وآياتهم؟ فلا بدّ من بلى، فيقال لهم: أخبرونا عن هذه الآيات التي أعجز اللّه بها خلقه عن الاتيان بها، وبأمثالها ولو كانوا على ذلك متظاهرين[3] أهي مما يحتمل البشر أن يأتوا به، أو بمثله أو مما لا يحتملونه؟ فإن قالوا مما يحتملونه قيل لهم: فلم صارت إذا آيات ومعجزات إذا كان البشر يأتون بها وبأمثالها؟ فيجب على هذا المعنى أن تكون غير دالة على صدق من ظهرت على يديه، وهذا مما لا يقول به إلاّ الجاحد لها، المكذب بصدقها، فإن قالوا: إنّها مما لا يحتمل البشر أن يأتوا به، ولا بمثله، قيل: فكيف لا يشرك من نفاها عن اللّه عزّ وجلّ، وأضافها إلى سواه من الخلق، كما أشرك من نفى عنه خلق هذه الأجسام، وأضاف ذلك إلى غيره من خلقه، وكلا الأمرين في باب إعجاز

---

(١) سورة التوبة آية رقم ٢٩ ـ ٣٣.

(٢) سبق تخريج هذا الحديث قريباً من هذا.

(٣) قال تعالى: ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً﴾. سورة الاسراء آية رقم ٨٨. راجع ما كتبه القرطبي: باب ذكر نكت في اعجاز القرآن وشرائط المعجزة وحقيقتها ١: ٦٩ وما بعدها.

الخلق، وامتناعهم عن إيجاد مثله سواء، أو ليس إذا اتفقت العلل، واستوت الصفات، فذلك هو الذي يوجب التسوية بين الحكم؟ ولا أعلم للقوم في هذه المسألة جواباً، إلاَّ بمثل هذيان، فيقولون: لو كان الجاحدون لهذه المعجزات أقروا بأنَّها لا يحتملها إلاَّ اللّه، ثمّ كذبوا بأنَّها من عند اللّه، كانوا قد أشركوا، تأملوا حفظكم اللّه هذا الجواب، لتعلموا ما خصكم اللّه به من الهداية إياكم، فينبغي على هذا الجواب أن يكون من أنكر شيئاً من خلق اللّه أن يكون اللّه خلقه، لا يشرك حتى يثبت قبل ذلك، ويقر بأنَّه لا يحتمل خلقه، وإيجاده إلاَّ اللّه، فأما متى لم يقر بذلك فلا يشرك، فهل أحد ممن له قليل عقل، يقول بهذا التناقض الذي وصفوا حتى يكون مشركاً أو غير مشرك أن يقول: إنَّ هذا الفعل مما لا يحتمله إلاَّ اللّه، ثمّ يرجع فيقول: إنَّه ليس من فعل اللّه، ومع ذلك يقال لهم: أليس هذا المكذب بالرسل، الجاحد برسالتهم مكذباً باللّه[1] في خبره؟ فكيف لا يشرك، وقد وصف اللّه بالكذب، وألزمه من مهانة الكذب ما ألزم الكاذبين؟ فقالوا لا يكون مكذباً باللّه حتى يقر بأنَّهم رسل اللّه، ثمّ يكذبهم فحينئذ يكون مكذباً باللّه وأما من لم يقر بأنَّهم رسل اللّه، فكذب بأنَّهم رسل من عند اللّه، فإنما وقع التكذيب ها هنا للمرسلين دون المرسل، قيل لهم: هذا من الكلام الأول الذي أنبأنا أولاً عن تناقضه مما لا يقول به أحد من الناس، ونحن مع ذلك نجيب فنقول: أو ليس المرسل قد شهد للمرسلين بالذي أظهره اللّه على أيديهم من أحداث الأجسام، وإيجاد الأجرام في جميع تلك المعجزات التي أحدثها اللّه على أيدي المرسلين وقال: إنَّه أرسلهم بالذي أظهره اللّه على أيديهم؟ فكيف لا يكون المكذب للمرسلين على هذا المعنى مكذباً للمرسل؟ وهل تكذيبه بعدما أقر بأنَّهم مرسلون، إلاَّ هو تكذيبه قبل ما لم يقر بأنَّهم مرسلون؟ وليس في جميعه أكثر من أنَّه كذب المرسلين، وزعم أنَّهم ليسوا من عند اللّه مرسلين فقط.

---

(١) قال تعالى: ﴿من يطع الرسول فقد أطاع اللّه﴾ سورة النساء آية رقم ٨٠.
وقال الرسول ـ صلّى اللّه عليه وسلّم: فيما رواه الإمام مسلم ـ عن أبي هريرة: «من أطاعني فقد أطاع اللّه، ومن عصاني فقد عصى اللّه.»

ويقال لهم: ما تقول فيمن شبه اللّه بخلقه من أهل هذه الملل، ووصفه بصفة خلقه ممن قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾[1] ﴿إِنَّ اللَّه هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾[2] وإنَّ المسيح، والعزير أبناء اللّه، وإنَّ هرمزاً والشيطان خالقان، وغير ذلك من كلام أهل هـذه الملل تعالى اللّه عن جميع ما قـالوا؟ هـل تشركونهم بما قالوا من ذلك؟ فإنَّ قالوا: نعم قيل لهم: فهل تحكمـون فيهم وعليهم بحكم غير حكم من لم يقل بذلك كله من أهل مللهم إلاَّ أنَّه كذب بالرسل فقط؟ فإن قالوا: إنَّ الحكم عليهم وفيهم حكم واحد، قيل: وكيف سويتم بينهم في الحكم، وفرقتم بينهم في الصفـة؟ أو ليس اتفاق الحكم ممـا يوجب اتفاق الصفة كما أنَّ اتفاق الصفة مما يوجب اتفاق الحكم عند جماعة أهل النظر من المتكلمين؟ ثمّ يقال لهم: أليس مما اطبقت عليه الأباضية في مذهبها، واعتقادها، وعليه خالفوا من خالفوا، ووافقوا من وافقوا، بأنَّ الكفر كفران: كفر شرك، وكفر نفاق؟ فلا بدّ من أن يقولوا: بلى فيقال: من أين استحدثتم أنتم الكفر الثالث الذي خالفتم فيه من قولكم: إنَّه كفر آخر، لا هو كفر شرك، ولا هو كفر نفاق، مما لا يقول به أحد من هذه الأمة، موافق أو مخالف، وليس له في كتاب اللّه عزّ وجلّ، ولا في سنة رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم، ولا في أثر من الآثار أصل ولا فرع. وعليهم في هذا حجج كثيرة وبدون هذا يقع الفصل في هذا الباب، لأنَّه فرع من فروع باب الحجة، وقد تكلف بعض أصحاب عيسى في هذا المعنى مسائل، حاول بها إبطال حجج اللّه الظاهرة على أهل دينه، فكان النقض عليه من الأئمة الراشدين الناصرين لدين اللّه، رحمهم اللّه وسلك بنا طريقتهم، بما فيه الكفاية، والحمد للّه رب العالمين.

(١) سورة المائدة آية رقم ٧٣.
(٢) سورة المائدة آية رقم ٧٢.

باب القول في أسماء الله جلّ جلاله وصفاته هل هي محدثة مخلوقة أم ليست كذلك؟

أعلم وفّقنا الله وإيّاك، أن الاختلاف من هذا الباب وقع في مواضع ثلاثة، أمّا أحدها ففي الاسم والصفة ما هما؟ والثاني: في الذي يسمى الله به في الأزل مما لا يسمى به، والثالث: ما القول في ولاية الله وعداوته، وحبه، وبغضه، وسخطه، ورضاه، هل هي صفات له في ذاته أم فعل من أفعاله؟ فإن سأل سائل فقال: ما الاسم وما الصفة عندكم؟ قيل له: فالاسم والصفة جميعاً ما بان به الشيء من غيره على ما هو به في ذاته ونفسه، وصفه الواصفون أو لم يصفوه، وليس القول على ما غلط فيه من زعم أن الاسم والصفة هي التسمية من المسمى، والوصف من الواصف، لأنه لو كان الأمر على ذلك، لكانت الأشياء في ذواتها وفي أنفسها غير موجودة بصفة من الصفات، ولا مستحقة لاسم من الأسماء، حتى تكون التسمية لها من المسمين، والوصف من الواصفين، وفي ذلك إبطال وجود الأشياء بحقائقها ومعانيها التي بان بعضها من بعض. ألا ترى أنه لو كان اللون لا يكون صفة للملون، والحرارة والبرودة لا تكونان صفة للحار ولا للبارد، وكذلك الحركة والسكون لو كانتا لا تكونان صفة للمتحرك والساكن حتى يكون الوصف من الواصفين لذلك، لكانت هذه الأشياء موجودة بغير هذه الصفات، وفي ذلك إبطال وجود تلك الأشياء بحال. فلمّا ثبت ما قلنا من هذا على ما وصفنا، ثبت أن صفات الأشياء هي حقائقها التي لا توجد إلاّ بها، وبطل القول بأن صفات الأشياء، وأسماءها هو ما يوجد من وصف الواصفين لها، وتسميتهم إيّاها، ألا ترى أنه لو لم يصف الواصف، ولم يسم لكان جائزاً أو متفقاً أن تكون الأشياء موجودة بغير صفة من الصفات، ولا حقيقة من الحقائق، وهذا ما قد بان فساده جداً.

وكذلك القول في علم الله، وقدرته، وعزته، وحياته، وسمعه، وبصره لو جاز ألاّ تكون صفة لله في ذاته موجوداً بها في أزليته حتى يكون الوصف له

بذلك لكان يجب أن يكون الله موجوداً من قبل أن يصفه الواصفون على خلاف هذه الصفات من الجهل، والعجز والمذلة والموت، والصمم والعمى، تعالى الله عن هذه المقالة علواً كبيراً، وعمّا تجرّ إليه من الخطأ وقد أبطلنا مثل هذا من الكلام، بما تقدّم لنا من الأدلة في غير موضع من كتابنا، فإن آثرت أن تجوز عليهم المسألة بأن تقول لهم: أخبروني عن نفس علم الله، ونفس قدرته، ونفس حياته، وعزته وسمعه وبصره؟ أذلك صفات لله فيما لم يزل أم ليس بصفات له إلاّ بعد إحداثه الأشياء عندما يوصف بذلك؟ فإن زعموا أن نفس العلم، ونفس القدرة، ونفس الحياة، والعزة والسمع والبصر ليست صفات له فيما لم يزل إلاّ بعد أن يوصف بذلك، أثبتوا أضدادها من الجهل، والعجز، والمذلة والموت، في سائر تلك الصفات فإن قالوا بأن الله موجود بهذه المعاني التي ذكرتم، غير أنه لا يجوز أن يقال إنها صفات لله، وإنما الصفات عبارات الواصفين، وألفاظهم عاد عليهم الكلام الأول، بأن يكون علم الله وقدرته وحياته وعزته غير صفات لله وإذا كانت غير صفات لله وجب أن يكون أضدادها من الآفات التي ذكرناها هي صفات له، لأنه لا يجوز أن يكون موجوداً بغير هذه الصفات من العلم والقدرة والعزة والحياة، إلاّ بأن يكون موجوداً بأضدادها من تلك الآفات التي لا تجوز على الله جلّ جلاله، ولا تليق به. فإن قال: بأن العلم والقدرة والحياة والعزة والسمع والبصر صفات لله لم يزل بها، والوصف له منّا مع ذلك تلك الصفات صفات له أخرى. قيل لهم: هذان وجهان متباينان وغير متفقين، متباعدان غير متقاربين، فالعلم والقدرة والحياة والعزة صفات لله في ذاته، موجود بها في أزليته، وعباراتكم وألفاظكم التي هي وصفكم له وتسميتكم إيّاه، إنما ذلك أفعالكم وصفاتكم التي تصفونه فانظروا على أي هذين الوجهين تعزمون على أنها صفات معبودكم وعلى أيهما تعتمدون؟ فإن كنتم عازمين على أن العلم والقدرة والحياة والعزة والسمع والبصر في سائرها هي صفات لله في ذاته، موجود بها في أزليته، بطل بذلك ما تعلقتم به من ألفاظكم التي هي أفعالكم وصفاتكم لأنفسكم، أن يكون ذلك

الذي هو صفاتكم صفات لله وأسماء له، يتعالى ربّنا عن ذلك أو تكونون تعزمون على أن هذه الألفاظ التي هي أفعالكم وصفاتكم، هي صفات الله وأسماء له دون علمه وقدرته وحياته وعزته فيلزمكم في هذا من القول وجوه ثلاثة كلّها فاسدة غير صحيحة .أمّا أحدها: هو الذي قدّمنا آنفاً إذا كان الله غير موصوف بالعلم ولا بالقدرة ولا بالحياة ولا بالعزة ولا بشيء من تلك الصفات وجب أن يكون موصوفاً بأضدادها من الآفات التي ذكرنا، وعددنا، والوجه الثاني: أن تكونوا تصفون الله بما هو ليس بصفة له من العلم والقدرة والحياة والعزة فتكونوا كاذبين عليه، مخطئين في صفته، حين وصفتموه بما ليس له بصفة.

والثالث: أن تكون صفاتكم التي هي أفعالكم وألفاظكم صفات لله، فيكون الله عزّ وجلّ موصوفاً بصفاتكم، وتكونون أنتم موصوفين بصفاته وهذا غاية التشبيه لله عزّ وجلّ بغيره، ولست أعرف للقوم في هذا الباب مذهباً يذهبون إليه، ولا ملجأ يأوون إليه، إلاّ ما ذكرت لكم من هذا، فتراني قد دللت على فساده بأوضح الأدلة، والقول في الأسماء، كالقول في الصفات حرفاً حرفاً، فحين نبهتكم على ذلك عرفتموه إن شاء الله.

وقد كان بعض مَن أدركت من أهل العلم ممن يرى أنه مشفق على لحمه ودمه قد كان يدقق النظر في هذا الباب متفهماً لا متجنياً بأمور تكل عنها أفهام هؤلاء القوم، ولا تبلغه أوهامهم إلاّ ما شاء الله، ملتمساً لهم في المخرج مما تورطوا فيه، فما رأيته وجد لهم من مقالتهم مخرجاً ولا من مذهبهم مخلصاً، فنعوذ بالله من اللجاج في الضلالة، والإقدام على المهلكة.

فإن سأل سائل فقال: هل تعرفون الله جلّ جلاله بأسمائه وصفاته؟ قيل له: فهل يعرف الشيء ويحك إلاّ باسمه وصفته التي بان بها من سائر الأشياء؟ لا على أن تكون الأسماء والصفات معارف العارفين، واعتقاداتهم في قلوبهم، فإن سألوا عن التأنيث والتذكير والجمع والإفراد في أمثال تلك الوجوه الواقعة

على الألفاظ، الجارية عليها في لغة العرب دون المعاني، قيل لهم: وهل يغلط في مثل هذا ويلكم مَن له قليل فهم؟ أو لستم تقولون إن قدرة الله هي هو لا غيره، وإن إرادة الله هي هو لا غـيره، وإن ذات الله ذات قديمـة مخترعـة للأجسام، وإن نفس الله ليست شيئاً غيره؟ أفيجب على هذا من القول أن يكون ما ذكرنا من هذا كلّه داخلاً في معنى التأنيث؟ تعالى الله عن هذه المقالة علواً كبيراً. وبمثل هذا من المعارضة عارض قوم من أهل الدهر، بأن سألوا عن الأسماء مذكرها ومؤنثها، أرادوا بذلك أن يطعنوا في أسماء الله عزّ وجلّ، وقالوا: ما جعل الاسم المذكر أولى به من المؤنث؟ قد ذكر ذلك محمـد بن شبيب[1] في كتاب التوحيد، فأجابهم محمد بقريب من الذي أجبنا به هؤلاء القوم، فكفى خزياً لمن لا له معارضة إلاّ من معارضة الملحدين أهل التعطيل.

وكذلك إن سألوا عن العدد، والتغاير، والإضافة وأشباهها، كان الجواب لهم في كل ذلك، كالجواب لهم فيما تقدم، وبمثل هذا من الغلط غلط أبو بكر الأشعري[2] وأصحابه، في صفات الله عزّ وجلّ، لما قالوا فيها بالتغاير، والعدد،

---

(١) أبو بكر محمد بن عبدالله بن شبيب البصري نسب إلى جده، ويبدو أنه من رجال منتصف القرن الثالث الهجري إذ كان من أصحاب النظام جمع بين الإرجاء ونفي القدر ولكن الشهرستاني جعله من رجال الخوارج. ويرى محمد بن شبيب استحالة بقاء الحركة والسكون واستحالة بقاء الأعراض عامة، وأن البقاء ليس معنى زائداً على الباقي. أمّا الأشعري فقد جعله رئيس فرقة من فرق المرجئة وأن الإيمان عنده يتبعض وأن مرتكب الكبيرة مؤمن بما معه من الإيمان، وفاسق بما معه من الفسق. راجع التبصير في الدين ص ١٥ والملل والنحل للشهرستاني ١٣٨:١ وأصول الدين ٤٢ ـ ٥١ ومقالات الإسلاميين ١٣٧ ـ ١٣٨.

(٢) هو محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر أبو بكر: قاض من كبار علماء الكلام، انتهت إليه الرياسة في مذهب الأشاعرة، ولد في البصرة عام ٣٣٨هـ وسكن بغداد فتوفي بها عام ٤٠٣هـ.
كان جيد الاستنباط، سريع الجواب وجهه عضد الدولة سفيراً عنه إلى ملك الروم فجـرت له في القسطنطينية مناظرات مع علماء النصرانية بين يدي ملكها. من كتبه «إعجاز القرآن» و«الإنصاف» و«مناقب الأئمة» و«دقائق الكلام» و«الملل والنحل» و«كشف أسرار الباطنية» وغير ذلك كثير. راجع وفيات الأعيان ٤٨١:١ وقضاة الأندلس ٣٧ ـ ٤٠ وتاريخ بغداد ٣٧٩:٥ ودائرة المعارف الإسلامية ٣٩٤:٣ والوافي بالوفيات ١٧٧:٣ وتبيين كذب المفتري ٢١٧ ـ ٢٢٦.

وذلك أن هؤلاء الآخرين لما سمعوا بذكر العلم والقدرة والحياة والعزة والسمع والبصر وسائر الصفات قالوا: فلن يجوز أن تكـون هذه المعـاني كلّها معنى واحداً، بل هي معان متغايرة متعددة فلمّا أن أثبتوا صفات الله معاني متغايرة متعددة، التمسوا لهذه المعاني المتغايرة المتعددة محلاً يحلونها به ومقاماً يقيمونها فيه فلم يجدوه لما كان الله في أزليته ليس معه شيء غيره، فلمّا لم يجدوا لما أقدموا عليه من القول بهذا مخرجـاً سقط في أيديهم، ورأوا أنهم قـد ضلوا فتجاسروا على القول بأنها حالة بالصانع جل جلاله، قائمة بذاته، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

وما أنساني هؤلاء أن أذكرهم بالرد عليهم في موضعهم إلاّ الشيطان، وما عسى أن أرد عليهم بأقبح من مقالتهم، حيث زعموا أن الله جلّ جلاله محل للأشياء، وأثبتوا أن ذاته مقام للمعاني، وضاهوا بذلك قول اليعقوبيـة[1] من النصارى، حين قالوا: إنها ثلاثة أقانيم[2] لم تزل ذات جوهر واحد، على ما وصفنا من مقالة اليعقوبية في موضعها، بل زاد هؤلاء الأشعريون على النصارى،

---

(١) اليعقوبية: أصحاب يعقوب، قالوا بالأقانيم الثلاثة، إلاّ أنهم قالوا انقلبت الكلمة لحماً ودماً فصار الإله هو المسيح، وهو الظاهر بجسده بل هو هو، وعنهم أخبرنا القرآن الكريم: ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم﴾. المائدة آية ٧٢ فمنهم مَن قال: إن المسيح هو الله تعالى، ومنهم مَن قال: ظهر اللاهوت بالناسوت فصار ناسوت المسيح مظهر الجوهر لا على طريق حلول جزء فيه، ولا على سبيل اتحاد الكلمة التي هي في حكم الصفة بل صار هو هو.
وزعم أكثر اليعقوبية أن المسيح جوهر واحد وأقنوم واحد إلاّ أنه من جوهرين وربما قالوا طبيعة واحدة من طبيعتين. راجع الملل والنحل للشهرستاني ج ٢ ص ٣٠، ٣١ والفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم ٢:١٩٣ ـ ١٩٤.

(٢) الأقنوم: الأصل والجوهر. والأقانيم الثلاثة عند المسيحيين هي الآب، والابن، والروح القدس. وعند الإسكندرانيين هي النفس الكلية، والعقل، والواحد. وقيل: إن أفلوطين أول مَن أدخل هذا اللفظ في اللغة الفلسفية، ثم استعمله كتاب عصره من المسيحيين، وأطلقوه على الآب والابن والروح القدس.
وجملة القول: إن الأقنوم عند قدماء الفلاسفة هو الحقيقة الوجودية.
والأقنومي هو الجوهري. ويطلق عند اللاهوتيين على اتحاد الطبيعة الإنسانية بالطبيعة الإلٰهية. بحيث تكون الثانية هي الحامل أو الجوهر الذي به تقوم الأولى.

لما كانت النصارى تأبى من التغاير، ولا تقول به، وهؤلاء الأشعريون يثبتون التغاير، والعدد الكثير الزائد على عدد النصارى، تعالى الله عن جميع مقالات المبطلين علواً كبيراً.

وكذلك غلطت هذه الفرقة الناكثة، لما سمعوا بعبارات التأنيث والتذكير والجمع والإفراد والعدد والتغاير والإضافة، وأشباه هذه الوجوه الواقعة على الألفاظ الجارية عليها في لغة العرب لا على المعاني، وقالوا: إن هذه الوجوه كلّها لا تجري على علم الله. وعلى قدرته وحياته وسمعه وبصره، وإنما يجري ذلك من العبارة على الألفاظ والأوصاف، فأبطلوا لهذه العلة أن يكون علم الله وقدرته وحياته وعزته وسمعه وبصره صفات لله عزّ وجلّ وأن يكون الله موصوفاً بشيء منها، وأثبتوا ألفاظهم التي هي أفعالهم، صفات لله عزّ وجلّ تعالى الله عن ذلك.

وفي غلط الفريقين جميعاً دليل على صدق مقالتنا بأن علم الله وقدرته وحياته وعزته وسمعه وبصره صفات له في ذاته لم يزل موصوفاً بها، موجوداً في أزليته، مستحقاً لها، وأنها هي الله ليست شيئاً غيره، وأنها لا يجري عليها العدد ولا التغاير ولا التأنيث ولا التذكير ولا الجمع ولا الإفراد ولا الإضافة ولا الملك، إذ كان ذلك كله من معاني المحدث المصنوع، وأن عبارات الواصفين التي هي أفعالهم وصفاتهم، من حركاتهم وسكونهم ليس شيء من ذلك بصفة لله، ولا باسم له، كما دللنا على فساد القول بذلك في أول كلامنا، مع أننا وهؤلاء القوم جميعاً قد نقمنا على أهل الإزالة مقالتهم، فيما زعموا أن إرادة الله محدثة، وأنها فعل من أفعاله، فأبطلنا عليهم ذلك، بما قدّمنا من الشواهد والأعلام في حشو هذا الكتاب، وبما لم نذكره من ذلك، فكيف حتى زادوا على أهل الإزالة بأن زعموا أن صفات الله وأسماءه محدثة مخلوقة كائنة بعد إذ لم تكن، ظنوا بغباوتهم، وحسبوا أنهم منفصلون من أهل الإزالة في مقالتهم بذلك، وليسوا بحمد الله عنهم بمنفصلين.

وقد كان عارضهم عيسى بن علقمة المصري رحمة اللّه عليه في كتاب التوحيد الكبير، بأمر مقنع بما فيه الكفاية، لما عارضهم بمقالة أصحاب الارسطاطاليس[١] من أهل الدهر، حين زعموا أنَّ الهيولي[٢] قديم لم يزل، ليس بذي أعراض، ولا بذي صفات إلى أن صار في زعمهم بعد ذلك موصوفاً بالاعراض والصفات، وناظر مقالة هؤلاء القوم من الناكثة حين زعموا أنَّ اللّه قديم لم يزل، وأنَّ صفاته محدثة مخلوقة كائنة بعد إذ لم تكن كمقالة من ذكرنا من أهل الدهر سواء، فلم ينفصلوا عند معارضة عيسى إياهم، من مقالة أهل الدهر، ولم يتخلصوا من الذي يلزمهم في ذلك بحمد اللّه سبحانه، ولعمري أنَّ مثل عيسى لمن حذاق متكلمي أهل هذه الدعوة المباركة فيما بلغنا عنه.

فإن سأل سائل من أصحاب الأشعرية، أو نسأل لهم أنفسنا فنقول: فإذا زعمتم أنَّ صفات اللّه عزّ وجلّ غير متغايرة، ولا متعددة، وإنما هي اللّه،

---

(٢) كانت شخصية أرسطو معروفة عند أهل الشرق عن طريق ما تناقلوه من الأساطير، وما ورثوه من العلم فقد تناولته الأساطير من جهة أنَّه الحكيم الذي علم ذا القرنين وذكرت الروايات العلمية ترجمته ومجمل آرائه كما وجدت أيضاً بالسريانية مقتطفات وشروح وترجمات لكتاب ايساغوجس لفرفوريوس ولبعض مصنفات أرسطو وخاصة في المنطق كالمقولات، والعبارة، وتحليل القياس.
ولم تعرف على وجه التحقيق أخبار سيرة هذا الفيلسوف فقد خلط مؤرخو العرب (كاليعقوبي) بين أبي أرسطو ونيقوماخس الفيثاغوري. وأثر أرسطو في المسلمين منذ القرن الثالث عشر الميلادي يكاد يقتصر على علم المنطق راجع دائرة المعارف الإسلامية ٢: ٥٨١ ـ ٥٨٥ وقد ذكرت مجموعة ضخمة من المراجع والمصادر.

(٣) الهيولي لفظ يوناني بمعنى الأصل والمادة، وفي الاصطلاح هي جوهر في الجسم قابل لما يعرض لذلك الجسم من الاتصال والانفصال محل للصورتين الجسمية والنوعية. وقال ابن سينا: الهيولي المطلقة فهي جوهر، ووجوده بالفعل إنما يحصل لقبول الصورة الجسمية لقوة فيه قابلة للصور، وليس له في ذاته صورة تخصه إلاَّ معنى القوة. والهيولي عند القدماء: على أربعة أقسام وهي الهيولي الأولى وهي جوهر غير جسم قابل لما يعرض لذلك الجسم من الاتّصال والانفصال محل للصورة الجسمية، الهيولي الثانية: وهي جسم قام به صورة كالأجسام بالنسبة الى صورها النوعية. الهيولي الثالثة: وهي الاجسام مع الصورة النوعية التي صارت محلاً لصور أخرى كالخشب لصورة السرير. الهيولي الرابعة وهي أن يكون الجسم مع الصورتين محلاً للصورة كالأعضاء لصورة البدن. راجع التعريفات وكشاف اصطلات الفنون. والحدود.

وليست شيئاً غيره، وليس شيء منها غير شيء، فهل تقولون: إنَّ علم اللّه هو قدرته، وإنَّ قدرته هي علمه، وكل معنى من ذلك هو الآخر؟ قيل لهم: إنا لم نأب ما سألتم عنه من ذلك من جهة التغاير، ولا من جهة العدد، كما توهمتموه من الذي غلطتم فيه، وإنما أبينا من القول بأنَّ علم اللّه هو قدرته، وإنَّ قدرته هي إرادته في سائر ذلك لما يوجبه القول في معنى يقدر، ولا يوجبه في معنى يريد، ولا في معنى يعلم، ومن ذلك أنَّ معنى يعلم يقع على الفعل وغير الفعل، ومعنى يقدر ويريد لا يقعان إلاَّ على الفعل، وأيضاً فإنَّ معنى يقدر يقع على كائن وغير كائن مما ليس كونه بمحال، ومعنى يعلم ويريد لا يقعان إلاَّ على كائن، فاتفق القول في باب يعلم ويريد من هذا الوجه، كما اتفق معنى يقدر ويريد في أنهما لا يقعان إلاَّ على الفعل، وليس ذلك لاختلاف القدرة والعلم والإرادة، وإنما ذلك لاختلاف المقدور عليه، والمراد، والمعلوم.

ووجه آخر في جواب ما سألتم عنه، أنَّ قول القائل بأنَّ العلم هو القدرة، والقدرة هي الإرادة يوهم السامع أنَّ هنالك أشياء غير الموصوف بها، فيقال إنَّ هذا هو هذا أو هذا غير هذا، إلاَّ أن يذهب السائل بأنَّ العلم هو القدرة، والقدرة هي العلم، إلى أن يكون العالم هو القادر، والقادر هو العالم، فهذا مما لا يجاب به إلاَّ بصلته التي تزيل سوء الظنون عن السامعين عند ورود الجواب على أوهامهم غير مفسر، ولا موصول بصلته التي يتبين الجواب بها، ويصح، فإن قال: فأوجدوني شيئين من الأشياء ليس أحدهما هو الآخر، ولا هو غيره، وهذا منكم غلط على اللغة، وعلى الوهم جميعاً، قيل له: فإنَّا نوجدك ذلك في نفس مقالتك، فضلاً عن سواها، ألست تزعم أنَّ علمه وقدرته وعزته وحياته وسائر صفاته ليس شيء من ذلك هو اللّه، ولا هو شيء غيره، وذلك أنَّ هؤلاء الأشعريين يقولون بالتغاير بين الصفات، ولا يقولون بذلك بين الصفات والموصوف، ويزعمون أنَّ الصفات، ليست هي الموصوف، وليست بغيره، ويفرقون بالجواب بين هاتين المسألتين، مع ما وجدنا في صفات الأشياء من أنَّه لا يقال في صفة منها بأنَّها هي الصفة الأخرى، ولا بأنَّها غيرها، وإلاَّ

فأخبرني عن شيئة الحركة أهي حدثها أم غير حدثها؟ وعن حدثها أهو عرضها أم غير عرضها؟ وعن عرضها أهو كسبها أم هو غير كسبها؟ وعن كسبها أهو طاعتها أم هو غير طاعتها؟ في أشباه هذه الوجوه. فإن زعم أنَّ كل صفة من ذلك هي الأخرى، دخل عليه من الفساد ما لا يقوم به، وإن زعم أنَّ شيئة الحركة غير حدثها، وإنَّ حدثها غير عرضها، وإنَّ عرضها غير كسبها، وإنَّ كسبها غير طاعتها، دخل في مقالة معمر صاحب[1] المعاني مما اجتمع المتكلمون على فساده.

وليس هذا موضع ايضاح فساد القول بالمعاني، فإن قالوا ليس جهة شيء غير جهة حدث، وإنَّ جهة حدث غير جهة عرض، وإنَّ جهة عرض غير جهة كسب، قيل لهم: ما هذا التغاير الذي ذكرتم، تغاير في نفس الصفات، أم تغاير في الوصف والقول؟ فإن زعموا بأنَّه تغاير في نفس الصفات، صاروا إلى ما ذكرنا من قول أصحاب المعاني، وإن قالوا بأنَّه تغاير في القول، لا تغاير في المعاني، قيل لهم: فكذلك القول بأنَّه يقدر، غير القول بأنَّه يعلم، والقول بأنَّه يعلم غير القول بأنَّه يريد، ومثل هذه المناظرة عند جماعة المتكلمين مناظرة المسألة بالأخرى، لا مناظرة الشيء بالشيء، فإن قال: فهل تصفون الصفة أم لا تصفونها؟ قيل له: إن أردت أنا نصف الصفة بأن نخبر عنها بأنَّها

---

(١) هو معمر بن عباد السلمي معتزلي من الغلاة. من أهل البصرة سكن بغداد، وناظر النظام، وكان أعظم القدرية غلواً انفرد بمسائل من أجلها سمى «صاحب المعاني» منها أنَّ الإنسان يدبر الجسد وليس بحال فيه، والإنسان عنده ليس بطويل ولا عريض ولا ذي لون وتأليف وحركة ولا حال ولا متمكن، وإنما هو شيء غير هذا الجسد، وهو حي عالم قادر مختار ألخ فوصف الإنسان بوصف الألوهية.

ومن أقواله: إنَّ اللّه تعالى لم يخلق شيئاً غير الأجسام، فأما الأعراض فهي من اختراعات الأجسام إما بالطبع وإما بالاختيار وتنسب إليه طائفة تعرف بالمعمرية. توفي عام ٢١٥ هـ. راجع خطط المقريزي ٢: ٣٤٧ ولسان الميزان ٦: ٧١ وفي اللباب المعمرية فرقة من القدرية ينسبون إلى معمر وله فضائح وانظر الملل والنحل للشهرستاني ١: ٨٩.

كذا فنعم، وإن ذهبت إلى أن نجعل للصفة أخرى غيرها، ولتلك الأخرى غيرها، فهذا من أمحل المحال عند المتكلمين، فإن قال: أليس أنَّه علم غير أنَّها قدرة أم أنَّه علم هو أنَّها قدرة؟ قيل له: القول بأنه علم غير القول بأنها قدرة، والقول بأنها قدرة غير القول بأنَّه علم، على ما دللنا في أول المسألة، فإن قال: فإذا زعمتم أنَّ علم اللّه هو، وإنَّ قدرته هو، أفتقولون: إنَّ اللّه هو العلم، وإنَّ اللّه هو القدرة، أم كيف يكون شيء شيئاً آخر، ولا يكون الشيء الآخر هو ذلك الشيء؟ قيل له: فقولنا: إنَّ علم اللّه هو، وإنَّ قدرته هو، أردنا بذلك أنَّ اللّه العالم القادر بذاته ليس، ثمّ شيء غيره، ولم يستحدث علماً ولا قدرة ولا صفة من الصفات، والقول بأنَّ اللّه علم غير مطلق ولا مقيد معنى، والصفات قد تكون عندهم هي الموصوف، ولا يجوز أن يكون الموصوف نفسه صفة، وقد يجوز القول بأنَّ اللّه عالم قادر، ولا يجوز أن يقال علم اللّه عالم، ولا قدرته قادرة، وليس هذا مذهباً فيحتاج إلى الكلام فيه بأكثر من هذا.

عودة إلى مناقشة الأسماء

رجع الكلام إلى ما كنا فيه قبل ورود ذكر هؤلاء الأشعريين[1] فنقول: إنَّ الموضع الثاني من الخلاف في مسألة الأسماء ما القول فيما يسمى اللّه به في أزليته مما لا يسمى به؟ فإن قال قائل: فهل تسمون اللّه جلّ جلاله في أزليته خالقاً، رازقاً محيياً ميتاً باعثاً وارثاً في أمثالها؟ قيل له: نعم قد سميناه بذلك في

(١) أصحاب أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري المنتسب إلى أبي موسى الأشعري - رضي اللّه عنهما وسمعت من عجيب الاتفاقات أنَّ أبا موسى الأشعري رضي اللّه عنه كان يقرر عين ما يقرر الأشعري أبو الحسن في مذهبه، ولقد اجتذب الأشعري عدداً من طلاب المعرفة وبذلك تأسست مدرسة له، وكان موقف الأشاعرة من العقائد عرضة للهجوم من الحنابلة الذين رأوا أنَّ استخدام الأشاعرة للحجج العقلية بدعة منكرة، ومن الماتريدية الذين كانوا يدافعون عن مذهب السنة بالطرق العقلية قد وجدوا أنَّ بعض مواقف الأشاعرة تبدو ممعنة في المحافظة والواضح أنَّ الأشعرية رغم هذه المعارضات غدت المذهب السائد في كثير من البلاد الإسلامية. راجع دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٤٣٧ والملل والنحل ١: ٩٤، ٩٦.

أزليته وبعد إحداثه الأشياء، ولم يزل ربنا خالقاً رازقاً محيياً ميتاً باعثاً وارثاً، ولا يزال كذلك من قبل ما وجدنا أنَّ هذه الأسماء موضوعة في كتاب اللّه عزّ وجلّ، مستعملة لمعان ثلاثة كلها قد سمى اللّه بها نفسه ووصفها بها، أما أحدهما فللذات والمدحة والثاني: فللفعل الآتي دون ما قد فعل، والثالث: لما فعل فقط.

أما ما وصف به نفسه لمعنى للذات والمدحة فقوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ ربكم لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[1]، وقوله: ﴿رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾[2]، و﴿غَفُورٌ شَكُورٌ﴾[3]، و(جواد كريم)[4]، و﴿فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾[5] في أشباهها من كتاب اللّه عزّ وجلّ مما أخبر به عن صفته في ذاته، وقدرته، كان الفعل بذلك أو لم يكن، والذات لا توصف بالتغيير والمدحة لا تكون ناقصة فيكون اللّه عزّ وجلّ مخبراً عن نفسه ومادحاً لها بأمر يكون أو لا يكون.

والوجه الثاني: ما أخبر به عن نفسه بأنَّه سيفعله بعد، قال اللّه عزّ وجلّ: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِني مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[6] وقال: ﴿إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لاَّ رَيْبَ فِيهِ﴾[7]، وقال: ﴿إِنِي مُنَزِّلُها عَلَيْكُم﴾[8]، وقال: ﴿إِنِي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[9]، وقالت الملائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾[10] ومثله في كتاب اللّه عزّ وجلّ

(١) سورة النحل آية رقم ٧.

(٢) سورة هود آية رقم ٩٠.

(٣) سورة فاطر آية رقم ٣٠ والشورى آية رقم ٢٣.

(٤) لا توجد آية بهذا المنطوق وإنَّ الشرع لا يمنع من إطلاق لفظ «الجواد» ولفظ «الكرم» على اللّه سبحانه وتعالى.

(٥) سورة هود آية رقم ١٠٧ وسورة البروج آية رقم ١٦.

(٦) سورة آل عمران آية رقم ٥٥ وقد جاءت الآية محرفة في المطبوعة حيث قال وإذ بدلاً من (إذ).

(٧) سورة آل عمران آية رقم ٩.

(٨) سورة المائدة آية رقم ١١٥.

(٩، ١٠) سورة البقرة آية رقم ٣٠.

كثير فاعل على أن سيفعل.

والوجه الثالث: ما كان من التسمية بذلك لما قد فعل بعد: فقال: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ جَاعِلِ المَلاَئِكَةِ رُسُلاً**﴾[1]، وقال: ﴿**فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى**﴾[2]، وقال: ﴿**وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَناً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَاناً**﴾[3] وقال: ﴿**آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا**﴾[4]

وهذه الوجوه الثلاثة موجودة معلومة، كلا قد سمى اللّه به نفسه، ووصفها به في كتابه عزّ وجلّ، وهي سائغة في كلام العرب، في خطبها وأشعارها، مستعمل ذلك فيها بينهم، وشهرته تغني عن الاستشهاد عليه، فإذا كانت التسمية بهذه الأسماء تتصرف على هذه الوجوه الثلاثة جميعاً، فلم حملت التسمية بفاعل وخالق ورازق في أمثالها على بعض هذه الوجوه دون بعض؟ فاكتف بهذه الجملة في هذا الباب واقطع شغلك مما سواها.

الموضع الثالث من الخلاف في مسألة الأسماء

وأمّا القول في ولاية الله عزّ وجلّ وعداوته وحبه وبغضه وسخطه ورضاه، فإن ذلك صفات لله عزّ وجلّ لم يزل موصوفاً بها في أزليته، مستحقاً لذلك بذاته، من قبل أنه لا تخلو هذه الصفات من وجهين لا ثالث لهما: إمّا أن تكون صفات لله لم يزل بها على ما قلنا، أو أن تكون فعلاً من أفعاله، وبطل بأن تكون فعلاً من أفعاله، من قبل أن ذلك الفعل لا يعدو أحد وجهين لا ثالث لهما: إمّا أن يكون ثواباً، أو غير ثواب، فإن يكن ثواباً بطلت التسمية

---

(١) سورة فاطر آية رقم ١ وتكملة الآية ﴿أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء إنّ اللّه على كل شيء قدير﴾.
(٢) سورة الأنعام آية رقم ٩٥.
(٣) سورة الأنعام آية رقم ٩٦.
(٤) سورة هود آية رقم ٥٦.

عن الله جلّ جلاله بهذه الصفات، حتى يكون الثواب واقعاً، فهذا يقتضي أن يكون الله عزّ وجلّ غير موال، ولا معاد، ولا محب،[1] ولا مبغض، ولا ساخط[2] ولا راضي[3] إلاّ بعد وجود الثواب والعقاب في دار المعاد، وإذا كان الأمر كذلك، وجب أن يكون جميع ما وصف الله به نفسه من ذلك، وأخبر به عنها في غير موضع من كتابه، على لسان نبيّه صلّى الله عليه وسلّم على غير ما وصف، وعلى خلاف ما أخبر، وهذا غاية التكذيب لله عزّ وجلّ تعالى الله عمّا يقول الجاهلون، أو أن يكون هذا الفعل غير ثواب، فإذا كان غير ثواب لم يخل من وجهين لا ثالث لهما: إما أن يكون واقعاً على ما علم الله، أو على ما فعل العباد، فإذا كان واقعاً على ما فعلوا، فيجب أن يكون الله على هذا المعنى موالياً لأهل عقابه، معادياً لأهل ثوابه، في مثل ذلك، عندما يكون من أفعالهم التي هم عنها يتحولون، ولم يبق بعد هذا إلاّ القول بأن ولاية الله وعداوته وحبه وبغضه وسخطه ورضاه إنما ذلك من الله للعلم على ما العباد له فاعلون، وإليه صائرون.

ولعلّ قائلاً منهم يقول: إن الولاية هي التسمية لهم بالإيمان، والعداوة هي التسمية بالكفر، قيل له: هذا الذي ذكرت داخل في جوابنا آنفاً، لأنه لا تعدو التسمية من أن تكون لهم على ما فعلوا، أو على ما علم الله أنهم إليه صائرون، فإن كان على ما فعلوا، فيجب في ذلك من الفساد ما قدمنا، وإن

---

(١) قال تعالى: ﴿إن الله يحب المحسنين﴾ البقرة آية ١٩٥.
و﴿إن الله يحب المقسطين﴾. الممتحنة آية ٧ والحجرات ٩.
و﴿إن الله لا يحب كل خوان كفور﴾. الحج آية ٣٨.
و﴿إنه لا يحب الكافرين﴾. سورة الروم آية رقم ٤٥.

(٢) قال تعالى: ﴿أفمن اتّبع رضوان الله كمَن باء بسخط من الله﴾. آل عمران آية ١٦٢.
وقال تعالى: ﴿لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم﴾. المائدة آية ٨٠.

(٣) قال تعالى: ﴿رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾. المائدة آية ١١٩.
وقال تعالى: ﴿إلاّ من أذن له الرحمن ورضي له قولاً﴾. طه آية ١٠٩.

تكون ولاية الله لأهل عقابه، وعداوته لأهل ثوابه، إذا كانت التسمية واقعة لهم على ما فعلوا، وإن كانت التسمية على ما علم الله مما العباد إليه صائرون، فقد دارت القصة من حيث ما دارت، إلى أن الولاية والعداوة، وتلك الصفات قد آلت إلى العلم، وانتظمت إليه، فلمّا كان ما قلنا من هذا على ما وصفنا، ثبت أن ولاية الله وعداوته وحبه وبغضه وسخطه ورضاه صفات له، لم يزل موصوفاً بها، كما لم يزل بأنه عالم بما العباد له فاعلون، وإليه صائرون.

ولعلّ قائلاً يقول: أرأيتم إذا كان الله غير محدث لهذا الخلق، ولا موجد لأحد ممن يوالي، ولا لأحد ممن يعادي، أكان جائزاً عندكم أن يكون الله موصوفاً بالولاية والعداوة على هذا الوجه؟ قيل له: أو لست تصف الله بأن لم يزل بهذه الأشياء على ما هي به من صفاتها، في اتفاق ما اتفق منها، وفي اختلاف ما اختلف؟ أفترى أن ذلك العلم الذي وصفته به لهذه الأشياء، ليس بصفة لله في ذاته، ولا هو مستحق لها في أزليته، لعلة أن الخلق يكون أو لا يكون، وليس العلم مختلفاً في أن كان الخلق أو لا يكون؟ فإذا كان الله به عالماً، وإذا لم يكن الخلق، ألم يجز القول بأن الله به عالم، والعلم لا يقع إلاّ على كائن، وكان عالماً بأنه لا يكون، وكذلك القول في الولاية والعداوة، إذا كان في علم الله أنه سيكون مَن يصير إلى ثوابه، كان الله موجباً له الثواب على ما علم، وإذا كان في علمه أنه سيكون مَن يصير إلى عقابه، كان الله موجباً له العقاب، وهذا حتم في علم الله، وإذا كان لا يكون شيء من ذلك، كان في حتمه أنه لا يكون، وهذا علم على صفة فإن قال: أفتقولون: أنه موال ومعاد، ولو أنهم لا يكونون؟ قيل له: أفتقولون: إنه عالم بهم، ولو أنهم لا يكونون؟ وهذا من ذلك سواء. فإن قال: فإذا كان لا يجوز أن يقال الله موال إلاّ لمن يكون، فلم زعمتم أن الولاية صفة له: فإذا كان لا يجوز أن يقال لله عالم بما لا يكون، فلم زعمتم أن العلم صفة له؟ وليس في قولنا بأن العلم لا يقع إلاّ على كائن، ما يوجب أن يكون العلم ليس بصفة لله في ذاته، وكذلك ليس في قولنا إن الولاية والعداوة لا تكونان إلاّ لكائن، ما يوجب أنها ليستا

بصفة لله في ذاته، وكلا الأمرين واحد. فإن قال: أولستم حين زعمتم أن يكون الله لم يزل موالياً، فقد أثبتم وجود الموالي لم يزل؟ قيل له: ليس في قولنا: إن الله لم يزل موالياً، ما يوجب أن يكون الموالي لم يزل، كما نعتقد، ونقول إن الله لم يزل عالماً بالأشياء، وليس في ذلك من قولنا ما يوجب أن تكون الأشياء لم تزل مع الله سبحانه، فإن قال: أفتقولون: إنهم لم يزالوا في ولاية الله وفي عداوته، قيل له: إن كنت تريد أن الله لم يزل موالياً لهم، ومعادياً، فذلك الذي تقول، وإن ذهبت إلى أن يكون الموالي والمعادي لم يزالا مع الله فهذا فاسد. وجوابنا في هذه المسألة كجوابنا لأهل الإلحاد، حين سألوا وقالوا: هل تقولون: إن الأشياء لم تزل في علم الله؟ كان الجواب لهم أن يقال: إن أردتم بقولكم: لم تزل الأشياء في علم الله، إن الله لم يزل عالماً بالأشياء فهو ما نقول، وإن ذهبتم إلى أن تكون الأشياء هي التي لم تزل مع الله قديمة، فالقول بهذا فاسد، وكلا المسألتين واحدة والجواب فيهما واحد، والذي حررنا من المسألة على أنفسنا في هذا الباب مع كثير ما فيه من الحجج كاف، عما سواه، إن شاء الله، ولا بدّ من تنبيه عن بعض ذلك ببعض فنقول: أو ليس الله مخبراً عن نفسه بأنه ولي المؤمنين، وعدو للكافرين فلا يخلو ما أخبر به عن نفسه من ذلك من أن يكون ولياً لجميع المؤمنين وعدواً لجميع الكافرين، أو لبعض دون بعض، فإن كان ولياً لجميع المؤمنين، وعدواً لجميع الكافرين دخل في هاتين الكافيتين مَن لم يكن في حين أخباره مؤمناً ولا كافراً، بل قد دخل في ذلك من المؤمنين، ومن الكافرين، مَن لم يكن حينئذ موجوداً رأساً، وهذا يوجب ما قلناه، أو أن يكون الله غير ولي ولا عدو، وإن لم يوجد من المؤمنين ومن الكافرين بعد، فهذا يوجب أن يكون الله غير ولي إلاّ لثلث المؤمنين دون الثلثين، وقد أخبر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بأن مؤمني هذه الأمة هما ثلثا[1] أهل الجنة،

---

(١) الحديث رواه الإمام البخاري في كتاب الرقاق ٤٥ وإيمان ٣ والأنبياء ٧ ورواه أبو داود في كتاب الجهاد ١٦٢ والترمذي في الجنة ١٣ وابن ماجه في كتاب الزهد ٣٤ باب صفة أمة محمد ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ ٤٢٨٣ بسنده عن عبدالله: قال كنّا مع رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ في قبة فقال: =

وإن الله غير ولي لهم، على قياد هذه المقالة.

وكذلك القول في الذين أخبر عنهم رسول الله أنهم على دين أبي جهل، ممن تقوم عليه الساعة، أن يكون الله غير معاد لهم، لأنهم لم يكونوا بعد وقد قال عزّ وجلّ: ﴿وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾[١]، وقال: ﴿والَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾[٢]، وقد قالت العلماء إنهم تابعون إلى يوم الدين، وقال: ﴿يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلاَمٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّن مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٣]، وقال: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّي الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّورَاةِ وَالإِنْجِيلِ[٤] يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمْ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوه وَنَصَرُوه وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ

= أترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة..؟ قلنا: بلى. قال: أترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة؟ قلنا: نعم. قال والذي نفسي بيده إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة، وذلك أن الجنة لا يدخلها إلاّ نفس مسلمة، وما أنتم في أهل الشرك إلاّ كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود، أو كالشعرة السوداء في جلد الثور الأحمر».

(١) سورة الصف آية رقم ٦.

(٢) سورة التوبة آية رقم ١٠٠.

(٣) سورة هود آية رقم ٤٨.

(٤) الإنجيل: أفعيل من النجل وهو الأصل ويجمع على أناجيل. فالإنجيل أصل لعلوم وحكم، ويقال: لعن الله ناجليه يعني والديه، وقيل هو من نجلت الشيء إذا استخرجته فالإنجيل مستخرج به علوم وحكم ومنه سمي الولد والنسل نجلاً لخروجه كما قال الشاعر:

إلى معشر لم يورث اللؤم جدهم ... أصاغرهم وكل فحل لهم نجل

راجع تفسير القرطبي ٥:٣.

ويقول الدكتور محمد الصادقي: الإنجيل كلمة يونانية أصلها (ايفنغليون) وهي من (EU أيو، بمعنى مرحى، جيد، حقيقي) وانغليون هي البشارة أو التبشير بالفعل فمعناها الأصيل: «التبشير بالسعادة الحقيقية». راجع المقارنات العلمية بين الكتب السماوية ص ١٣.

الْمُفْلِحُونَ﴾[1] فلا يخلو هؤلاء كلّهم الذين أخبر الله عنهم، قبل أن يكونوا من أن يكونوا في ولاية الله أو في غير ولايته، فإن كانوا في ولايته فهو الذي نقول، أو يكونوا في غير ولايته، فيكون سبحانه يخبر أنه قد أوجب لهم رحمته، وسماهم مفلحين، وأنهم رسله، وبشر بهم مَن سيأتون بعدهم، وأنه قد رضي عنهم، وأنهم تابعون، وكل هذا منه وهم في غير ولايته، فهذا خلف من الكلام القبيح، مما يتعالى الله عن أن يوصف بمثله، وقد قال أيضاً: **﴿فَسَجَدَ الْمَلاَئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلاَّ إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الكَافِرِينَ﴾**[2] ولم يكن إذ ذاك كافر غير إبليس، فنسبه إلى الكافرين الذين هو منهم على ما علم أنهم كافرون ومع هذا كله يقال لهم ما تقولون في إبليس حين كان عابداً مع الملائكة في السماء قائماً: **﴿آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾**[3] هل تزعمون أن إبليس إذ ذاك في ولاية الله وحبه ورضاه وأن الله موال له ومحبه وراض عنه؟ فإن تجاسروا على القول بهذا مع فظاعته، فإنهم قوم متجاسرون، فيقال لهم: أجل أرأيتم أن اطلع الله جبريل ومكائيل وإسرافيل على ما سيكون من إبليس من الجحد لربوبيته، والإنكار لوحدانيته، والدعاء عبادة نفسه؟ أفتزعمون أن إبليس يكون في ولاية الملائكة مع ما أطلعها الله عليه من ذلك؟ فإن قالوا نعم، قيل لهم: أفيكون جائزاً ومتفقاً للملائكة مع ما أطلعها الله عليه من الذي إليه إبليس صاير، أن تدعو الله لإبليس وتقول: ربّنا قِ إبليس عذاب الجحيم، ربّنا وأدخله جنات عدن التي وعدته، وقه السيئات، **﴿ومَن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم﴾**؟ وهذا من مجرأة النقض على الله وعلى دينه، وعلى ملائكته، ودين ملائكته، فإن رجعوا وقالوا إن إبليس لا يجوز أن يكون في ولاية الملائكة إذ هي مطلعة على ما إبليس إليه صائر، قيل ويحكم ولم ذلك؟ وهل هو إلاّ لأن

---

(١) سورة الأعراف آية رقم ١٥٧.

(٢) سورة ص آية رقم ٧٤.

(٣) سورة الزمر آية رقم ٩ سقط في المطبوعة ألف الجماعة من (ويرجوا).

علمت الملائكة من عند الله ما إليه صائر وبما هو له فاعل، وكيف يكون إبليس مع هذا لا في عداوة الله، لما كان الله لم يزل عالماً بما إبليس له عامل، وبما هو إليه صائر؟ فدل هذا على أن الله لم يزل عدواً لإبليس، وعدواً للكافرين، وقال لإبليس: ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾[1]، فلا يخلو من أن يكون إبليس رجيماً في علم الله لم يزل الله عالماً أنه رجيم، أو يكون الله لم يعلم بأنه رجيم إلاّ عند منعه السجدة، وهذه مقالة الجهمية، وقد دللنا على فسادها عند موضعها في كتاب التوحيد، وكل ما نقضنا به على الجهمية في زعمهم بأن الله لا يكون أن يعلم الأشياء حتى تكون موجودة، فهو نقض على هؤلاء القوم، كما أن النقض على الروافض في وصفهم الله بالبدا[2] تعالى الله عن ذلك فهو نقض على مَن قال بتقلب الولاية والعداوة، وكل ذلك أصل واحد.

وكذلك يقال لهم: ما تقولون في الذي آتاه الله آياته ﴿فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾[3]؟ فإن زعمتم أن هذا في ولاية الله، والله عالم بأنه ينسلخ من آياته، ويكون من الغاوين، قيل: أرأيتم أن أطلع الله موسى عليه السلام، أو غير موسى من أنبيائه، على ما سيكون من هذا الرجل بأنه سينسلخ من آيات الله، ويكون من الغاوين، وأنه سيصير في مثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث؟ أفينبغي لموسى أن يكون موالياً لهذا على

(١) سورة ص آية رقم ٧٧ وجاءت في المطبوعة على أنها سورة غافر آية رقم ٩ وجاءت آية في سورة الحجر آية ٣٤.

(٢) يذكر الشهرستاني البداء باعتباره بدعة من بدع الغلاة من الشيعة، إلاّ أن الأشعري يوسع الدائرة فيقول: «كل الروافض إلاّ شرذمة قليلة يزعمون أنه يريد الشيء ثم يبدو له فيه». ونحن نعلم أن أول مَن اشتهر عنه القول بالبداء هو المختار وكان يقول «إذا جاز النسخ في الأحكام جاز النسخ في الأخبار».

ويقول الشيخ محمد رضا المظفر (قال الصادق) مَن زعم أن الله تعالى بدا له في شيء بداء ندامة فهو عندنا كافر بالله العظيم. راجع عقائد الإمامية ص ٤٥. والانتصار ص ٩٦ والملل والنحل ١:١٥٥ والمقالات ٢:١٠٧ واوائل المقالات ٥٣ وتصحيح الاعتقاد :٢٥.

(٣) سورة الأعراف آية رقم ١٧٥.

ما علم من هذه الصفة، داعياً إلى الله له أن يرحمه، ويدخله جنته؟ فإن قالوا لا، قيل لهم: فكيف جوزتم في صفة الله من التبديل[1] والتحويل والتغيير والتقلب والبداء ما لم تجوزوه في صفة غيره من الخلق، والخلق لا يعلم بعضهم من بعض إلاّ ما أطلعهم الله على العلم به.

ويقال لهم: ما تقولون في عمر بن الخطاب[2] رضي الله عنه حيث كان على دين قومه، مذكوراً عنه ما قد علمتم؟ هل هو إذ ذاك في ولاية الله، أو في عداوته؟ فإن قالوا في عداوته قيل لهم: فإذا أطلع الله رسوله محمداً صلّى الله عليه وسلّم على ما سيكون من إيمان عمر، وقيامه بدين الله، هل يكون عمر مع ذلك عند رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في عداوته والدعاء عليه ألاّ يؤمن، وأن يموت على ما هو عليه من دين قومه، فيصير إلى عذاب الله؟ فإن قالوا: لا يتفق هذا لرسول الله مع علمه بما عمر إليه من طاعة الله صائر. قيل: فكيف جوّزتم التحويل في ولاية الله مع قولكم بأن الله لم يزل عالماً بما العباد له فاعلون، وبما هم إليه صائرون، ولم تجوزوا ذلك في ولاية الخلق، وعداوتهم بعضهم بعضاً، إذ كان الله لهم مطلعاً على ما سيكون من تلك الأشياء وبعد هذا كلّه أجمع فهل كانت ولاية الخلق بعضهم لبعض وعداوتهم، إلاّ لما ترون من فعلهم بالإيمان، وفعلهم بالكفر؟ وعلموا من ذلك، والله لم يزل رايياً بما يكون من جميع الخلق، وعالماً به، فيجب بهذا أن يكون الله لم يزل موالياً، ومعادياً على ما علم، مما العباد له عاملون، وإليه صائرون.

إنتبهوا حفظكم الله إلى أمثال هذه المعارضات، فإنها دالة على صدق

(١) التبديل: تغيير الشيء عن حاله والإبدال جعل الشيء مكان آخر وحاصله معناه إيراد الشيء بدلاً عن شيء. والتبديل عند الأصوليين هو النسخ، وعند أهل البديع هو العكس، وعند أهل التعمية وضع حرف بلا توسط. راجع كشاف المصطلحات ١:٢٠٨، ٢٠٩.

(٢) عمر بن الخطاب ولد عام ٤٠ ق هـ وتوفي عام ٢٣هـ. راجع ابن الأثير ٣:١٩ والطبري ١:١٨٧ـ ٢١٧ واليعقوبي ٢:١١٧ والإصابة الترجمة ٥٧٣٨ وصفة الصفوة ١:١٠١ وحلية الأولياء ١:٣٨ والخميس ١:٢٥٩ وأخبار القضاة لوكيع ١:١٠٥ والبدء والتاريخ ٥:٨٨ و١٦٧.

مقالتكم، هاتكة لأستار مقالة أهل الخطأ، وهي من المحفوظات القديمة، فحين نبهتكم عليها عرفتم باقيها إن شاء الله.

باب القول في المرأة المأتية[1] فيما دون الفرج والدلالة على تفسيقها وإثبات وعيدها

قال أصحابنا ومن وافقهم من الزيدية والمعتزلة والخوارج بتفسيق المرأة الموطوءة فيما دون الفرج طائعة غير مكرهة، وإثبات الوعيد لها، واجتمعت هذه الفرق على أنَّها فاسقة يبرأ منها، ويشهد على فعلها بالضلالة وأنَّها كافرة بدين إلاَّ ما كان من تردد المعتزلة في التسمية لها بالكفر، ولسائر أهل الكبائر.

فإن قال قائل: ما دلكم على تفسيق هذه المرأة، وإثبات الوعيد لها؟ فيقال له: قد علمنا ذلك، ودللنا عليه من كتاب اللّه عزّ وجلّ، ومن سنة رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم، ومن القياس على ما فيها، ومن الإجماع[3] قال اللّه عزّ وجلّ: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِم حَافِظُونَ إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِم أَوْ مَا مَلكتْ أَيْمانُهُم فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ

---

(١) قال أصحاب أبو حنيفة: إنَّه عندنا ولائط الذكر سواء في الحكم، ولأنَّ القدر والأذى في موضع النجو أكثر من دم الحيض فكان أشنع، وقد حرم اللّه تعالى الفرج حال الحيض لأجل النجاسة العارضة فأولى أن يحرم الدبر لأجل النجاسة اللازمة، وهناك أحاديث صحيحة رواها عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلم ـ اثنا عشر صحابياً بمتون مختلفة كلها متواردة على تحريم اتيان النساء في الأدبار ذكرها أحمد بن حنبل في مسنده، وأبو داود والنسائي والترمذي وغيرهم. وقد جمعها أبو الفرج ابن الجوزي بطرقها في جزء سماه تحريم المحل المكروه. ولأبي العباس «إظهار ادبار من أجاز الوطء في الأدبار». وروى الدارمي في مسنده عن سعيد بن يسار أبي الحباب قال: قلت لابن عمر ما تقول في الجواري حين أحمض بهن؟ قال: وما التحميض؟ فذكرت له الدبر فقال: هل يفعل ذلك أحد من المسلمين، وعن أبي هريرة عن النبيّ ـ صلّى اللّه عليه وسلّم قال: «من أتى امرأة في دبرها لم ينظر اللّه تعالى إليه يوم القيامة.» تفسير القرطبي بتصرف ٢: ٩٤، ٩٥.

﴿هُمْ الْعَادُونَ﴾[1]، فقلنا لا تخلو هذه المرأة، وصاحبها من أن يكونا حافظين لفروجهما، أو غير حافظين، ولن يجوز أن يكونا حافظين لقول اللّه عزّ وجلّ: **﴿فمن ابتغى وراء ذلك﴾** من الأزواج، وما ملكت اليمين، **﴿فأولئك هم العادون﴾** فلما تبين أنهما غير حافظين، وجب أن يكونا عادين، وقال لقوم لوط: **﴿أَتَأْتُونَ الذكـران من العَالمين وتَذْرُون مَا خلق لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنتُم قَوْمٌ عَـادُونَ﴾**[2]، فلما غلظ عليهم في الاسم، واشتدّ عليهم في الشتم، قال: **﴿بل أنتم قوم عادون﴾**، ولعل اللاطة عند هؤلاء القوم أيضاً لم يكفروا بدين، وقوله عزّ وجلّ: **﴿إلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِم أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُم فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾**[3]، وقد تبين لنا أنَّ هذا الفاعل الذي فعل بها ما قد ذكرنا، أنَّه غير حافظ لفرجه، وأنَّه مذموم ملوم، غير محمود، لأنَّها ليست له بزوجة، ولا مملوكة اليمين، والملوم هو المعاقب، قال اللّه عزّ وجـلّ: **﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمـا أَنْتَ بِمَلُومٍ﴾**[4]، وقـال: **﴿فَتَقْعُـدَ مَلُومـاً مَّحْسُوراً﴾**[5] و: **﴿مَذْمُوماً مَّخْذُولاً﴾**[6]، وهي من أسماء أهـل العقاب، فإن قال: فإنَّها حافظة من قبل انَّ ذلك منها فيما دون الفرج، قيل: فإنَّ الآية قد عمت في كل الحفظ من العين واليد والفرج جميعاً، ولم تستثن حفظاً من حفظ، فلما كانت الآية على العموم في جميع الحفظ من العين واليد والفرج جميعاً، كان مدعي الخصوص مريداً لأن يثبت دعواه بغير دليل، وبما لا يثبت به الدعوى، وقال عزّ وجلّ: **﴿وَلاَ تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّه كَانَ فَاحِشَةً﴾**[7] فعظم الزنا بأن سماه فاحشة، فلا يخلو فعل هذين الإنسانين من أن يكون فاحشة أو

---

(١) سورة المؤمنون آية رقم ٥، ٦، ٧.

(٢) سورة الشعراء آية رقم ١٦٦.

(٣) سورة المؤمنون آية رقم ٦.

(٤) سورة الذاريات آية رقم ٥٤.

(٥) سورة الاسراء آية رقم ٢٩.

(٦) سورة الاسراء آية رقم ٢٢.

(٧) سورة الاسراء آية رقم ٣٢.

غير فاحشة، فأجمع الناس على أنَّه فاحشة، من قبل أنك لو سألت هؤلاء أو غيرهم من الناس من أين علموا عصيانها لم يجدوه إلاَّ من قول اللّه عزّ وجلّ: **﴿قُلْ إِنَّما حَرَّمَ رَبِّي الفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾**[1] وفي إجماعهم على أنَّه فاحشة ما يدل على أنَّه داخل في باب الزنا، ولن يجوز أن يكون الزنا غير كبيرة عند جميع من أنفذ الوعيد، وقوله عزّ وجلّ: **﴿قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن﴾** هو الزنا فقد قال فيه أهل التفسير: إنَّ ما ظهر هو: كشف العورة، وما بطن هو: الزنا فسمى كشف العورة فاحشة، فكل فاحشة كبيرة، وكل كبيرة متوعد عليها، وقال عزّ وجلّ: **﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا، قُلْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾**[2]، فقال أهل التفسير: إنَّ ذلك لما كان من تعريهم عند المسجد الحرام، فسماه اللّه فاحشة، فلما كان فاحشة كان كبيرة، وفعل هذه المرأة مع صاحبها أكثر وأكبر وأعظم من كشف العورة الذي سماه اللّه فاحشة.

وقد سئل رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم فيما بلغنا عن السرقة والزنا وشرب الخمر فقال: هن من الفواحش وفيهن عقوبة[3] وقال: **﴿الَّـذِينَ**

---

(١) سورة الأعراف آية رقم ٣٣.

(٢) سورة الأعراف آية رقم ٢٨.

والفحش والفحشاء والفاحشة ما عظم قبحه من الأفعال والأقوال قال تعالى: ﴿من يأت منكن بفاحشة مبينة﴾. سورة الأحزاب آية ٣٠ وقال: إنَّ الذين يحبون أن تشيع الفاحشة، وقال: «إنما حرم ربي الفواحش».

وفحش فلان صار فاحشاً ومنه قول الشاعر:

«عقيلة مال الفاحش المتشدد»

(٣) الحديث رواه الإمام مالك في كتاب الموطأ كتاب قصر الصلاة في السفر ٢٣ باب العمل في جامع الصلاة ٧٢ ـ حدثني مالك عن يحيى بن سعيد عن النعمان بن مرة، أنَّ رسول اللّه ـ صلّى اللّه عليه وسلّم قال: ما ترون في الشارب والسارق والزاني؟ وذلك قبل أن ينزل فيهم قالوا: اللّه ورسوله أعلم. قال: «هن فواحش وفيهن عقوبة». «وأسوأ السرقة الذي يسرق صلاته».

قالوا: «وكيف يسرق صلاته يا رسول اللّه..؟ قال: لا يتم ركوعها ولا سجودها».

قال ابن عبد البر: لم يختلف الرواة عن مالك في إرسال هذا الحديث عن النعمان بن مرة.

وهو حديث صحيح، مسند من وجوه من حديث أبي هريرة وأبي سعيد.

﴿يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ﴾ فقرن ذكر الفواحش بذكر الكبائر، ثمّ قال: ﴿إِلاَّ اللَّمَمَ﴾[1] فاستثنى فيما دون الفواحش، والكبائر ما لم يستثن في الكبائر، والفواحش، فدل على أن ما لم يستثن فيه كبائر، متوعد عليها، وقد قال: ﴿الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[2]، فلا يخلو فاعل هذا الفعل بها إذا هو اكرهها على نفسها، وابتزها باطن جسدها، متلذذاً بذلك، من أن يكون ظالماً لها، أو غير ظالم، ومن سنة رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلم فيما روت الرواة عنه أنّه قال: «إنَّ العين تزني وزناها النظر واليد تزني وزناها اللمس[3]». وقال صلّى اللّه عليه وسلّم «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن[4]». فلما ثبت أنّهما غير مؤمنين، ثبت أنهما كافـران، وقال صـلّى اللّه عليه وسلّم: «لعن اللّه النـاظر والمنظور إليه[5].» وقال: «ملعون من نظر إلى عورة أخيه، أو قال إلى فرج

---

(١) سورة النجم آية رقم ٣٢.

(٢) سورة الشورى آية رقم ٤٢.

(٣) الحديث رواه الإمام مسلم في كتاب القدر (٥) باب قدر على ابن آدم حظه من الزنى وغيره (٢٠) (٢٦٥٧) عن ابن طاووس عن أبيه عن ابن عباس قال: ما رأيت شيئاً أشبه باللمم مما قال أبو هريرة أنَّ النبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم ـ قال: إنَّ اللّه كتب على ابن آدم حظه من الزنى أدرك ذلك لا محالة وذكره.

ورواه الإمام البخاري في كتاب القدر (١٢: ٦٢) عن ابن طاووس عن أبيه عن ابن عباس قال: وذكره.

(٤) الحديث رواه ابن ماجه في كتاب الفتن ٣ باب النهي عن النهبة ٣٩٣٦ عن عقيل عن ابن شهاب عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام عن أبي هريرة ـ رضي اللّه عنه ـ أنَّ رسول اللّه ـ صلّى اللّه عليه وسلّم ـ قال: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبة يرفع الناس إليه أبصارهم حين ينهبها وهو مؤمن».

(٥) لم نعثر على هذا الحديث بلفظه على كثرة البحث والتقصي وإن كان ابن ماجه قد عنون في كتاب النكاح باباً سماه (باب التستر عند الجماع) وفيه ١٩٢١ ـ ثنا الأحوص بن حكيم عن أبيه، وراشد ابن سعد وعبد الأعلى بن عدي عن عتبة بن عبد السلمي قال: قال رسول اللّه ـ صلّى اللّه عليه وسلّم:

«إن أحدكم أهله فليستتر ولا يتجرد تجرد العيرين».

أخيه.» وقال: ملعون من أبدى عورته للناس. وقال: من نظر نظرة حرام كحلت عيناه بمسامير من نار، أو قال: «بحسير من نار» وأما من الإجماع: فإنَّ الأمة مجتمعة على أنَّ من وثب على امرأة ليفعل بها مثل ذلك الفعل، مكرهاً لها فإن عليها أن تدفعه بأشدّ الدفع، وتقابله بما قد يكون فيه من القتال ما هو حقيقة وإن لم تفعل كانت راضية زانية، وعلى من شاهد هذه من الناس مثل ما عليها من ذلك، وإنَّ الدماء لا تحل إلاَّ على كبيرة، وأجمع جميع من أنفذ الوعيد، على أنَّ القذف كبيرة من الكبائر متوعد عليه وفسق، والحد من اللّه فيه واجب، وأجمعوا على أنَّ من فعل هذا الفعل، بامرأة مكرهاً لها، غاصباً لجسدها، أنَّ ذلك الفعل أكبر من القذف، وأقبح منه، بل قد علمنا وعلم جميع الناس، أنَّ من قذف مستورة من المسلمات بالزنا، أيسر عليها وأخف مؤونة، من الذي يبتزها من ثيابها في وسط جموع الناس، ويدعها مكشوفة، بل قد علم جميع الخلائق، أنَّ من جرد امرأته التي هي زوجته، في ملا من الناس أنَّ ذلك أكبر منه فعلاً، وأعظم بلية، من أن يقول لها: اذهبي يا زانية وكيف لو نال منها شبيه ما ذكروا، في ملإٍ من الناس، وجموعهم، وهي امرأته.

وقد اتفقت العلماء على أنَّهما إذا وجدا في لحاف واحد، وكانا غير زوجين، أنَّهما يعزران، والتعزير عندنا وعندهم، لا يجب إلاَّ على كبيرة من الكبائر، أرأيتم إذا كانت هذه المبتلاة ذات بعل، فرفضت بعلها، وظهرت للفساق، تتبعهم في كل خربة[1]، يفعلون بها ما ذكروا؟ أليست كانت تكون

= وفي الزوائد: إسناده ضعيف لجهالة تابعيه.
وأيضاً ١٩٢٢ عن سفيان عن منصور عن موسى بن عبداللّه بن يزيد عن مولى لعائشة عن عائشة قالت: «ما نظرت أو ما رأيت فرج رسول اللّه ـ صلّى اللّه عليه وسلّم».

(١) خرِب الموضع بالكسر خراباً فهو خرب، ودار خربة، وخرَّبُوا بيوتهم شدد لفشو الفعل أو للمبالغة.
والعجيب أنَّ المؤلف قال هذا الكلام عندما كانت الناس ناساً يثورون على مرتكبي الفواحش =

عن بعلها ناشزة، والناشزة عندنا وعندهم عاصية لربها، فاسقة، محرم عليها أزواج الدنيا وأزواج الآخرة إلاَّ أن تتوب، وقد قال جابر بن زيد[٢] رضي اللّه عنه، لعبد الملك بن مروان[٣] لما بلغه أنَّه ضرب عنق الإعرابي لما أمسك امرأة أبيه، فقال جابر أحسن عبد الملك، أو قال أجاد، ومن أعلم عبد الملك أنَّ الإعرابي ينتهي من امرأة أبيه إلى أكثر من هذا الذي وصفوا؟ وكيف حتى اجتمعت الأمة كلها مصيبها ومخطئها على قتل الوليد بن يزيد المرواني[٤]، على أن امسك جواري أبيه يزيد، مع ما اشتهر من فسق الوليد وجرأته على اللّه في كل أمر عظيم، فلم تعظم الأمة على الوليد ذلك كله كتعظيمها لما فعل من

= وينالون منهم حتى القتل أما في القرن العشرين فليست هناك خرائب يرتكب فيها الفاحشة، وإنما هي القصور العالية والفنادق الشاهقة ـ والتي يقام عليها الحراس المدججون بالسلاح لحماية أصحاب الرذيلة من أن ينال منهم أو يصل إلى اسماعهم ما يجرح شعورهم ـ إن كان هناك شعور ـ والأمر للّه أولاً وآخراً.

(٢) هو جابر بن زيد الأزدي التابعي أبو الشعثاء: تابعي فقيه من الأئمة من أهل البصرة أصله من عمان صحب ابن عباس، وكان من بحور العلم، وصفه الشماخي (وهو من علماء الأباضية) أنَّه أصل المذهب وأسه الذي قامت عليه آطامه نفاه الحجاج إلى عمان، وفي كتاب الزهد للإمام أحمد لما مات جابر بن زيد قال قتادة: «اليوم مات أعلم أهل العراق.» راجع السير للماخي ٧٠ ـ ٧٧ وتذكرة الحفاظ ١: ٦٧ وتهذيب التهذيب ٢: ٣٨ وحلية الأولياء ٣: ٨٥ وحاشية الجامع الصحيح للسالمي ١: ٧ والبداية والنهاية ٩: ٩٣ ـ ٩٥.

(٣) هو عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي القرشي، أبو الوليد من أعاظم الخلفاء، ودهاتهم، نشأ في المدينة فقيهاً واسع العلم متعبداً ناسكاً وشهد يوم الدار مع أبيه واستعمله معاوية على المدينة وهو ابن ١٦ سنة وانتقلت إليه الخلافة بموت أبيه سنة ٦٥ هـ فضبط أمورها وظهر بمظهر القوة فكان جباراً على معانديه، واجتمعت عليه الكلمة بعد مقتل مصعب وعبداللّه ابني الزبير في حربها مع الحجاج الثقفي، ونقلت في أيامه الدواوين من الفارسية والرومية إلى العربية توفي في دمشق عام ٨٦ هـ ٧٠٥ م. راجع ابن الأثير ٤: ١٩٨ والطبري ٨: ٥٦ واليعقوبي ٣: ١٤ وميزان الاعتدال ٢: ١٥٣ وفيه «سفك الدماء وفعل الأفاعيل» والمحبر ٣٧٧ وفيه كان كاتباً على ديوان المدينة زمن معاوية وتاريخ الخميس ٢: ٣٠٨ وفيه كان يلقب برشح الحجر لبخله وفوات الوفيات ٢: ١٤ وفيه لما أفضى الأمر إلى عبد الملك كان المصحف في حجره فاطبقه وقال: هذا فراق بيني وبينك.

(٤) هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان أبو العباس، من ملوك الدولة المروانية بالشام كان من فتيان بني أمية يعاب بالانهماك في اللهو وسماع الغناء، له شعر فيه مجون وولع بالموسيقى قال أبو =

إمساك جواري أبيه، ومن أعلم الأمة أنَّ الوليد مجاوز معهن هذا الذي وصفوا، وما القول فيمن أمسك امرأة أبيه على هذا أو جاريته يفعل بها مثل هـذا الفعل الذي ذكروا؟ أو أمسك أمه، أو أخته، حيناً من الدهر، مقيماً على ذلك، مصراً عليه، ما أقذرها من مقالة، وأقبح منها القائلون بها، فلما كان من إجماع الأمة ما ذكرنا، علمنا أنَّ ذلك الفعل كبيرة من الكبائر، وأنهما فاسقان، ضالان، كافران بدين، خارجان من حد الولاية، إلى حد العداوة.

ويقال لأصحاب عبدالله بن يزيد، وعبدالله بن عبد العزيـز[١]، وأبو المورج[٢] السدوسي، وجماعتهم، من أين علمتم عصيانها بـدين، ولم تعلموا تفسيقها بدين؟ ولن يجدوه إلاّ من قوله الله عزّ وجلّ: ﴿**قل إنما حرّم ربّي الفواحش ما ظهر منها وما بطن**﴾[٣]، قيل لهم: فمن أين علمتم أن فعلها فاحشة، حتى تقولوا بتحريمه؟ ولن يجدوا بحمد الله سبيلاً إلى المعرفة بأن فعلها

= الفرج: له أصوات صنعها مشهورة، وكان يضرب بالعود، ويوقع بالطبل ويمشي بالدف وقال السيد المرتضى: كان مشهوراً بالالحاد متظاهراً بالعناد وقال ابن خلدون: ساءت القالة فيه كثيراً. ولي الملك سنة ١٢٥ هـ بعد وفاة عمه هشام بن عبد الملك فمكث سنة وثلاثة أشهر ونقم عليه الناس لحبه للهو فبايعوا سراً ليزيد بن الوليد بن عبد الملك قتل عام ١٢٦ هـ. راجع ابن الأثير ٥: ١٠٣ واليعقوبي ٣: ٧١ وابن خلدون ٣: ١٠٦ والأغاني ٧: ١ و٩: ٣٧٤ وتاريخ الإسلام للذهبي ٥: ١٧٣ ـ ١٧٩.

(١) يقول صاحب المدونة الصغرى كان عبدالله بن عبد العزيز معاصراً لأبي المؤرج، واشتهر بـالقياس الفقهي، ويقال روى عن أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة.

(٢) المؤرج المؤثر وأبو المؤرج السدوسي معاصر لأبي عبيدة مسلم بن كريمة المتوفى نحو ١٤٥هـ ٧٦٢م فقد ورد في مدوّنة أبي غانم الصغرى حدّثني أبو عبيدة بلسان أبي المؤرج، وهو معاصر لأبي غانم نفسه إذ يروي عنه فيقول: سألت أبا المؤرج، وله رأي في القضاء قال أبو المؤرج ما أحب أن يجعل على قضاء المسلمين إلاّ رجل منهم ورع عالم بالكتاب والسنّة، عالم بالأشباه والأمثال والاختلاف في أبواب الأحكام وغوامض الأقضية.

(٣) سورة الأعراف آية رقم ٣٣ وتكملة الآية ﴿والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون﴾.

روى روح بن عبادة عن زكريا بن إسحاق عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: ما ظهر منها: نكاح الأمهات في الجاهلية، وما بطن: الزنى وقال قتادة: سرّها وعلانيتها وهذا فيه نظر فإنه ذكر الإثم =

محرّم، ولا بأنه فاحشة إلاّ من قبل الوجوه التي استدللنا بها على تفسيقها، وتكفيرها، وإثبات الوعيد لها وإلاّ فليس فعلها ذلك بمعصية كما لم يكن كبيرة، ومَن تعاطى منهم ذلك، وحاوله فعليه أن يأتي به، وإلاّ فقد قامت الحجة عليهم، بتكفيرها بدين، وإيجاب وعيدها، ولزم التسليم والرجوع إلى الحق، خير من التمادي على الباطل، فإن قالت المعتزلة: لم كفرتموها؟ قلنا: قد فرغنا من مثل هذا في باب التسمية لأهل الكبائر، أو تردوها بدعة؟ فقلنا: كفرناها لأن فسقتموها، فقالوا: فسقناها لأن أثبتنا وعيدها، فقلنا كفرناها لأن أثبتم وعيدها، فقالوا: سميناها فاسقة لأنها غير مؤمنة، قلنا: سميناها كافرة، لأنها غير مؤمنة، قالوا: فسموها إذاً مشركة كما سميتموها كافرة، قلنا: فسموها إذا مؤمنة، كما سميتموها غير كافرة، قالوا: أجمعنا مع المرجئة على أنها غير كافرة فقلنا: أجمعنا مع الصفرية على أنها كافرة، قالوا: فسموها إذا مشركة، كما سمت الصفرية، قلنا: فسموها إذاً مؤمنة كما سمت المرجئة،[1] قالوا: ولو قلنا لكنا مرجئة،[2] قلنا ولو قلنا لكنا صفرية قالوا: فحين سميتم كافرة فأنتم صفرية، قلنا: فحين سميتم غير كافرة فأنتم مرجئة، قالوا: وليس كل فاسق كافراً، قلنا: وليس كل كافر مشركاً، قالوا: فالكافر بعض الفاسق، قلنا: فالمشرك بعض الكافر، قالوا: أجمعوا على أنها فاسقة، ولم يجمعوا على أنها كافرة، قلنا: مَن قبل ما أجمعوا على أنها فاسقة، علمنا بأنها كافرة، ولو لم تجمعوا على أنها كافرة، كما قد علمنا بأنها معاقبة، من قبل ما أجمعوا على أنها فاسقة، ولو لم يجمعوا على أنها معاقبة.

= والبغي فدلّ أن المراد بالفواحش بعضها.

والإثم قال الحسن: الخمر قال الشاعر:

شربت الإثم حتى ضلّ عقلي ... كذاك الإثم تذهب بالعقول

والبغي: الظلم وتجاوز الحد.

(١) سبق الحديث عنها في كلمة وافية.

(٢) سبق الحديث عنها وعن بعض معتقداتها في هذا الجزء.

ثم يقلب عليهم السؤال بأن يقال لهم: لم سميتموها فاسقة؟ قالوا: لأنها غير مؤمنة، قلنا: فيجب أن تسموها كافرة لأنها غير مؤمنة فقد قال عزّ وجلّ: ﴿فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُّؤْمِنٌ﴾(١) فإن قالوا: سميناها فاسقة لأنها معاقبة، قلنا: فيجب أن تسموها كافرة لما كانت معاقبة، وقد قال: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾(٢) ولم سميتموها فاسقة ولم تسموها كافرة، وقد قال الله: ﴿فَذُوقُوا العَذَابَ بِمَا كُنْتُم تَكْفُرُونَ﴾(٣)، ﴿وَبِمَا كُنْتُم تَفْسُقُونَ﴾(٤)؟ ولم سميتموها ظالمة ولم تسموها كافرة؟ وقد قال الله: ﴿وَالكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾(٥) ولم سميتموها عدوة لله، ولم تسموها كافرة؟ وقد قال الله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ﴾(٦) ولم سميتموها ضالة ولم تسموها كافرة؟ وقد قال الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْراً لَّنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾(٧)، وهكذا المناظرة في التسمية لأهل الكبائر، والحمد لله على معرفة الهدى.

مسألة:

إن سأل سائل فقال: ما تقولون في رجلين مسلمين من أهل ولايتكم

---

(١) سورة التغابن آية رقم ٢.

(٢) سورة البقرة آية رقم ٢٤ وصدر الآية ﴿فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة﴾.

(٣) سورة آل عمران آية رقم ١٠٦ وصدر الآية ﴿يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأمّا الذين اسودّت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم﴾.

(٤) سورة الأحقاف آية رقم ٢٠ وقد جاءت الآية محرّفة في المطبوعة حيث قال: (بما) وهي (وبما) وصدر الآية ﴿ويوم يعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما﴾.

(٥) سورة البقرة آية رقم ٢٥٤.

(٦) سورة البقرة آية رقم ٩٨.

(٧) سورة آل عمران آية رقم ٩٠.

تقاتلا أو تلاعنا، أو ادّعى أحدهما قبل صاحبه حقاً، وأنكره الآخر، وأنتم لا تدرون أيها الظالم من المظلوم، ولا المحق منها من المبطل هل يكونان عندكم فيها فيه من الحكم الأول، أو ينتقلان عن ذلك، إلى حكم البراءة، أو إلى غيرها؟ فالجواب لأصحابنا في هذه المسألة وأمثالها، أنهم قالوا: بالثبوت على ما هم عليه من الحكم الأول، والأصل المقدّم حتى يبينوا ما أشكل عليهم من ذلك وإلاّ فهم باقون على ما هم عليه، وفيه من حكم الولاية المتقدمة لهم على علم وفريضة، والقياس في ذلك هو ما قالوا، والحجة لهم من قبل أن كل بلية نزلت ولم يوجد علمها، وأن كل شبهة عرضت ولم يعلم مخرجها، فحكم ذلك كله كحكم ما لم يقع ولم يوجد رأساً، كانت الحجة للذين قالوا بالثبوت على الأصل الأول، والحكم المتقدم، حتى يستبين مخرج البلية، ويعلم ما وجهها، وإلاّ فحكمها حكم ما لم يقع، ولم ينزل رأساً، لما كان لم يحدث في كلا الوجهين علم ما يجب به حكم، أو يسقط به حكم من الأحكام والحكم لا يجب، ولا يسقط إلاّ بعلم، والعلم معدوم غير موجود في هذين الوجهين جميعاً سواء. وأيضاً لو جاز لنا أن نمنع المؤمنين ما استحقوه منا من الولاية والمحبة، والمدح والتعظيم لإيمانهم وطاعتهم لله، من غير أن يصح لهم عندنا ما يستحقون به زوال الولاية، وتغيير الحال، لجاز لنا أن نبرأ منهم وأن نذمهم ونبغضهم، من غير أن يتبيّن لنا منهم ما يستحقون به منا البراءة، والبغض والذم، فلمّا كان مَن تبرّأ من المؤمنين، وبغضهم وذمهم، من غير أن يصح عندنا أنهم قد استحقوا ذلك كان عاصياً لله، ظالماً للمؤمنين، كان أيضاً مَن منعهم ما استحقوه من الولاية والمدح والمحبة والتعظيم لإيمانهم السالف، من غير أن يعلم منهم ما قد يستحقون به زوال الولاية والمودة والمدح والتعظيم، ظالماً لهم، عاصياً لله في ذلك.

فإن قال قائل: ما تقولون في رجل من أهل ولايتكم أتى كبيرة من الكبائر مما يسع جهله عند ضعيف من ضعفة المسلمين الذين لا معرفة لهم قبلهم بوجوه الكبائر؟ قيل له: ليس على الضعيف من هذا حكم يجب أو

يسقط، بل يكون على ما هو عليه من أصل الولاية الأولى حتى يلقى العلماء فيخبرونه بالمخرج، وإلاّ فذلك الفعل الذي لا يعلم ما هو كالفعل الذي لم يكن، ولم يوجد من فاعله أصلاً، وكلاهما في باب الحكم مستويان، كما أنهما في باب ما لم يعلم سواء، فإن قال: أوليست السلامة لهذا الضعيف أن يقف في المتولي حيث لا يدري ما فعله، وفعله عند العلماء كبيرة، حتى لا يكون لذي الكبيرة موالياً، قيل له: بل الضعيف ليست السلامة له في الذي ذكرت أن يكون يخرج المتولي من حكم الولاية إلى غيرها بغير حجة ظاهرة ولا بدلالة قائمة، فيكون حينئذ خارجاً من العلم إلى الجهل، تاركاً للفرض إلى غير الفرض، والتارك للفرض إلى غيره مختار للهلكة على النجاة فإن قال أَوَلَيْسَ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم واقفاً في عائشة[1]، وصفوان بن المعطل[2]، عند مقالة مَن قال فيهما قبل ما لم تنزل براءتها، ولم تأت طهارتها؟ قيل له: معاذ الله أن يكون رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقف في ولاية المؤمنين، ويكون مخرجاً لهم من ولايتهم التي أوجب الله عزّ وجلّ على رسوله صلّى الله عليه وسلّم للمؤمنين إلى غيرها، بمقالة أهل الإفك ولو كان ذلك كذلك، لكان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم شاكاً لعلّ أهل الإفك صادقون فيما تكلّموا به من البهتان، وظاناً أن ذلك منهم على ما قالوا كيف وقد وبخ الله عزّ عزّ وجلّ عن هذه الصفة، وقال: **﴿لَوْلاَ إِنْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ والْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْراً** ـ يعني بإخوانهم الذين هم مؤمنين مثلهم ـ **وَقَالُوا هَذَا**

---

(١) هي عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها ـ وأم المؤمنين زوج النبي ـ صلّى الله ععليه وسلّم ولدت عام ٩ ق هـ وتوفيت عام ٥٨ هـ. راجع الإصابة كتاب النساء ت٧٠١ والسمط الثمين ٢٩ وطبقات ابن سعد ٣٩:٨ والطبري ٦٧:٣ وفيه تفصيل حديث الإفك وذيل المذيل ٧ وأعلام النساء ٧٦٠:٢ وحلية الأولياء ٤٣:٢ ومنهاج السنّة ١٨٢:٢ ـ ١٨٦ و١٩٢ ـ ١٩٨.

(٢) هو صفوان بن المعطل بن رحضة السلمى الذكواني، أبو عمرو صحابي، شهد الخندق والمشاهد كلّها وحضر فتح دمشق واستشهد بأرمينية وقيل في سميساط عام ١٩ هـ وهو الذي قال أهل الإفك فيه وفي عائشة ما قالوا. روى عن النبي ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ حديثين. راجع ابن عساكر ٤٣٨:٦ واللباب ٤٤٣:١.

إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾[1] ثم قال جل اسمه: ﴿وَلَوْلاَ إِذْ سَمِعْتُمُوه قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَّتَكَلَّمَ بِهَذا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾[2] ثم أكد ما قلنا بقوله: ﴿يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَداً إِنْ كُنْتُم مُّؤْمِنينَ﴾[3] فوعظهم ألا يشكوا في مقالة أهل الأفك والبهتان، ولا يستمعوا لها ولو فعلوا ذلك لكانوا غير مؤمنين، وليس من أحد يقول بأن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وقف في عائشة وصفوان، فيجامعه على مقالته تلك أحد من هذه الأمة، فإن قال فأصحاب السواري الذين خلفوا قبل ما لم تنزل توبتهم ولم تأت براءتهم؟ قيل لهم قد أخبرناك أنه لا يكون رسول الله صلّى الله عليه وسلّم تاركاً الولاية من هو عنده من المؤمنين بشبهة عارضة، وبأمر غير مبين، فيكون رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ملتبساً عليه في دينه، لا يدري ما يفعل منه، ولا ما يدع، وحاش له من ذلك، بل كان صلّى الله عليه وسلّم على بصيرة من الله، ومَن اتّبعه من المؤمنين، فإن قال: فإذا كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لم يقف عندكم في أصحاب السواري، فهلاّ قطع فيهم قطعاً من قبل أن تنزل توبتهم من عند الله؟ قيل له: لم يكن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ليتقدم بين يدي الله فيقول بما لم يعلم من عند الله، ولم يأتِ إليه من الله فيه قرآن ولا وحي، وليس في أن لم يقطع في تخلفهم عن الخروج معه قطعاً، ما يوجب أنه صلّى الله عليه وسلّم ممسك عن ولايتهم، تارك لها إلى غيرها من الذي ذكرتم، فإن قال فقد أخبر الله رسوله صلّى الله عليه وسلّم بأن من أهل المدينة من قد مرد على النفاق وأن رسول الله عليه السلام لا يعلمهم، فهل تقولون: إن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قد كان موالياً لجميع أهل المدينة، وقد أعلمه الله أن فيهم منافقين؟ قيل له: هذه المسألة عليك لا لك، فمثل هذا كان يجب على مَن بنى

---

(١) سورة النور آية رقم ١٢.

(٢) سورة النور آية رقم ١٦.

(٣) سورة النور آية رقم ١٧.

سؤاله على خصومة أن يكون يعرف عاقبة سؤاله إذا جرد الخصوم عليه الجواب، فينبغي على قياد هذه المسألة أن يكون رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عندما أعلمه الله أن في أهل المدينة منافقين لا يعلمهم، شاكاً في جميع المؤمنين، تاركاً لولايتهم ممن احتوت عليه مدينته ويبقى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لا مؤمن واحد معه، غير موال لأحد من جميع مَن في المدينة، من المهاجرين والأنصار، فمَن لم يعرف البدعة فليعرف ما الذي إليه قائدة/ وإليه جارة، فنعوذ بالله من الحيرة بعد الهداية والجهالة بعد المعرفة.

فإن قال: أوليست الولاية[1] عندكِم والبراءة والوقوف فرائض واجبة؟ قيل له: أما الولاية لمن علمنا منه خيراً من الوفاء بدين اللّه الذي أوجب اللّه عليه لفاعله ثواباً، فهي فريضة واجبة، وحق لازم، كما أنَّ البراءة[2] ممن علمنا منه كبائر مما توعد اللّه عليه لفاعله العقاب، كان واجباً علينا أن نتبرأ ممن هذه صفته، قال اللّه عزّ وجلّ لرسوله: ﴿**وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ**﴾[3] ألا ترى أنَّ اللّه عزّ وجلّ أمر رسوله صلّى اللّه عليه وسلّم أن يتبرأ منهم إذا هم عصوا رسوله، وخالفوا أمر ربهم، فإن قال: فالوقوف؟ قيل له: أما الوقوف في كل من لا تعلم منه إيماناً ولا كفراً فإنَّ ذلك من الواجب علينا أن لا نمضي فيما لا نعلم، فنكون متقدمين بين يدي اللّه بالقول فيما لم يجعل لنا إلى القول فيه سبيلاً،

---

(١) الولاية: لغة القرب والقيام للغير بالأمر والنصر، وشرعاً الترحم والاستغفار للمؤمنين لإسلامهم وطاعتهم والثناء عليهم مع الحب في القلب. راجع الذهب الخالص.
وقال صاحب البصائر: الولاية: النصرة، ونفى اللّه الولاية بين المؤمنين والكافرين قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض﴾ سورة المائدة آية ٥١ وجعل بين الكافرين والشياطين موالاة في الدنيا ونفى عنهم الموالاة في الآخرة قال تعالى: ﴿إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون﴾ الأعراف آية ٢٧. راجع البصائر ٥: ٢٨١.

(٢) البراءة: لغة البعد عن الشيء والتخلص، وأما في الاصطلاح الشرعي تعني الشتم واللعن للكافر لكفره، وهجرة مرتكبي الكبائر حتى يتوبوا. راجع الذهب الخالص.

(٣) سورة الشعراء آية رقم ٢١٥، ٢١٦.

وقد قال عزّ وجلّ: ﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾[1] وقال: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدىً مِّنَ اللَّهِ﴾[2] فأما إذا شاهدنا إيماناً أو كفراً وعرفنا ذلك من فاعله كان الوقوف فيه بعد ذلك محرماً علينا منهياً عنه قال اللّه عزّ وجلّ: ﴿وَلاَ تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُم تَعْلَمُونَ﴾[3] ولو كان الأمر على أنَّ كل من رأى من مؤمن، أو من كافر فعلاً لا يدري ما هو، وذلك الفعل مما يسع جهله، وجب عليه أن يخرجه من الولاية أو من البراءة فيكون تاركاً للعلم إلى الجهل، وللفرض إلى غير الفرض، كان يجب ألا تثبت على هذه الصفة ولاية لأحد من الناس، ولا براءة، لأنَّه لا ينفك كل إنسان من فعل لا يعرف سببه، ولا يدري ما وجهه، وهذا إبطال أحكام دين اللّه التي فرضها اللّه عزّ وجلّ على عباده المؤمنين، ولا يصفو مع هذه المقالة أمر ولا نهي، ولا حكم في شهادة أو في قضاء، أو في حد من حدود اللّه، فهذا غاية التلبس، ونهاية الاختلاط، وفيما ذكرنا من هذا قناعة وكفاية لمن كان شأنه النظر لنفسه.

باب في الإمامة[4]:

بسم اللّه الرحمن الرحيم وصلّى اللّه على سيدنا محمد وآله.

---

(١) سورة الاسراء آية رقم ٣٦.

(٢) سورة القصص آية رقم ٥٠.

(٣) سورة البقرة آية رقم ٤٢.

(٤) الإمامة بالكسر في اللغة: إمامة الصلاة، وعند المتكلمين هي خلافة الرسول ـ عليه السلام في إقامة الدين، وحفظ حوزة الإسلام بحيث يجب اتباعه على كافة الأمة والذي هو خليفة يسمى إماماً ويرى الجمهور على أنَّ أهل الإمامة: من هو مجتهد في الأصول والفروع، شجاع ذو رأي، وقيل لا تشترط هذه الصفات الثلاث نعم يجب أن يكون عدلاً، عاقلاً، بالغاً، ذكراً حراً فهذه الشروط معتبرة بالإجماع. وهناك صفات أخر:

منها أن يكون قرشياً قاله الأشاعرة، والجبائية ومنعه الخوارج وبعض المعتزلة.

ومنها: أن يكون هاشمياً واشترطه الشيعة.

الحمد للّه المؤيد على إدراك الحق، الداعي إلى صراط مستقيم والهادي من يشاء إلى سبيل المهتدين.

أما بعد على أثر ذلك فإنَّ الكلام في الإمامة بين الناس كثير، والتنازع فيها بين الأمة غير قليل، مما لو أفرد له سفر لما احتمله، لكني أذكر من ذلك ما إليه الحاجة ماسة، والفاقة وافقة، ولا قوة إلاَّ باللّه، فنقول: إنَّ اللّه عزّ وجلّ بتفضيله، وحسن نظره لعباده، وإرادته أن يستحق المطيعون منهم ثوابه، والعاصون يوخدون بذنوبهم، وجريمتهم فأمر بإقامة الحدود، والقيام بـالقسط، والأخذ فوق يد الغشوم، فأنزل بذلك الكتب وبعث به الرسل، وضرب فيه الأمثال وأحل الحلال، وحرم الحرام، وعرف الحـدود والأحكام ومـدح الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وذم الآمرين بالمنكر والناهين عن المعروف، في غير آية من كتابه المفصل، على لسان نبيه المرسل صلّى اللّه عليه وسلّم، وقد قال عزّ وجلّ: ﴿**لقد أرسلنا رُسُلَنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط**﴾[١] وقال: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَو الوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ**﴾[٢]، وقال: ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزلَ إِلَيْكَ مِنْ رَّبِكَ وَإِنْ لَّم تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ**﴾[٣]، وقال: ﴿**كُنْتُم خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاس تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوف وتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكرَ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ**﴾[٤] وقال: ﴿**فَلَوْلاَ نَفَرَ**

= ومنها: أن يكون عالماً لجميع مسائل الدين شرطه الإمامية أيضاً.

ومنها: ظهور الكرامة على يديه، وبه قال الغلاة ولم يشترط هذه الثلاثة الأشاعرة ومنها أن يكون معصوماً - شرطها الإمامية، والإسماعلية ولم يشترطها الأشاعرة. راجع كشاف اصطلاحات الفنون ١: ١٣٢ ودائرة المعارف الإسلامية ٤: ٣٩١ والماوردي في الأحكام السلطانية ٣: ٣٣ والمسعودي في مروج الذهب ١: ٧٠، ٦: ٢٤ وابن خلدون المقدمة ١: ٣٤٢ ومحمد صادق حسن خان: إكليل الكرامة في تبيان الإمامة.

(١) سورة الحديد آية رقم ٢٥.

(٢) سورة النساء آية رقم ١٣٥.

(٣) سورة المائدة آية رقم ٦٧.

(٤) سورة آل عمران آية رقم ١١٠.

مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُم طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ، وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِم لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[1]، وقال: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعِ الْهَوَى﴾[2] وقال: ﴿خصمان بغى بعضنا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلاَ تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾[3]، وقال: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾[4]، وقال: ﴿لَوْلاَ يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الاثْمَ، وَأَكْلِهِمُ السّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾[5] وقال: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى﴾[6]، وقال: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصاصِ حَيَاةٌ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ﴾[7]، وقال: ﴿وَمَن قَتَلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً فَلاَ يُسْرِف فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُوراً﴾[8]، وقال ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾[9]، وقال: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾[10] وقال: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللَّهِ﴾[11]، وقال: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّن خِلاَفٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ﴾[12]، وقال: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ

(١) سورة التوبة آية رقم ١٢٣.
(٢) سورة ص آية رقم ٢٦.
(٣) سورة ص آية رقم ٢٢.
(٤) سورة السجدة آية رقم ٢٤.
(٥) سورة المائدة آية رقم ٦٣.
(٦) سورة البقرة آية رقم ١٧٨.
(٧) سورة البقرة آية رقم ١٧٩.
(٨) سورة الاسراء آية رقم ٣٣.
(٩) سورة النور آية رقم ٧.
(١٠) سورة النور آية رقم ٤.
(١١) سورة المائدة آية رقم ٣٨.
(١٢) سورة المائدة آية رقم ٣٣.

كَافَّةً﴾[1]، وقال: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾[2] . في آي كثير من كتاب اللّه عزّ وجلّ، يأمر فيها بإقامة الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر بحدوده التي عرفها في كتابه عزّ وجلّ، على لسان نبيه صلّى اللّه عليه وسلّم، ولو لم يأمر اللّه عباده بحسن نظره لهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لم يكن للحق قوام، ولا للإسلام نظام، وكان الشيطان وأولياؤه هم الغالبون على عباد اللّه وبلاده، ولكنَّ اللّه بتفضيله، ورأفته ورحمته بين الحدود، والأحكام، والقصاص، وشرع الدين وبعث محمداً صلّى اللّه عليه وسلّم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾[3] فقام رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم بأمر اللّه ﴿وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُّنِيراً﴾[4] آخذاً فوق يد الظالم، مانعاً للغشوم لئلا يظهر الفساد في بلاد اللّه بين عباده، وقد قال اللّه عزّ وجلّ: ﴿وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾[5] وقال: ﴿واللّه لا يحب المفسدين﴾[6]، فلم يزل ذلك من فعل رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم قائماً بدين اللّه، مانعاً لأهل الباطل عن الفساد في بلاد اللّه، وعباده، ودينه حتى قبضه اللّه إليه وهو عنه راض، والأمة راضية، وحاش اللّه أن يكون يأخذ رسوله على غرة من أمره، فيدع خلقه في شبهة من دينه، بل قد أقام اللّه تعالى رسوله عليه السلام بين أظهرهم حتى وسم لهم معالم دينهم الذي ارتضاه لهم، وحتى أوصى كبيرهم بصغيرهم، وقويهم بضعيفهم، ومالكهم بمملوكهم، ثمّ قبضة اللّه صلوات اللّه عليه ورحمته وبركاته فخلف

---

(١) سورة التوبة آية رقم ٣٦.

(٢) سورة التوبة آية رقم ٢٩.

(٣) سورة التوبة آية رقم ٣٣.

(٤) سورة الأحزاب آية رقم ٤٦.

(٥) سورة البقرة آية رقم ٢٠٥.

(٦) سورة المائدة آية رقم ٦٤.

فيهم خليفة ليقوم لأمته من بعده بالقسط فيما بينهم، متبعاً لسنته، مقتفياً لأثره، فلم يأل للإسلام نصحاً، ولا لدين اللّه نصراً، ولذلك أمره رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم لما ضعف عن الصلاة بالمسلمين أن يقوم لهم مقامه الذي لا يقوم فيه أحد غيره، فقال مروا أبا بكر فليصل بالناس، فقال بعض أزواجه يا رسول اللّه إنَّ أبا بكر رجل رقيق، ضعيف الصوت، كثير البكاء إذا قرأ القرآن، وقام في مقامك فقال عليه السلام مروا أبا بكر فليصل بالناس ثمّ أعيد عليه صلّى اللّه عليه وسلّم بمثل المقالة الأولى في أبي بكر حتى قال عليه السلام: انكن صواحب يوسف فمروا أبا بكر فليصل بالناس[1].

وحدث جماعة من أهل النقل أنَّ عمر قام إذ ذاك مصلياً بالناس وكان أبو بكر غائباً فلما كبر سمع رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم صوته فقال عليه السلام أين أبو بكر يأبى اللّه ذلك والمسلمون، يأبى اللّه ذلك والمسلمون يأبى اللّه ذلك والمسلمون[2] فبعث إلى أبي بكر فجأة بعد أن صلّى عمر تلك الصلاة

---

(١) الحديث رواه الإمام البخاري في كتاب الأنبياء ١٩ باب ٣٣٨٤ عن سعد بن إبراهيم قال: سمعت عروة بن الزبير عن عائشة ـ رضي اللّه عنها أنَّ النبيّ ـ صلّى اللّه عليه وسلّم قال لها: وذكره.
ورواه الترمذي في كتاب المناقب ٣٦٧٢ بسنده عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أنَّ النبيّ ـ صلّى اللّه عليه وسلّم ـ قال وذكره وفيه زيادة. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.
ورواه صاحب الموطأ في كتاب قصر الصلاة في السفر ٢٤ باب جامع الصلاة ٨٣ ـ وحدثني عن مالك عن هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة زوج النبيّ ـ صلّى اللّه عليه وسلّم ـ وذكره.
وأخرجه الدارمي في المقدمة ١٤ وأحمد بن حنبل في المسند ٦: ٩٦، ١٠٩ (حلبي).

(٢) الحديث رواه ابن سعد في طبقاته ٢: ٢٢٠ ـ أخبرنا محمد بن عمر حدثني محمد بن عبداللّه عن الزهري عن عبد الملك بن أبي بكر عن عبد الرحمن عن أبيه عن عبداللّه بن زمعة بن الأسود قال: عدت رسول اللّه ـ صلّى اللّه عليه وسلّم ـ في مرضه الذي توفي فيه فجاءه بلال يؤذنه بالصلاة فقال لي رسول اللّه ـ صلّى اللّه عليه وسلّم مُر الناس فليصلوا قال عبداللّه فخرجت فلقيت ناساً لا أكلمهم فلما لقيت عمر بن الخطاب لم أبغ من وراءه وكان أبو بكر غائباً فقلت له صل بالناس يا عمر فقام عمر في المقام وكان عمر رجلاً مجهراً فلما كبر سمع رسول اللّه ـ صلّى اللّه عليه وسلّم ـ صوته فقال عليه السلام وذكره.
وأخرجه مرة ثانية حدثني أبو بكر بن عبداللّه بن أبي سبرة عن محمد بن عبداللّه بن أبي صعصعة عن أبيه عن أبي سعيد الخدري قال: وذكره.

فصلّى بالناس، فقال عمر: واللّه ما رأيت حين قيل لي: صل بالناس إلاّ أنّ ذلك من رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم، فلولا ذلك ما صليت بالناس، وقال اللّه عزّ وجلّ: ﴿**وَمَا أَتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا**﴾[١]، وقد أخذ عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم أنّه قال (عمود الدين الصلاة[٢]) فلما أن ولاه صلّى اللّه عليه وسلّم الأمر الذي هو العمود، عرف المسلمون أن ما سوى العمود محمول على العمود، فلذلك اجتمعوا على بيعة أبي بكر وقد رأوا من صنيع رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم ومن قوله: يأبى اللّه ذلك والمسلمون، وقد علم صلّى اللّه عليه وسلّم أنّهم لا يجتمعون على خطأ، وقد قال ذلك في غير ما رواية: لن تجتمع امتي على ضلال[٣] وقد قال اللّه عزّ وجلّ ﴿**ولو ردوه إلى الرسول وإلى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ**﴾[٤] وقال: ﴿**يا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ، وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ**﴾[٥]، فأي بيان أبين بياناً، وأي دلالة أوضح دلالة مما ذكرنا على خلافة الصديق رضي اللّه عنه، وإثبات إمامته، قال اللّه عزّ وجلّ: ﴿**قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِن تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْراً حَسَناً، وإِن تَتَوَلَّوا كَمَا تَوَلَّيتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً**﴾[٦]، اتفق العلماء

---

(١) سورة الحشر آية رقم ٧.

(٢) سبق تخريج هذا الحديث وراجع الترمذي كتاب الإيمان ٨ باب ما جاء في حرمة الصلاة ٢٦١٦ وأحمد بن حنبل في المسند ٥: ٢٣١ (حلبي).

(٣) الحديث رواه ابن ماجه في كتاب الفتن ٣٩٥٠ بسنده ثنا الوليد بن مسلم، ثنا معان بن رفاعة السّلامي، حدثني أبو خلف الأعمى، قال: سمعت أنس بن مالك يقول: سمعت رسول اللّه ـ صلّى اللّه عليه وسلّم ـ يقول: وذكره.

في الزوائد: في إسناده أبو خلف الأعجمي واسمه حازم بن عطاء وهو ضعيف، وقد جاء الحديث بطرق في كلها نظر. قاله الشيخ الحافظ العراقي في تخريج أحاديث البيضاوي.

(٤) سورة النساء آية رقم ٨٣.

(٥) سورة النساء آية رقم ٥٩.

(٦) سورة الفتح آية رقم ١٦.

على أنّهم بنو حنيفة[1] وأنّ الداعي إلى قتالهم الصديق رضي اللّه عنه فدل بقوله: ﴿فإن تطيعوا يؤتكم اللّه أجراً حسناً﴾ على وجوب طاعة الداعي لهم إنْ تولوا عن طاعة الداعي عذبوا عذاباً أليماً، فإن قال قائل: لعل الداعي للمخلفين من الأعراب كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم، قيل له: فأين قول اللّه لنبيه عليه السلام ﴿فَقُلْ لَّن تَخْرُجُوا مَعَيِ أَبَداً وَلَن تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوّاً﴾[2]، وقوله: ﴿سيقول المخلفون إذا انطلقتم إلى مغانم لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلاَمَ اللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِن قَبْلُ﴾[3]، ثمّ قال على أثر هذا: ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُوْلِيَ بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾[4] الآية وهذا مما لا يقدر محرف على أن يتأول فيه بغير ما قلنا إن شاء اللّه.

ويقال للزيدية في قولهم بالأولى: أخبرونا عن الأمة هل كانت عندكم مجتمعة على الجهالة بالأولى؟ قالوا لم تكن الأمة لتجهل ذلك، وإنما فعلوا ما فعلوا لتسليم علي لأبي بكر في حقه، ولذي الحق أن يدع حقه إذا شاء عند جميع الناس، قيل لهم: ومن أين ساغ لكم أنّ علياً أولى بالإمامة، وأنّ حقه فيها دون غيره ثابت وأنتم في ذلك مصوبون للأمة ما فعلت، وليسوا عندكم

---

(١) قال العلماء في ذلك ستة أقوال.
أحدها: أنّهم فارس رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس وبه قال عطاء بن أبي رباح وعطاء الخراساني، وابن أبي ليلى، وابن جريج.
الثاني: فارس والروم قاله الحسن، ورواه ابن أبي نجيح عن مجاهد.
الثالث: أنّهم أهل الأوثان. رواه ليث عن مجاهد.
الرابع: أنّهم الروم قاله كعب.
الخامس: أنّهم هوازن وغطفان وذلك يوم حنين قاله سعيد بن جبير.
السادس: بنو حنيفة يوم اليمامة، وهم أصحاب مسيلمة الكذاب قاله الزهري، وابن السائب ومقاتل.
راجع زاد المسير ٧: ٤٣١.

(٢) سورة التوبة آية رقم ٨٣.

(٣) سورة الفتح آية رقم ١٥.

(٤) سورة الفتح آية رقم ١٦.

فيه بمخطئين؟ فقالوا من قبل ما اجتمع في علي من الخلال ولم تجتمع لغيره، قيل لهم فعن نفس أجبتم سئلتم، فمتى اجتمع لعلي من ذلك الذي زعمتم ما لم يجتمع لغيره، وعلي يقول: أفضل هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثمّ عمر، أو كنتم تخطئون الأمة فيما فعلوا من تولية الصديق، وتستجهلونهم على مثل مقالة الروافض، وإلاَّ فليس لكم بين المقالتين مقالة، إما أن تعتمدوا على مقالة الروافض بأنَّ الأمة قد كفرت، وارتدت، بعد نبيها، وارتد معها علي حين سلم الخلافة لأبي بكر، أو تقولوا بالذي قال به جماعة المسلمين بأنَّ الأمة مصيبة في تولية الصديق غير مخطئة، وإنَّ الصديق أولى بالإمامة من سائر المسلمين، وليس بين هذين المذهبين مذهب يتوهمه متوهم، أو يعتقد عليه معتقد، ويدخل عليهم في خلافة عمر رضي اللّه عنه ومن بعده ما أدخلناه عليهم في خلافة الصديق ولم يخف عن أحد من أهل العلم ما قد فعل عمر رضي اللّه عنه في أهل الشورى[1] لما طعن، ومقالته في أبي عبيدة[2] لما طعن، وسالم وأنَّ غير هذين لم ينزل منزلتهما في الثقة عند عمر رضي اللّه عنه، وما كان من فعل عبد الرحمن[3] وغيره من المسلمين بعدما قضى عمر رحمة اللّه عليه. وقد

---

(١) أهل الشورى هم: «عثمان، وعلي، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف، وطلحة بن عبيد اللّه، والزبير بن العوام».

(٢) هو عامر بن عبداللّه بن الجراح بن هلال الفهري القرشي، الأمير القائد، فاتح الديار الشامية، والصحابي، وأحد العشرة المبشرين بالجنة قال ابن عساكر: داهيتا قريش أبو بكر وأبو عبيدة، وكان لقبه أمين الأمة، ولد بمكة ـ عام ٤٠ ق هـ وهو من السابقين إلى الإسلام، وشهد المشاهد كلها، وولاه عمر قيادة الجيش الزاحف إلى الشام بعد خالد بن الوليد توفي بطاعون عمواسي ودفن في غور بيسان عام ١٨ هـ له في كتب الحديث ١٤ حديثاً كان خفيف العارضين أثرم الثنيتين (انتزع بأسنانه نصلاً من جبهة النبيّ ـ صلّى اللّه عليه وسلّم ـ يوم أحد فهتم وفي الحديث: لكل نبي أمين وأميني أبو عبيدة بن الجراح. راجع طبقات ابن سعد والإصابة وحلية ١: ١٠٠ والبدء والتاريخ ٥: ٨٧ وصفة الصفوة ١: ١٤٢ وتاريخ الخميس ٢: ٢٤٤.
والكلمة التي قالها عمر: «لو كان أبو عبيدة حياً استخلفته، ولو كان سالم مولى أبو حذيفة حياً لاستخلفته».

(٣) هو عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث أبو محمد الزهري القرشي صحابي من أكابرهم، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورى الذين جعل عمر الخلافة =

علم جميع الناس من الوافر والناقص، أنَّ علياً قد كان مبايعاً لكل من تولى من الأيمة، ولا ينكر ذلك إلاَّ مباهت، متجاحد، وفي هذا حجج كثيرة معروفة تركناها لما نبهت عليها. وإنما هذا من الرموز على الزيدية خاصة لأنَّهم يتعاطون المناظرة، ومضاهاة الأباضية في مذاهبهم، فلست أعلم لهم خلافاً إلاَّ في ثلاثة أمور: قولهم في الإمامة بالأولى مع تركهم التخطئة، لكل من ولي، ثمّ تجويزهم لعلي تحكيم الحكمين، وقولهم بتشريك أهل التأويل ممن يزعم أنَّ اللّه يرى يوم القيامة، على مقالة طائفة من الأباضية في التشريك، ولا غنى عن تلويحات في ذلك عند خاتمة الكتاب إن شاء اللّه، وليست البغية منا لغير الزيدية من غالية الرافضة المتظاهرة على خلاف كتاب اللّه، المعلنة للفرية على اللّه، لما جاوزت مذاهبهم نص كل كتاب، وفاقت بدعتهم رد كل سنة، وعدت ضلالتهم كل إجماع، فلذلك نكبت عن ذكر مقالتهم في كل باب جانباً وتجافيت عن الرد عليهم لما كانوا هكذا، وسموا رافضة لرفضهم زيد بن علي ابن الحسين بن علي بن أبي طالب[1]، وقيل للشيعة زيدية ورافضة.

وأمّا الذي قالت به النجدات[2] من الخوارج بأن الناس لا يحتاجون

=` فيهم، وأحد السابقين إلى الإسلام ـ اسمه في الجاهلية عبد الكعبة أو عبد عمرو وسماه رسول اللّه ـ صلّى اللّه عليه وسلّم ـ عبد الرحمن ولد عام ٤٤ ق هـ بعد الفيل بعشر سنوات، وأسلم وشهد بدراً وأحداً والمشاهد كلها، واعتق في يوم واحد ثلاثين عبداً، وكان يحترف التجارة له ٦٥ حديثاً ووفاته بالمدينة عام ٣٢ هـ. راجع صفة الصفوة ١: ١٣٥ وحلية الأولياء ١: ٩٨ وتاريخ الخميس ٢: ٢٥٧ والبدء والتاريخ ٥: ٨٦.

(١) هو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب ولد عام ٢٣ ق.هـ وتوفي عام ٤٠ هـ. راجع ابن الأثير حوادث سنة ٤٠ والطبري ٦: ٨٣ والبدء والتاريخ ٥: ٧٣ وصفة الصفوة: ١: ١١٨ واليعقوبي ٢: ١٥٤ ومقاتل الطالبيين ١٤.

(٢) هم أتباع نجدة بن عامر الحنفي وافترقوا ثلاث فرق، فرقة صارت مع عطية بن الأسود الحنفي، وفرقة صارت مع أبي فُديك حرباً على نجدة، وهم الذين قتلوا نجدة.
وفرقة عذروا نجدة في أحداثه وأقاموا على إمامته. ومن ضلالات نجدة، أنه أسقط حد الخمر، ومنها أيضاً أنه قال: مَن نظر نظرة صغيرة، أو كذب كذبة صغيرة فهو مشرك إلى غير ذلك. راجع الفرق بين الفرق ٨٧ ومقالات الإسلاميين ١٦٢:١ والتبصير ص ٣٠ والملل والنحل للشهرستاني ١٢٢:١ وخطط المقريزي ٣٥٤:٢.

إلى إمام، وإنما عليهم أن يقيموا كتاب الله فيما بينهم فليس ذلك من قولهم بشيء ولو جامعهم عليه ناس من الأباضية لما كان الذي ذهبوا إليه من ذلك داعياً إلى السائبة في دين الله، والتعطيل لحدود الله، وتضييع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد فرض الله عزّ وجلّ أن يؤمر بالمعروف وينهى عن المنكر وأن تقام حدود الله على ما بينها في كتابه وفصلها، كما قدّمنا ذكر ذلك في أول هذا الباب، واجتمعت الأمة أن هذه الحدود مع وجوبها لا تقام ولا توجد إلاّ بالأئمة، وولاتهم وفي إبطال الإمامة وإزالة فرضها إبطال إقامة الحدود[1]، والأحكام، وإزالة فرضها على المسلمين، والقول بإضاعتها، فبأي حجة أزيلت الحدود عمّن استحقها من السراق والزناة والقذفة بعد إيجاب الله إيّاها عليهم؟ فلمّا كان من إجماعهم ما وصفنا، ثبت أن عقد الإمامة على المسلمين فرض واجب، وحق لازم ولما كانت الفروض التي ذكرناها منوطة بالإمامة ألاّ تقام إلاّ معها، فكل ما كان من الفرض لا يتم إلاّ به فهو فرض مثله، والأمة لا تجتمع على شيء ثم تختلف فيه.

وبعد فكيف يتكلّف المسلمون بعد نبيّ الله عليه السلام من أمر الإمامة ما قد تكلّفوا وهي عندهم ليست من الواجب، وفي الذي ذكرنا من خلافة أبي بكر على لسان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وسمي بذلك خليفة رسول الله وما جدد له المسلمون منه فساد ما ذهب إليه من زعم أن الإمامة ليست

---

(١) الحد: الحاجز بين الشيئين الذي يمنع اختلاط أحدهما بالآخر يقال: حددت كذا جعلت له حداً يميّزه. والحدود جاء في القرآن على سبعة أوجه: الأول حد الاعتكاف لإخلاص العبادة قال تعالى: ﴿وأنتم عاكفون في المساجد تلك حدود الله﴾ البقرة آية ١٨٧. الثاني: حد الخلع لبيان الفدية قال تعالى: ﴿فيما افتدت به تلك حدود الله﴾. سورة البقرة آية ٢٢٩ الثالث: حد الطلاق لبيان الرجعة ﴿وتلك حدود الله يبيّنها لقوم يعلمون﴾. سورة البقرة آية ٢٣٠ الرابع: حد العدة لمنع الضرار وبيان المدة. الخامس حد الميزان لبيان القسمة قال تعالى: ﴿ومَن يعصِ الله ورسوله ويتعدّ حدوده﴾. سورة النساء آية ١٤. السادس: حد الظهار لبيان الكفارة قال تعالى: ﴿فمَن لم يستطيع فإطعام ستين مسكيناً﴾. إلى قوله تعالى: ﴿وتلك حدود الله﴾ سورة المجادلة آية ٤ السابع: حد الطلاق لبيان مدة العدة قال تعالى: ﴿لا تخرجوهن من بيوتهن﴾ إلى قوله ﴿وتلك حدود الله﴾ سورة الطلاق آية ١.

بواجبة مع ما كان من استخلاف أبي بكر لعمر رضي الله عنهما، وإن عمر لّما احتضر جعلها شورى بين رهط[1] ستة وأوصى بأنهم إذا اجتمعوا على شيء من أمر الإمامة فخالفهم فيه مخالف، أن يقتلوا مخالفهم، فكيف يكون عمر رضي الله عنه في علمه بالله وبدينه يأمر بأن تهرق دماء المسلمين على أمر يستوي تركه وفعله؟ ومثل هذا من قول عمر رضي الله عنه يحفظ عن مسلم ابن أبي كريمة أبي عبيدة[2] رحمة الله عليه أنه قال في شأن الإمامة للرهط الناهضين من عنده إلى جهة المغرب إذا رأوا أنهم يقدرون على أمور الإمامة أن يولوا أحدهم فإن هو استعصى عليهم وامتنع، أمرهم أبو عبيدة بأن يقتلوه، ومثل هذه من الآثار محفوظة عند أصحابنا موجودة في أيديهم يأثرونها كابر عن كابر فيها سادوا من سواهم من طوائف الإباضية وغلبوهم والحمد لله على ذلك كثيراً.

فإن سأل سائل فقال: ما حد ما به تجب الإمامة عندكم؟ وما المقدار الذي إذا هو استجمع للمسلمين كان واجباً عليهم أن يولوا؟ قيل له: إذا كان المسلمون ذوي عدة وقوة في المال والعلم بدين الله، وإقامة أمره وحدوده،

---

(١) سبق الحديث عنهم ويراجع في ذلك طبقات ابن سعد فقد ذكر فيه طعن أبو لؤلؤة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وكيف أنه دعا ستة نفر وجعلهم مجلس الشورى لاختيار الخليفة من بعده ثمّ أمر صهيباً أن يصلي بالناس. طبقات ابن سعد ٣٤٠:٣.

(٢) هو مسلم بن أبي كريمة التميمي بالولاء البصري، أبو عبيدة: فقيه من علماء الأباضية. أخذ المذهب عن جابر بن زيد ثم صار مرجعاً فيه تشد إليه الرحال، وكان أعور ويقال له القفاف. وكان يحرض على الخروج وذكر شخصاً فقال: إن أراد الدين كما يزعم فليلحق بصاحبنا بحضرموت عبدالله بن يحيى فليقاتل بين يديه حتى يموت وقيل له ما يمنعك من الخروج ولو خرجت ما تخلف عنك أحد..؟ فقال: ما أحب ذلك، ولو أني فعلت ما أحببت أن أقيم بين الظهر والعصر مخافة الأحكام توفي عام ١٤٥ هـ وله رسالة تسمى (الزكاة) طـ وزارة التراث القومي والثقافة بعمان. راجع سلم العامة والمبتدئين ٦ وحاشية الجامع الصحيح للسالمي ٦:١ والسير للشماخي ٨٣ ولسان الميزان ٣٢:٦ ويقول محمد علي ديوز في كتابه المغرب الكبير ١٥٠:٣ - ١٥٣ كان أبو عبيدة زنجياً أسود اللون، أعور فقيراً وكان يقتات بعمل السعف يصنع منه قفافاً فلقب بالقفاف، ولكنه كان سيّد البيض بعلمه وعقله وفقهه. هامش كتاب إزالة الوعثاء عن أتباع أبي الشعثاء ص ٣٣.

مكتفون بما معهم من المال والعلم لما يأتي عليهم من حوادث الأمور، ويغشاهم من متشابه النوازل، وصاروا مع ذلك بالعدة في النصف لمن يليهم من أعدائهم الذين يتقون شوكتهم، كان الواجب عليهم أن يختاروا من أفاضلهم إماماً يقيم لهم شأن دينهم الذي افترضه الله عليهم، ويعدل بينهم في الحكومة، ويقسم بينهم بالسوية، لا يألو الله نصحاً، ولا لدينه نصراً، متبعاً لآثار السلف، مقتفياً لأعلام الخلف، فإذا كان الإمام بما وصفنا من هذه الحال، كان الواجب على المسلمين كافة من حاضرهم وباديهم، وقريبهم وبعيدهم، أن يؤدوا له حقوقه التي جعلها الله لأئمة المسلمين على عامتهم، من الولاية له والنصر والإجابة في كل ما دعا إليه من أمر الله، فمَن تخلّف منهم عن إجابة دعوته أو ضيع من واجب حقه، أو تهاون بشيء من طاعته، كان عاصياً لله مخالفاً لأمره، قال الله عزّ وجلّ: ﴿**أَطِيعُوا اللَّهَ، وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ**﴾[1] فقرن طاعة الأئمة بطاعته عزّ وجلّ، وبطاعة رسوله صلّى الله عليه وسلّم، ثم قال: ﴿**فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾[2]، فإن قال أرأيت إذا كان المسلمون بالحال التي وصفت من العدد والعدة وغيرهما من الشروط التي عددت كلّها، ثمّ هم لم يفعلوا ما ذكرت من عقد الإمامة، قيل له: فإذن كانوا يكونون مميتين لدين الله، مذلين له، وهم قادرون على إعزازه راضين بالدنية لأنفسهم في دينهم، ولن يرضى الله بأن يميتوا دينه مع القدرة منهم على إحيائه، قال الله عزّ وجلّ: ﴿**فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ**﴾[3] وهؤلاء قد تركوا أن يتقوا الله مع أنهم قد استطاعوا، فإن قال: أرأيت إن كان المسلمون بحال دون الحال التي وصفت من القوة مع أنهم على ذلك تكلّفوا أمر الإمامة فعقدوها؟ هل كانوا يكونون مطيعين لله في فعلهم لذلك أم لا؟ قيل له: كان يكون المسلمون حينئذ مطيعين بفعل ما لم يجب عليهم، ولم

(١) سورة النساء آية رقم ٥٩.

(٢) سورة النور آية رقم ٦٣.

(٣) سورة التغابن آية رقم ١٦.

يلزمهم، قال الله عزّ وجلّ: ﴿فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ﴾[1] غير أن وجوب الإمامة إنما يلزمهم بالذي وصفنا من حال القوة في العدة والعدد والمال والعلم، قال الله عزّ وجلّ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤمِنينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتينْ﴾[2] الآية، وهذا عند العلماء في صدر الإسلام، والمسلمون إذ ذاك في عدة قليلة، فلمّا أن فتح الله على رسوله، وأظهره الله على دينه، نقلهم إلى الرخصة والتخفيف، وقال: ﴿الآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفَاً فَإِنْ يَكُنْ مِّنْكُمْ مِّئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَينْ﴾[3] الآية فإذا كان المسلمون لم يبلغوا من عدد عدوهم في النصف، وليست لهم مقدرة بأمر الإمامة كان أحب الأمور إلى العلماء وأولاها أن يقيم المسلمون على ما هم عليه من حال الكتمان فكان ذلك واسعاً لهم إلاّ أن يجعلوها حال الشراء، والشراء من أحبّ الأمور إلى الله عزّ وجلّ وإلى المسلمين إن لم يكونوا يقدرون على الظهور والدولة، وهي أقرب المسالك إلى الظهور، غير أن علماءنا لم يجعلوا حال الشراء في الوجوب والفرض، كحال الظهور والدولة، فمَن شاء فليشر نفسه ابتغاء مرضاة الله، ومَن شاء أقدم مكتتماً بين ظهراني قومه، هذه سيرة المسلمين لم ينقسم فيها خارجهم من مقيمهم، ولا مقيمهم من خارجهم وليس الأمر في ذلك على ما ذهبت إليه غالية الخوارج أن المسلمين لا تسعهم الإقامة مع الجبابرة في الكتمان مقدرين أو غير مقدرين قال الله عزّ وجلّ: ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إلاَّ وُسْعَها﴾[4] وقد أقام رسول الله صلّى الله عليه وسلّم برهة من الزمان بمكة بعدما نزل عليه الوحي مكتتماً غير ظاهر.

---

(١) سورة البقرة آية رقم ١٨٤.

(٢) سورة الأنفال آية رقم ٦٥.

(٣) سورة الأنفال آية رقم ٦٦ وقد جاءت الآية محرّفة في المطبوعة حيث جاءت (تكن) بدلاً من (يكن).

(٤) سورة البقرة آية رقم ٢٨٦.

باب النقض على المعتزلة:

قالت المعتزلة بتحريم دم عثمان[١]، ودم أهل الدار وأنها دم سفكت عندهم حراماً على ظلم وعدوان، ثم قالوا في حرب طلحة[٢] والزبير[٣] في أهل البصرة أن حربها لعلي كان خطأ، على أن طلحة والزبير وأهل البصرة إنما قاموا وحاربوا على الطلب بدم عثمان وزعموا أن فعلها في الحرب وسفكها الدماء الحرام كان خطأ بتأويل دون فسق، وليس عندهم كبيرة مع أن المعتزلة ممن يثبت الوعيد ويقول به في أهل الملة، وإن سفك الدماء الحرام عندهم من الكبائر لقول الله عزّ وجلّ: ﴿**وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً**﴾[٤]، وزعموا أنها عامة في كل القاتلين ما خلا ما كان من طلحة والزبير في فعلهما، ثم قالوا في حرب معاوية بن أبي سفيان[٥] وأهل الشام وقتالهم علياً أن ذلك من معاوية

---

(١) هو عثمان بن عفان بن أبي العاص، أمير المؤمنين، ذو النورين ثالث الخلفاء الراشدين. ولد عام ٤٧ ق هـ وتوفي عام ٣٥ هـ. راجع ابن الأثير حوادث سنة ٣٥ وغاية النهاية ١:٥٠٧ وشرح نهج البلاغة ٢:٦١ واليعقوبي ٢:٢٣٩ وحلية الأولياء ١:٥٥.

(٢) هو طلحة بن عبيدالله بن عثمان أبو محمد، صحابي شجاع من الأجواد، وهو أحد العشرة المبشرين، وأحد الستة أصحاب الشورى، وأحد الثمانية السابقين إلى الإسلام ولد عام ٢٨ ق هـ وتوفي عام ٣٦هـ. راجع ابن سعد ٣:١٥٢ وتهذيب التهذيب ٥:٢٠ والبدء والتاريخ ٥:٨٣ والجمع بين رجال الصحيحين ٢٣٠ وتهذيب ابن عساكر ٧:٧١.

(٣) هو الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي أبو عبدالله الصحابي الشجاع أحد العشرة المبشرين بالجنة وأول من سلّ سيفه في الاسلام وهو ابن عمة الرسول - صلّى الله عليه وسلّم - ولد عام ٣٨ ق هـ وتوفي عام ٣٦هـ.

راجع تهذيب ابن عساكر ٥:٣٥٥ وصفة الصفوة ١:١٣٢ وحلية الأولياء ١:٨٩ وتاريخ الخميس ١:١٧٢ وفيه كان له ألف مملوك يؤدون الضريبة لا يدخل بيت ماله منها درهم يتصدق بها».

(٤) سورة النساء آية رقم ٩٣.

(٥) هو معاوية بن أبي سفيان، صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس، مؤسس الدولة الأموية في الشام. ولد بمكة ٢٠ ق هـ وتعلّم الكتابة والحساب. تولى الخلافة سنة ٤١هـ. مات في دمشق عام ٦٠هـ. له ١٣٠ حديثاً اتفق البخاري ومسلم على أربعة منها، وانفرد البخاري بأربعة، ومسلم بخمسة. راجع ابن الأثير ٤:٢، والطبري ٦:١٨٠، ومنهاج السنة ٢:٢٠١ - ٢٢٦، واليعقوبي ٢:١٩٢، والخميس ٢:٢٩١ - ٢٩٦.

وأهل الشام كان ظلماً وعدواناً، وفسقاً وضـلالاً والوعيـد من الله لهم عليه واجب على أنهم طالبون دم عثمان الذي هو مقتول عند المعتزلة، وهو مظلوم، تأملوا هذه الأربعة الأقاويل من المعتزلة فإن في تأملها، والكشف عن عوارها، قناعة عن الرد عليهم وكفاية، ومع هذا كله يقال لهم: في دم عثمان أخبرونا عن قتلة عثمان؟ أليسوا عندكم ظالمين معتدين فمن قولهم: بلى يقال لهم: فما تقولون في بيعة المسلمين لعلي بن أبي طالب بعـد مقتل عثـمان؟ أليس هي عنـدكم بيعة حق، وإمـامة صـدق؟ فمن قولهم: بـلى قيل لهم: فكيف بـايع المسلمون علياً، وهو قد آوى قتلة عثمان ولم يقدهم بعثمان؟ وعثمان قتل مظلوماً عنـد المسلمين في زعمكم والمشهـور عن محمد بن أبي[1] بكـر أنه القـاتل والأشتر[2] وجماعتهم وكان هؤلاء من أخص الناس بعلي أرأيتم مَن آوى أبا لؤلؤة قاتل عمر رضي الله عنه أليس كان يكون مَن آواه من أفسق الفساق، وأعظمهم فجوراً؟ وكيف يكون من فعل ذلك والياً على المسلمين وإماماً لهم في دينهم؟ ففي الذي ذكرنا من بيعة المسلمين لعلي وهـو قد آوى قتلة عثـمان وضمهم دلالة واضحة أن علياً كان ممن رضي بقتل عثمان، وسفك دمه، مع ما اشتهر من قول علي: (مَن كان سائلاً عن دم عثمان فإن الله قتله وأنا معه)[3]

---

(١) هو محمد بن أبي بكر الصديق، أمه أسماء بنت عميس الخثعمية ولد عام حجة الوداع، ثم كان في حجر علي بن أبي طالب إذ تزوج أمه أسماء، وكانت على الرحالة يوم الجمل، وشهد معه صفين ثم ولاّه مصر فقتل بها قتله معاوية بن خديج صبراً وذلك في سنة ٣٨هـ وكان ممن حضر قتل عثمان وقيل إنه شارك في دمه وقيل لما قال له عثمان: لو رآك أبوك لم يرض منك هذا المقام. خرج عنه وتركه ثم دخل عليه مَن قتله. راجع الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٣:١٣٦٦ ـ ١٣٦٧.

(٢) هو مالك بن الحارث بن عبد يغوث النخعي المعروف بالأشتر أمير من كبار الشجعان كان رئيس قومه، أدرك الجاهلية وأول ما عرف عنه أنه حضر خطبة عمر في الجابية وسكن الكوفة وشهد اليرموك وذهبت عينه فيها وكان ممن ألّب على عثمان وحضر حصره في المدينة، وشهد موقعة الجمل وأيام صفين مع علي وولاه على مصر فقصدها فمات في الطريق عام ٣٧هـ. راجع الإصابة ت ٨٣٤٣ والتبريزي ١:٧٥ ودائرة المعارف الإسلامية ٢:٢١٠.

(٣) يقول ابن السيد البطليوسي ت ٥٢١هـ إن الله قتله وسيقتلني معه وقال: إن الخوارج تأولته على أنه عطف على الضمير الفاعلي في قوله قتلته ويرى أن الضمير المعطوف عليه هو الضمير المفعول في قوله =

فإن قال قائل إنما أراد علي بقوله: إن الله قتل عثمان وإنه سيقتله هو، وروي ذلك عن محمد بن سيرين[1] قيل له لو أراد علي هذا المعنى لقال: إن الله قتله وإياي، وهكذا يصح القول بهذا المعنى فإن زعموا أن قتلة عثمان ومحاصريه والمتمالين عليه قد تابوا جميعاً عند علي، قيل له فمتى ظهرت عن محمد بن أبي بكر والأشتر وجماعته توبة؟ ومتى ذكر ذلك في شيء من الأخبار؟ وأي توبة نقلت عن المصريين الذين كانوا حاصروا عثمان ونسب قتله إليهم، وهم الذين دخلوا عليه الدار مثل كنانة بن بشر[2] ومَن كان معه، وقد كانوا بعد ذلك مع علي، وكان بعضهم ولاة له فإن قال ليس يصحح قتل عثمان على رجل لاختلاف الأخبار في ذلك ولأنهم لم يجمعوا على رجل بعينه يقول أنا قاتل عثمان، قيل لهم: أوليس بالمحفوظ عن أصحاب النقل أن أول ما خاطب به علي أهل الشام حين اجتمعوا بصفين[3] ورأوا هلال صفر، فنادى مناد أن أمير المؤمنين، وأصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقولون لم يمنعنا من قتالكم يا أعداء الله إلاّ الشهر الحرام، وأنه قد انسلخ، وأنا قد نابذناكم على سواء

= قتله لا الفاعل: راجع كتاب الإنصاف في التنبيه على الأسباب التي أوجبت الاختلاف بين المسلمين وآرائهم ص ٢٤.

(١) هو محمد بن سيرين البصري، الأنصاري أبو بكر: إمام وقته في علوم الدين بالبصرة. تابعي من أشراف الكتاب مولده في البصرة عام ٣٣هـ ٦٥٣م ووفاته بها عام ١١٠هـ ٧٢٩م نشأ بزازاً في أذنه صمم وتفقه وروى الحديث واشتهر بالورع وتعبير الرؤيا واستكتبه أنس بن مالك بفارس، وكان أبوه مولى لأنس ينسب له كتاب «تعبير الرؤيا». راجع تهذيب التهذيب ٩:٢١٤ ووفيات الأعيان ١:٤٥٣ وحلية الأولياء ٢:٢٦٣ ودائرة المعارف الإسلامية ١:٢٠٢.

(٢) هو كنانة بن بشر التجيبي: ثائر. كان من رؤساء الجيش الذي زحف من مصر لخلع عثمان ـ رضي الله عنه ـ أيام الفتنة في المدينة وشارك في مقتله، وطلبه معاوية بن أبي سفيان بدم عثمان فقبض عليه بمصر مع ابن حذيفة وابن عديس، وسجنهم في لد «بفلسطين» فهربوا فأدركهم والي فلسطين فقتلهم عام ٣٦هـ. راجع الإصابة ت ٧٥٠٤.

(٣) صِفِّين: بكسرتين وتشديد الفاء ـ موضع بقرب الرقة وبالس ـ وكانت وقعة صفين بين علي ـ رضي الله عنه ـ ومعاوية في سنة ٣٧ صفر وقتل في الحرب بينهما سبعون ألفاً وقتل مع علي خمسة وعشرون صحابياً بدرياً منهم عمار بن ياسر الذي قال عنه الرسول ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ «عمّار تقتلك الفئة الباغية». راجع البداية والنهاية لابن كثيّر ٧:٢٥٣ ـ ٢٥٤ ومعجم البلدان ٣:٤١٤ ـ ٤١٥.

﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الخَائِنِينَ﴾[1]، ثم قال علي لأصحابه مهلاً مهلاً عباد الله، حتى تتبينوا ما نقمتم عليهم وعلام تقاتلونهم، وانطلق نفر من أصحاب علي فدعوهم إلى كتاب الله وسنّة نبيّه صلّى الله عليه وسلّم فقال أهل الشام ما بيننا وبينكم مناظرة في كتاب الله ولا في سنّة نبيّه صلّى الله عليه وسلّم دون أن تدفعوا لنا قتلة عثمان، فإذا نحن قتلناهم كانت المناظرة بيننا وبينكم، فردّ عليهم علي بأن قال لهم فأنا نعرض نحن وأنتم أعمال عثمان على كتاب الله وسنّة نبيّه، فإن حلّ لنا دمه تبتم من ولايته، وإن حرّم علينا دمه دفعنا إليكم قاتله، وتبنا إلى الله، من البراءة منه، والرضا بقتله، ومَن نقل آخر أن المسلمين لّما أتاهم أبو الدرداء[2] وأصحابه، طالبين للمهادنة بين الفئتين، وذكروا قتلة عثمان فابتدرهم جماعة من المسلمين عند علي وكل يقول نحن قتلناه ومثل هذا أكثر من أن يحصى، وأشهر من أن ينكر، مع ما اشتهر من كثرة أحداث عثمان وأفعاله التي كان يتوب منها في كل حين للمسلمين، ثم هو يعود إليها، وإلى أشدّ منها، حتى كان منهم إليه ما قد كان، وإنما قصدت إلى الاستشهاد ببيعة المسلمين لعلي مع قتلهم لعثمان لأنه مما لا يجد فيه أحد من المعتزلة، أو غيرهم متعلقاً وهم يثبتون بيعتهم لعلي أنها كانت على حق وصواب، وأمّا الذي قالت به المعتزلة من طلب المخرج لطلحة[3]، والزبير[4]، وبسط المعذرة لهما فيما أتيا فإنه يقال لهم: ما العلة التي بها ومن أجلها فسقتم معاوية وعمراً وأهل الشام،

---

(١) سورة الأنفال آية رقم ٥٨.

(٢) يقول ابن كثيّر: وخرج أبو الدرداء وأبو إمامة فدخلا على معاوية فقالا له: يا معاوية على ما تقاتل هذا الرجل...؟ فوالله إنه أقدم منك ومن أبيك إسلاماً وأقرب منك إلى رسول الله-صلّى الله عليه وسلّم- وأحق بهذا الأمر منك. فقال: أقاتله على دم عثمان وأنه آوى قتلته، فاذهبا إليه فقولا له فليقدنا من قتلة عثمان ثم أنا أول مَن بايعه من أهل الشام. فذهبا إلى علي فقالا له ذلك. فقال: هؤلاء الذين تريان فخرج خلق كثير فقالوا: كلّنا قتلة عثمان فمَن شاء فليرمنا. قال: فرجع أبو الدرداء وأبو إمامة فلم يشهدا لهم حرباً. راجع البداية والنهاية ٧:٢٦٠.

(٣) سبقت الترجمة له قريباً من هذا.

(٤) سبقت الترجمة له قريباً من هذا.

وضللتموهم، وبرئتم منهم، وأثبتم وعيدهم وسميتموهم أعداء الله، في محاربتهم علياً، وأهل العراق؟ قالوا من قبل نكثهم البيعة، وشقهم العصا، وتركهم الرضا، والدخول فيما دخل فيه المسلمون، وأصحاب محمد صلّى الله عليه وسلّم في إمامة مَن وجبت على المسلمين إمامته، وفرضت على الناس طاعته، في مثل ذلك من الكلام، قيل لهم أوليس طلحة والزبير ناكثين للبيعة، شاقين للعصا، خارجين عن الرضا، والدخول فيما دخل فيه المسلمون، وأصحاب محمد صلّى الله عليه وسلّم، ومن إمامة من ذكرتم على مثل مقالتكم في معاوية وعمرو[1] وأهل الشام سواء، فلم يجدوا بحمد الله علّة في تفسيق معاوية وعمرو وأهل الشام، وإثبات وعيدهم إلاّ ونحن موجدوها لهم في طلحة والزبير وأهل البصرة، إلاّ بأن يقولوا بأنهما فاسقان ضالان ثابت لهما الوعيد، كمقالتهم في معاوية وعمرو وأهل الشام، في محاربتهم علياً والمسلمين، كما بسطوها لطلحة، والزبير، وأهل البصرة، وكلا الفعلين عند جميع الناس سواء، وليس للمعتزلة من هذه المعارضة فصل ينفصلون به، والحمد لله، ويقال لهم: أخبرونا عنهما أليسا كانا ظالمين في قتالهما متعدين، سافكين للدماء الحرام بغير حلها، قاتلين أنفسهما في غير سبيل الله؟ قالوا: بلى ولا بدّ لهم من ذلك قيل لهم: ومتى كان من مذهبكم في إثبات الوعيد، وتفسيق أهل التأويل، أن شيئاً من هذا يكون خطأ دون كبيرة؟ فلأية علة استخصّ لها الزبير وطلحة بهذا المعنى دون غيرهما من جميع أهل الكبائر، وأهل الخطأ في التأويل؟ فلا أعلم لمعاشر المعتزلة في هذه المسألة جواباً يثبتون به تخصيص ما ادّعوا تخصيصه لمعارضة مقالتهم في

---

(١) هو عمرو بن العاص بن وائل السهمي القرشي أبو عبدالله، فاتح مصر، وأحد دهاة العرب، وأولي الرأي والحزم والمكيدة فيهم كان في الجاهلية من الأشداء على الإسلام وأسلم في هدنة الحديبية وولاه النبيّ - صلّى الله عليه وسلّم - إمرة الجيش في غزوة (ذات السلاسل) وأمدّه بأبي بكر وعمر ثم استعمله على عُمان وهو الذي افتتح قنسرين وصالح أهل حلب وأنطاكية وولاه عمر فلسطين ثم مصر فافتتحها وعزله عثمان ولّما كانت الفتنة كان عمرو مع معاوية فولاّه على مصر سنة ٣٨هـ توفي بالقاهرة عام ٤٣هـ . راجع الاستيعاب بهامش الإصابة ٢:٥٠١ والإصابة ت ٥٨٨٤ وتاريخ الإسلام للذهبي ٢:٢٣٥ - ٢٤٠ وجمهرة الأنساب ١٥٤.

هذين الرجلين في تثبيت وعيد أهل الكبائر، وتفسيق جميع أهل التأويل، وطعنت في كل ما قالوا به من ذلك عند موافقيهم في إثبات الوعيد قاطبة. فإن قال قائل من أصحاب النظام: فإنها قد كانا تائبين راجعين إلى الله مما فعلا قيل له: لسنا عن التوبة سألناكم، وإنما سألناكم عن نفس فعلها نفسه من نكث البيعة، وشق العصا، وحربها للمسلمين، وسفكها للدم الحرام، هل ذلك الفعل نفسه كبيرة من الكبائر مما يوجب العقاب من الله لفاعله عليه، وثبت الوعيد[1] له فيه أم لا؟ ولا يخلوان من أن يكونا ظالمين لعلي وللمسلمين أو غير ظالمين، وإن كانا لهم غير ظالمين كان يجب أن يكون علي ومَن معه من المسلمين هم الظالمون لطلحة والزبير، وليس ذلك من قول المعتزلة أن يكونا هم الظالمين المعتدين وليس يكون من الظلم والاعتداء في الدماء وأمثالها من هذه الأمور إلاّ من أكبر الكبائر عند جميع المعتزلة، وأمّا الذي قيل من توبتها فباطل محال فاسد، من قبل أن طلحة قتل في المعركة وأن الآخر فرّ منهزماً حتى لحق بوادي السباع فقتل به هارباً، فإن قال قائل: فكيف تجهم علي لعمر بن جرموز التميمي[2] حين أتاه قاتلاً له، وهو عندكم غير تائب؟ قيل له: إنما ذلك لنهي

(١) يرى صاحب كتاب منهج الطالبين: أن الوعد هو ما وعد الله به أهل طاعته من الثواب في الآخرة، وهو حق، والوعيد ما أوعد الله به أهل الكفر والمعاصي من العقاب في الآخرة وهو حق. ومَن زعم أن الله تعالى: (أوعد قوماً النار ثمّ لم يدخلهم إيّاها) ـ فقد كذب على الله تعالى: والله تعالى يقول: ﴿ما يبدل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد﴾. سورة ق آية ٢٩.
وقال: ﴿ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار: أن قد وجدنا ما وعدنا ربّنا حقاً فهل وجدتم ما وعد ربّكم حقاً؟ قالوا: نعم. فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين﴾ سورة الأعراف آية ٤٣ـ٤٤.
فهذا يدل على بطلان قول مَن يقول: «إن الله ينجز وعده ويبطل وعيده».
وكيف يسوغ هذا في عقول ذوي الألباب والله تعالى يقول: ﴿ما يبدل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد﴾ سورة ق آية ٢٩. راجع منهج الطالبين ١: ٤٢١.

(٢) هو قاتل الزبير بن العوام ومعه فضالة بن حابس، ونفيع بن حابس التميمي وأخذوا سيفه وأخذ ابن جرموز رأسه فحمله حتى أتى به وبسيفه علياً فأخذه علي وقال: سيف والله طال ما جلا به عن وجه رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم. وقال بشر قاتل ابن صفية بالنار. راجع طبقات ابن سعد ٣:١١٠، ١١١ وتاريخ الطبري ٤:٥١٠.

علي عن اتّباع المدبر، والاجازة على الجريح، فإن قال: أو ليس مسيره إلى المدينة التي حكمها بيد علي والمسلمين دلالة على توبته؟ قيل له: لا يكون ذلك توبة منه، وإنما التوبة على مثل فعل عائشة وغيرها من أهل البصرة حين أتوا علياً واضعين أيديهم في يده، تائبين إلى الله، راجعين من الذي غروا به، مظهرين الندامة، على ذلك، ومَن لم يفعل كفعل هؤلاء كان حكمه عند المسلمين حكم إصرار، مثل ما كان من عبدالله بن الزبير، وطائفة حين فرّوا، وانحازوا إلى مكة، وليس من أحد يقول بأن الزبير كان تائباً من يوم الجمل،[1] ودع عنك مَن قد قتل في المعركة وفي الهزيمة، فالقائل بتوبتهما مدع لما لا دليل له عليه. وما لا يجامعه عليه أحد من الأمة، وهذه اللمع التي ذكرناها تنبيه على ما لم نذكره من هذا إن شاء الله.

باب النقض على الزيدية

قال سليمان بن جرير الزيدي[2] وهو إمامهم في علم الكلام ومن وافقه بجواز حكومة الحكمين، وإنَّ علياً إنما حكم لما خاف من عسكره الفساد، وكان

---

(١) راجع ما كتبه ابن كثيّر عن موقعة الجمل وكيف أن الكثير من المسلمين تجمعوا في مكة فقامت عائشة أم المؤمنين تخطبهم وتحثهم على القيام بطلب دم عثمان فاستجاب الناس لها وطاوعوها على ما تراه من الأمر بالمصلحة ثم حملت أم المؤمنين في هودج على جمل اسمه عسكر اشتراه يعلى بن أمية وقد أمروا في مسيرهم ليلاً بماء يقال له الحوأب فنبحتهم كلاب عنده فلمّا سمعت ذلك عائشة قالت: ما اسم هذا المكان..؟ قالوا: الحوأب فضربت بإحدى يديها على الأخرى. وقالت: إنا لله وإنا إليه راجعون: ماأظنني إلاّ راجعة قالوا: ولِمَ....؟ قالت: سمعت رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم يقول لنسائه: ليت شعري أيتكن التي تنبحها كلاب الحوأب...؟ إلخ. البداية والنهاية ٧:٢٣١، ١٣٢.

(٢) رئيس فرقة السليمانية أو الجريرية من الزيدية من الشيعة قال إنَّ الإمامة شورى، وأنَّها تنعقد بين رجلين من خيار الأمة، وأجاز إمامة المفضول، وأثبت إمامة أبي بكر وعمر، وزعم أنَّ الأمة تركت الأصلح في البيعة لها لأنَّ علياً كان أولى بالإمامة منها وكفر عثمان بالأحداث التي نقمها الناقمون منه، وأهل السنة يكفرون سليمان بن جرير من أجل أنَّه كفر عثمان ـ رضي اللّه عنه. راجع الفرق بين الفرق ٣٢ ـ ٣٣ والتبصير في الدين ٢٨ ط عالم الكتب والملل والنحل ١: ١٥٩ ـ ١٦٠.

الأمر عنده بيناً واضحاً، فنظر للمسلمين أن يتالفهم، وإنما أمرهما أن يحكما بكتاب اللّه وسنة نبيئه صلّى اللّه عليه وسلّم فخالفاهما اللذان أخطيا، وأصاب هو، واعتلوا في ذلك أنَّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم، وادع أهل مكة، ورد أبا جندل بن سهيل بن عمرو[1] إلى المشركين يحجل في قيوده وقال غير سليمان من علمائهم أنَّ علياً حكم للتقية، وإنَّ التقية تسعه إذا خاف على نفسه، وأما الحكومة فهي عند هؤلاء حرام إلاَّ من جهة التقية، فيقال لهؤلاء منهم: حدثونا عن الإمام الطاهر، القائم بحجة اللّه، الداعي إلى دينه أليس إنما ظهر من الكتمان ليقيم أمر اللّه وحدوده على ما افترضها اللّه في تنزيله خارجاً من حد الكتمان إلى حد الظهور، فلا بدّ من نعم، قيل لهم: فأنى جوزتم التقية في تحليل ما حرم اللّه والحكم بغير ما أنزل اللّه، لمن هذه صفته؟ وهذا يقتضي أن يكون الإمام واسعاً له أن يتقي في ترك إقامة الحدود بأسرها وفي تحريف كتاب اللّه وسنة نبيه صلّى اللّه عليه وسلّم والعمل بخلاف ما فيهما، إذا كان متقياً وكفى بمثل هذا من القول خزياً لقائله وهو مقالة غالية الرافضة صراحاً، فإن رجعوا وقالوا بمثل مقالة إخوانهم من أنَّ التحكيم جائز لعلي، وواسع له اتقى أو لم يتق، لأنَّ ذلك استصلاح المسلمين، وائتلافهم لكلمتهم، وللإمام النظر في ذلك وأشكاله. قيل لهم جميعاً: أخبرونا عن تحكيم علي لهما أليس إنما حكمهما بأن يرضى بالذي حكما به اصابا أم أخطيا؟ فإن قالوا يجب عليه الرضا بذلك على أية حال هو، قيل لهم: فهو إذا مخلوع، والإمام معاوية بن أبي سفيان، فبذلك وقع الحكم منهما، وهذا يوجب عليه أن يكون راضياً بحكومتهما داخلاً في إمامة معاوية والتسليم له، فأي عار عليه وعلى شيعته

---

(١) هو أبو جندل بن سهيل بن عمرو القرشي العامري ـ أسلم بمكة فطرحه أبوه في الحديد فلما كان يوم الحديبية جاء يرسف في الحديد إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم ـ ولكنَّ أباه وهو أحد طرفي العقد رفض هجرته ولكنه انفلت منه ولحق بأبي بصير الثقفي وقطعوا على قريش طريق القوافل، واستشهد في الطاعون بالأردن سنة ١٨ هـ. راجع الاستيعاب ٤: ١٦٢١.

أخزى من هذا وأشنع! فإن قالوا إنما حكمهما على أن يحكما بكتاب اللّه، وسنة نبيه عليه السلام، فإن هما خالفا ما فيهما كان حكمهما حكماً منبوذاً لا يجب التسليم له، وهو قول جمهور الزيدية، قيل لهم: فإذا كان الأمر على ما وصفتم من هذا فلم حكمهما وهو يعلم، والمسلمون معه يعلمون ما في كتاب اللّه، وسنة نبيه صلّى اللّه عليه وسلّم؟ وليس الحكم بما في الكتاب وفي السنة راجعاً إلى عبداللّه بن قيس[1] وعمرو بن العاص، فهلا أقام على بصيرة من أمره، ماضياً في جهاد عدوه؟ كما امره اللّه في كتابه والمسلمون من أفاضل أصحاب محمد صلّى اللّه عليه وسلّم إذا كان إنما حكمهما على أن لا يزيدا في حكم الكتاب، ولا ينقصا منه، فمن حيث دارت هذه الحكومة، دارت إلى باطل والحمد للّه.

وقد قال الحسن بن أبي الحسن البصري[2]، وقد ذكر عنده تحكيم علي الحكمين، فقال: لم تحكم الحكمين لا أبا لك وأنت على الحق ألا تمضي قدماً؟ فلو أنَّ إماماً حكم حكمين في سارق، أو في زان، أو في قاذف، أو في قاتل، والحكم في كل هؤلاء موجود منصوص في كتاب اللّه، وسنة نبيه صلّى اللّه عليه

---

(١) هو عبداللّه بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب، أبو موسى من بني الأشعر، من قحطان. صحابي من الشجعان الولاة الفاتحين وأحد الحكمين الذين رضي بهما علي ومعاوية بعد حرب صفين ولد في زبيد باليمن عام ٢١ ق.هـ وقدم مكة عند ظهور الإسلام فاسلم وهاجر إلى أرض الحبشة ثمّ استعمله رسول اللّه ـ صلّى اللّه عليه وسلّم ـ على زبيد وعدن وولاه عمر بن الخطاب البصرة سنة ١٧ هـ توفي بالكوفة عام ٤٤ هـ. راجع طبقات ابن سعد ٤: ٧٩ والإصابة ت ٤٨٨٩ وغاية النهاية ١: ٤٤٢ وصفة الصفوة ١: ٢٢٥ وحلية الأولياء ١: ٢٥٦ والمناوي ١: ٤٨.

(٢) هو الحسن بن يسار البصرى أبو سعيد ـ تابعي، كان إمام أهل البصرة وحبر الأمة في زمنه، وهو أحد العلماء الفقهاء الفصحاء الشجعان النساك ولد بالمدينة عام ٢١ هـ وشب في كنف علي بن أبي طالب ـ واستكتبه الربيع بن زياد والي خراسان في عهد معاوية وسكن البصرة وعظمت هيبته في القلوب فكان يدخل على الولاة يأمرهم وينهاهم قال الغزالي: كان الحسن البصري أشبه الناس كلاماً بكلام الأنبياء توفي بالبصرة عام ١١٠ هـ. راجع تهذيب التهذيب ووفيات الأعيان وميزان الاعتدال ١: ٢٥٤ وحلية الأولياء ٢: ١٣١ وذيل المذيل ٩٣ وأمالي المرتضى ١: ١٠٦.

وسلّم لكان في حال تحكيمه لهما في ذلك مخطئاً غير مصيب، عاصياً للّه، تاركاً لحكم كتابه عند جميع الأمة، ولو أن ذينك بالحكمين حكماً بما شاءا من حق أو باطل وليس الذي ناظروا به من قول اللّه عزّ وجلّ: ﴿فَابْعَثُوا حَكَماً مِّنْ أَهْلِه، وَحَكَماً مِنْ أَهْلِهَا﴾[1] نظيراً لما ذكرنا ولا الذي ذكروا في آية الصيد من قوله تعالى: ﴿يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ﴾[2] شبيهاً به لأنّه إنما أمرهم اللّه أن يحكموا في الصيد لما لم يذكر في كتابه مقدار كل نوع في الصيد جزاءه من النعم ومن غيرها، أمرهم أن يناظروا كل شكل بشكله مما هو مساو له.

وأما الحكمان فيما بين الزوج والمرأة فإنهما ينظران فيما بينهما، فإن علما أو ظنا أنّهما يصطحبان على أمر اللّه، وتأدية حقوقه، بينهما، وفقا ما بينهما، أو خشيا أنّهما لا يريد كل واحد منهما اصلاحاً فرقا بينهما بحسن نظرهما وليس السبيل في كل ما هو منصوص في كتاب اللّه عزّ وجلّ مشروع في سنة نبيه صلّى اللّه عليه وسلّم بين الحكم فيه سبيل ما ذكروا من جزاء الصيد والحكم بين الزوج والمرأة أرأيتم إذا وجب حد من حدود اللّه على الأشعث بن قيس[3] أو من كان في مثل حاله أكان ينبغي ألا تقام عليهم الحدود لاستصلاح الرعية واستئلاف الجماعة، حتى لا تكون فتنة أو تقع فرقة؟ أو هل كان ينبغي أن يرد أمر هذا وأمثاله إلى الحكمين؟ وينتظر به ماذا يحكمان والحكم

---

(١) سورة النساء آية رقم ٣٥.

(٢) سورة المائدة آية رقم ٩٥ وتكملة الآية ﴿هدياً بالغ الكعبة أو كفارة طعام مسكين أو عدل ذلك صياماً ليذوق وبال أمره عفا اللّه عما سلف ومن عاد فينتقم اللّه منه واللّه عزيز ذو انتقام﴾.

(٣) أبو محمد الأشعث بن قيس الكندي ولد ٣٣ ق. هـ/٦٠٠م قدم من حضرموت على النبي (ص) وأسلم وكان ممتنعاً من الزكاة وأرسل مكبلاً إلى أبي بكر فعفا عنه، من الصحابة ثمّ ارتد ثم أسلم وحسن إسلامه، اشتهر بالشجاعة والجود وكان شريفاً في قومه مطاعاً وهو من أجل قواد علي في معركة صفين وكانت له راية كندة وهو الذي غلب على الماء وأزال عنه أبا الأعور السلمي وجماعته وحضر معركة النهروان، توفي سنة ٤٠هـ بالكوفة له سبعة أحاديث في البخاري ومسلم ويعتبره الشهرستاني أشد الخوارج مروقاً من الدين. راجع العبر ١:٤٦ والطبري ٤: ٥٦٩ والملل والنحل ١: ١١٤ وابن عساكر ٣: ٦٤ ودائرة المعارف الإسلامية ٢: ١٦.

فيه موجود منصوص في كتاب الله عزّ وجلّ، وسنة نبيه عليه السلام؟ وهذا مما لا يخفى فساده على أحد ممن أراد الله هدايته وتوفيقه، وقد قال الله عزّ وجلّ لنبيه محمد صلّى الله عليه وسلّم: ﴿**قل أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَماً وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الكِتَابَ مُفَصَّلاً**[1]﴾، فدل أنَّه إنما أنزل عليه الكتاب وفيه تفصيل كل شيء، غنى وقناعة عن حكم أحد دون حكم كتابه عزّ وجلّ وقال: ﴿**أَفَحُكْمَ الجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحَسنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ**﴾[2] وقال: ﴿**أَلاَ لَهُ الحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الحَاسِبِين**﴾[3] وقال: ﴿**وَمَن لَّمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُوْلئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ**﴾[4] و﴿**الظَّالِمُونَ**﴾[5] و﴿**الفَاسِقُونَ**﴾[6] فإن كان علي إنما قاتل معاوية وعمراً وأهل الشام بحكم الكتاب فكيف جاز له أن يترك حكم الكتاب إلى حكم أبي موسى[7] وعمرو[8] أو يكون إنما قاتلهم بغير حكم الكتاب فهذه شهادة عليه وعلى من معه من أفاضل المسلمين أصحاب محمد صلّى الله عليه وسلّم بالضلالة، ومعاذ الله من ذلك، فلما ثبت أنَّه إنما قاتل أهل الشام بحكم الكتاب، ثبت أنَّ رجوعه من ذلك إلى حكم أبي موسى وعمرو، أنَّه رجوع من حكم الكتاب إلى غيره من الحكم بغير ما أنزل الله لما لم يكن بين هذين الوجهين وجه يعرفه عارف، أو يعتقد عليه معتقد والقول في قتال من قاتله بعد التحكيم على مثل هذا، وإن كان إنما قاتل أهل النهر[9] على أنَّهم لم يرضوا

(١) سورة الأنعام آية رقم ١١٤.

(٢) سورة المائدة آية رقم ٥٠.

(٣) سورة الأنعام آية رقم ٦٢.

(٤) سورة المائدة آية رقم ٤٤.

(٥) سورة المائدة آية رقم ٤٥.

(٦) سورة المائدة آية رقم ٤٧.

(٧) سبقت الترجمة له قريباً من هذا.

(٨) سبقت الترجمة له قريباً من هذا.

(٩) راجع معجم البلدان. مادة «نهروان» وتاريخ الطبري ٥: ٩١ ـ ٩٢ وفيه أنَّ الرسل توالت بين علي وبينهم ثمّ كان القتال ثمّ بحثوا عن المخرج فالتمسوه فوجدوه تحت قتيلين في ساقية.

بالحكومة، فكيف حتى قاتل الخريت بن راشد[1] وأصحابه على أنَّهم رضـوا بالحكومة وصوبوها ودعوا إليها، وليس بين الأمرين أمر يتوهمه متوهم، أو يعتقد عليه معتقد، ولذلك كان يخطبهم تـارة ويقول: أيهـا الناس نـظرنا في أمـر الحكمين، فوجدناه ضلالاً قد برئنا إلى اللّه ممن يرضى بهما في كلام له من مثل هذا، وتارة يخطبهم ويقول: أيها الناس نظرنا في أمر الحكمين فأصبناه هدى فمن أنكر ذلك علينا فليبد لنا صفحته، وكل هذا منه قبل أن يبعث بـأبي موسى إلى دومة الجندل[2] أو بعدما بعثه في حجج كثيرة على الزيدية في هذا وأمثاله، معروفة تغني شهرتها عن ترسيمها والحمد للّه على معرفة الهدى.

الإمامة[3] والعلم:

وفي الإمامة أيضاً قال قائلون من أهل الشغب إن الإمام إذا ولي أمر

---

(١) هو الخريت بن راشد الناجي: صحابي ثائر من الزعماء الشجعان المقدمين من بني ناجية، كان من أشياع علي رضي اللّه عنه وجاءه من البصرة بثلاث مئة من بني ناجية فشهدوا معه الجمل وصفين وأقاموا بالكوفة، ولما كان التحكيم خرج الخريت بمن معه إلى بلاد فارس فسير عليٌّ معقل بن قيس وجهز معه جيشاً لقتاله فكانت المعركة في الأهواز وكثرت جموع الخريت فنصب معقل راية ونادى: من لحق بها فهو آمن فانصرف إليها كثير من أصحاب الخريت فانهزم فقتله النعمان بن صهبان الراسبي عام ٣٩ هـ. راجع الكامل لابن الأثير ٣: ١٤٥ والإصابة ٢: ١٠٩ وفيها أنَّ الخريت كان على مضر كلها يوم الجمل واستعمله عبداللّه بن عامر على كورة من كور فارس وأنَّه كان على بني ناجية في حروب الردة.

(٢) دومة الجندل: عدها ابن الفقيه من أعمال المدينة، سميت بدوم بن إسماعيل بن إبراهيم، وهي قريبة من دمشق، وبينها وبين مدينة الرسول ـ صلّى اللّه عليه مسافة قريبة وسميت دومة الجندل لأنَّ حصنها مبني بالجندل، وقال أبو عبيد الكر هي: حصن وقرى بين الشام والمدينة قرب جبلى طيءٍ كانت به بنو كنانة من كلب. راجع معجم البلدان ٢: ٤٨٨.

(٣) قال قوم: الإمامة رياسة عامة في أمور الدين والدنيا ونقض بالنبوّة والأولى أن يقال: هي خلافة الرسول في إقامة الدين بحيث يجب اتّباعه على الأمة كافة، وبهذا القيد يخرج مَن ينصبه الإمام في ناحية، والمجتهد والآمر بالمعروف. ونصب الإمام عندنا واجب علينا سمعاً وقالت المعتزلة والزيدية بل عقلاً وقال الجاحظ بل عقلاً وسمعاً وقال الإمامية والإسماعيلية بل على الله إلاّ أن الإمامية أوجبوه لحفظ قوانين الشرع والإسماعيلية ليكون معرفاً لله وقالت الخوارج: لا يجب أصلاً. راجع المواقف في علم الكلام ص ٣٩٥ طـ المبني ـ القاهرة.

المسلمين، وفيهم مَن هو أعلم منه أن إمامته في زعمهم باطلة غير ثابتة على مثل مقالة الرافضة في ولاية أبي بكر الصديق رضي الله عنه فقال أهل الشغب بهذا قدحاً منهم في الإمامة العادلة الرستميّة وحيداً عن إجابتها، والدخول في طاعتها، وطعناً في الدين، كما فعلت الرافضة في ولاية الصديق رضي الله عنه، ولو أنهم جميعاً قالوا سمعنا وأطعنا لكان خيراً لهم وأقوم وقد قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في معاذ بن جبل[1] أنه يأتي إمام العلماء يوم القيامة بنبذة و«أن زيداً أفرض الأمة»[2] وأن عبدالله بن مسعود كنيف ملىء علماً[3] و«أنه صلّى الله عليه وسلّم دعا لابن عباس: اللهم فقهه في الدين وعلّمه التأويل»[4] وأن عمر رضي الله عنه جعلها شورى بين رهط ستة ولا تجتمع الأمة على أن هذه الستة كانوا أعلم جميع أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ومعروف غير مجهول أن بعض هؤلاء الستة كانوا أعلم من بعض فلم لا

---

(١) الحديث رواه الإمام أحمد في مسنده بسنده عن شريح بن عبيدة وراشد بن سعد ١٨:١ عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ يقول إن لكل نبي أمينا وأميني أبو عبيدة بن الجراح فأنكر القوم ذلك وقالوا ما بال عليا قريش يعنون بني فهر ثم قال: فإن أدركني أجلي وقد توفي أبو عبيدة استخلف معاذ بن جبل فإن سألني ربّي عزّ وجلّ لم استخلفه. قلت: سمعت رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ يقول:«إنه يحشر يوم القيامة بين يدي العلماء نبذة».

(٢) الحديث رواه الإمام أحمد في مسنده بسنده عن أنس ١٨٤:٣ قال رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ «ارحم أمتي أبو بكر وأشدّها في دين الله عمر وأصدقها حياء عثمان وأعلمها بالحلال والحرام معاذ بن جبل واقرؤها لكتاب الله أبي واعلمها بالفرائض زيد بن ثابت».

(٣) لم نعثر على هذا الحديث بهذا اللفظ وإن كانت هناك أحاديث كثيرة في فضل علم ابن مسعود من ذلك قول الرسول ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ «خذوا القرآن من أربعة من ابن أم عبد فبدأ به ـ ومعاذ بن جبل، وأبي بن كعب، وسالم مولى أبي حذيفة». رواه الإمام مسلم في كتاب فضائل الصحابة ١١٦ ـ (٢٤٦٤).

(٤) الحديث رواه الإمام مسلم في كتاب فضائل الصحابة ٣٠ باب فضائل عبدالله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ ١٣٨ ـ ٢٤٧٧ بسنده عن عبيدالله بن أبي يزيد يحدث عن أبي عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن النبيّ ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ أتى الخلاء فوضعت له وضوءاً فلمّا خرج قال: مَن وضع هذا..؟ قلت: ابن عباس: قال: اللّهمّ فقهه.

ورواه البخاري في الوضوء ١٠ وأحمد بن حنبل في المسند ٢٦٦:١، ٣١٤ ٣٢٨، ٣٣٥ (حلبي).

اقتصر عمر رضي الله عنه بالذي هو أعلمهم من غيره في الإمامة، وهذا بعد أن قال عمر «لو كان أبو عبيدة[1] حيّاً أو سالم مولى حذيفة ما خالجني فيهما شك» ولم يكونا بأعلم من جميع من بين يدي عمر رضي الله عنه، وقد علم الوافر والناقص أن ليس عثمان بأعلم القوم جميعاً فتراه قد ولوه واتفقوا على إمامته كما ترون وليس الله بجامعهم على ضلال، كما قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وهؤلاء القوم حسبوا أنهم إنما أزروا على الإمامة الرستمية بهذه المقالة دون غيرهم، بل إنما أزروا قبل على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وصاحبيه وكافة المهاجرين والأنصار، ثمّ على الأئمة الرستمية رحمة الله عليهم وهذا القول منهم بعدما مضى أسلافهم ممن يتولونهم على تصويب إمامة من ذكروا من الأئمة الرستمية رحمة الله عليهم، وذلك أن يقال لهم: حدّثونا عن هذه الأئمة هل هي مستحقة للإمامة مستوجبة لها أو غير مستحقة؟ فإن قالوا إنها مستحقة للإمامة أثبتوها في أعناقهم، وأقروا بأن طاعتهـا عليهم واجبة وبطل ما كانوا يفترون، فإن زعموا أنهم غير مستحقين للإمامة كانوا طاعنين على مَن مضى من أسلافهم الذين ولّوهم فأثبتوا إمامتهم، وماتوا على ذلك فيجب عليهم أن يتبرأوا منهم حيث ولّوهم وهم عندهم غير مستحقين لها فإن قالوا: إنما ولّوهم على شريطة ألاّ يقطعوا أمراً دون رهط مسمين، ثمّ إن الأئمة لم يفعلوا من ذلك ما اشترط عليهم، قالوا فبذلك أبطلنا إمامتهم، قيل لهم: حدّثونا عن هذه الشروط في حق كانت أم في باطل؟ فإن كانت في باطل فهي باطلة كما أن الباطل كلّه باطل وإن كانت في حق فإن الحق غير محتاج إلى شروط ولا اتفاق فعلى الإمام أن يقضي بالحق جامعه عليه مجامع، أو خالفه مخالف، ولو أن سارقاً سرق أو قاذفاً قذف، أو زانياً زنى، أو قاتلاً أقرّ عند الإمام بما فعل أكان جائزاً للإمام، واسعاً له أن ينتظر به اجتماع مَن يجتمع عليه ممن ذكروا أو يقضي عليه بالذي أوجب الله عليه؟ فإن هم قالوا إن

(١) سبقت له الترجمة في كلمة وافية.

الإمام لا يقطع في الحدود قطعاً دون الرهط المسمين خالفوا الأمة مصيبها ومخطئها، فإن جوزوا للإمام إنفاذ الأحكام دون حضرة مَن ذكروا، صار قولهم في الشروط ودعواهم فيها دعوى فاسدة باطلة، وضلّ عنهم ما كانوا يفترون.

باب القول في تفسيق أهل التأويل وإثبات كفرهم كفراً غير شرك:

فإن سأل سائل بعد هذا كلّه وقال: ما قولكم في المخطئين من أهل التأويل المقرين بالتنزيل؟ فقولنا: إن مَن دان بدين من المتأولين فكان به على الله شاهداً، وفي شهادته عليه كاذباً، أنه يبرأ منه ويشهد على فعله بالضلالة والكفر، لأن الله أجمل الخبر في الكاذبين عليه بالوعيد، والتكفير، قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّم مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾[1] وقال: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ، وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾[2] فقرن الكاذب عليه، والمكذب بصدقه في الوعيد، والتكفير كما ترى وقال: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّم مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ﴾[3]، وكل هذا قد أجمل الخبر وعمه في المكذبين عليه فلم يخصص كاذباً عليه في تأويل مَن كاذب عليه في تنزيل، وإماماً قالت به المعتزلة في تفسيق أهل التأويل، واستخصاصهم طلحة والزبير من بين سائر المتأولين فقد مضى الحجاج عليهم في كتاب الإمامة، وأنبأنا عن ضعف اعتراضهم في ذلك، وشنعة اعتراضهم عند العامة من

(١) سورة الزمر آية رقم ٦٠.

(٢) سورة الزمر آية رقم ٣٢.

(٣) سورة العنكبوت آية رقم ٦٨ وقد جاءت الآية محرّفة في المطبوعة حيث جاءت «فمن» بالفاء بدلاً من (ومن).

موافقيهم في إثبات الوعيد كفواً بها عن الإقدام فيها لزمهم الإقدام عليه بأمر مقنع إن شاء الله.

وقالت الخوارج بتشريك المخطئين من أهل التأويل، كمقالتهم في سائر أهل الكبائر، فقد أنبأنا عن فساد مذهبهم في التشريك بالذي رسمناه عليهم في صدر الكتاب، كما أن الذي قدمنا من النقض على المرجئة في تثبيت الوعيد كاف عن الرد عليهم في هذا الباب إن شاء الله.

فإن قال قائل: إلى أي الكفرين تضيفون أهل التأويل وهما عندكم كفران؟ قيل له: كل متأول مخطئ في تأويله دائن بما هو عليه من الخطأ فهو بتأويله ذلك منافق كافر غير مشرك، ما لم يكن راداً للمنصوص، منكراً للتنزيل، فإن قال: أرأيتم مَن زعم أن الله يرى يوم القيامة وتأوّل قوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[1] قيل له: نعم هذا متأول مخطئ في التأويل كاذب على الله في صفته، وهو منافق كافر، غير مشرك من قبل تأويله لما ذكرت.

فإن قال: فالذين وافقوكم في إثبات الوعيد وفي التكفير من الزيدية وافنان الأباضية قالوا بتشريك هؤلاء ووافقهم النظام على مقالتهم بذلك، وزعموا أن كل متأول مخطئ في صفة الله عزّ وجلّ لا يكون بتأويله في مثل ذلك إلاّ كافراً مشركاً مساوياً لله، بخلقه مشبهاً له بغيره، قيل له: بل لا يكون هؤلاء مشركين، ولو أن مَن ذكرت قالوا بتشريكهم، وذلك أن بيننا وبينهم فصولاً فاصلة، وأدلّة قاطعة، لأنّا وإيّاهم مجمعون على تكفير الجهمية في زعمهم أن الله لا يكون أن يعلم الأشياء حتى تكون موجودة، ونحن وهم جميعاً مع ذلك غير قائلين بتشريكهم، فلم لم يشرك الجهمية وهم مخطئون في صفة معبودهم، كاذبون عليه؟

---

(١) سورة القيامة آية رقم ٢٣.

فإن قال: إن الجهمية لا يكونون مشركين بذلك، ما لم يكونوا واصفين لله بالجهل قيل له: وكذلك الذين قالوا بأن الله جلّ جلاله مرئي في دار المعاد لا يكونون مشركين ما لم يصفوه بأنه لون من الألوان.

فإن قيل: أوليس أنهم حين زعموا أنه مرئي قد وصفوه بأنه لون لما كانت الأبصار في طبعها أنها لا ترى ولا تدرك إلاّ لوناً؟ قيل له: لسنا ممن يثبت لهم ما لم يقولوا، وإن كانت مقالتهم قائدة إلى ذلك ما لم يصرحوا به، كما لم يثبت أن الجهمية حيث زعمت أن الله لا يكون أن يعلم الأشياء حتى تكون موجودة واصفة لله بالجهل تعالى الله عن ذلك، ألا ترى أنهم حين وصفوه بأنه لا يجوز أن يكون يعلم ما لم يكن من قياد مقالتهم أنه يجهل؟ ولسنا مع ذلك نلزمهم غير ما قالوا ومن الأدلة على ما قلنا إنّا وإيّاهم مجمعون على أن مَن زعم أن القرآن لا يكون مخلوقاً أنه كاذب على الله، مخطئ في صفة الله عزّ وجلّ، وليس هو عندنا وعندهم جميعاً مشركاً، مع ذلك ما لم يزعم أن القرآن قديم مع الله غير محدث، على أن المخلوق هو المحدث غير القديم، والقديم هو غير المحدث المخلوق، ولسنا ممن يثبت لأحد من المخطئين في تأويلهم أمراً لم يقولوا به، ولو كان تأويلهم ذلك قائداً لهم إلى ذلك الأمر ما لم يصرحوا به فلذلك قال في النهاية في هذا العلم رحمة الله عليه عندما ذكر أقاويل أهل التأويل: فلولا ما حجزهم من التأويل، لألزمناهم اسم الشرك، ولكن تأويلهم وإن أخطأوا فيه وجه العدل، منعنا من تسميتهم بالشرك.

ومن الأدلة على ما قلنا أن أهل القدر حيث زعموا أن الله غير خالق للأفعال لا يكونون عندنا وعندهم مشركين مع ما هم فيه من الخطأ في صفة الله عزّ وجلّ، ونفيهم قدرته جلّ جلاله عن الأفعال، ما لم يصفوه بالعجز، وقد علمنا أن مَن نفى قدرة الله على شيء موجود، فإنه واصف لله بالعجز عزّ وجلّ عن ذلك، وأن مَن نفى عن شيء من الأشياء أن يكون مخلوقاً، فهو ناف عنه أن يكون محدثاً، واصف له بالقدم، مساوياً له بالله في صفته تعالى الله عن

ذلك علواً كبيراً، ولسنا مع ذلك كله مثبتين لهم غير ما قالوا، ولو أن تأويلهم جار إلى ذلك.

وإن قال: إن الذي نفى عن الأفعال أن تكون مخلوقة، فإنما أخطأ في صفة الأفعال حيث نفى عنها أن تكون مخلوقة، ولم يخطئ في صفة الله بقوله ذلك قيل له: فعلى هذا الجواب أن الذي زعم أن الله يرى يوم القيامة، إنما أخطأ في صفة البصر إذ جعله يرى ما ليس من شأنه أن يكون يراه، ولم يخطئ في صفة الله عزّ وجلّ، ولو لم يكن مَن نفى عن الأفعال أن تكون مخلوقة لله مخطئاً في صفته عزّ وجلّ، لما كان عندنا وعندهم كافراً، أرأيتم مَن زعم أن هذه الأجسام غير مخلوقة؟ فهل تقولون إنه غير مخطئ في صفة الله لما كان خطؤه في صفة الأجسام دون صفة الله؟ بلى إن كلّ مَن نفى عن شيء من هذا العالم أن يكون خلقاً لله مخطئ في صفة الله عزّ وجلّ فإن كان ذلك مما يحتمل وينسب إلى العباد فعله كان مَن نفاه عن الله أن يكون خلقه متأولاً منافقاً غير مشرك، وما عدا ذلك مما لا ينسب إليهم أنهم فعلوه فكل مَن نفى عن الله أن يكون خلقه فهو مشرك غير متأول.

ومن الأدلة على ما قلنا إن الجهمية، وأصناف المجبرة لما زعموا أن الله جبر العباد على ما كان منهم من طاعة ومعصية أثبتوا أن الله عزّ وجلّ مؤاخذهم على ما لم يفعلوا، ومعذبهم على ما لم يختاروا ولم يكتسبوا، وتأولوا قول الله عزّ وجلّ: ﴿**يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ**﴾[1] كانوا بذلك متأولين غير مشركين، على أنّا قد علمنا أن مَن وصف الله عزّ وجلّ بأنه يؤاخذ أحداً على غير فعله، ويعاقب على ما قد جبره عليه، كان واصفاً له بالجور والخطأ والظلم، فالواصف لله بالجور والظلم مشرك بالله، واصف له بأقبح ما يوصف به الخلق من صفاتهم، نافياً عنه صفاته من العدل والحكمة، تعالى الله عن ذلك ونحن مع هذا غير قائلين بتشريك المجبرة، ولا مضيفين لهم

(١) سورة النحل آية رقم ٩٣ وتكملة الآية ﴿ولتسألن عما كنتم تعملون﴾.

إلى أكثر من أنهم منافقون متأولون غير جاحدين.

ومن الأدلة على ما قلنا إن مَن نفى عن الله جلّ جلاله أن يكون شيئاً مثبت أنه في معنى العدم والتلاشي والبطلان، مخرجه من معنى الوجود والإثبات، وهذه الجهمية تنكر أن يكون الله شيئاً، وتأبى ذلك، ونحن أيضاً لا نقول بأنهم مشركون ما داموا على القول بأنه موجود، وكذلك مَن زعم أن أسماء الله وصفاته محدثة مخلوقة، كائنة بعد إذ لم تكن متأول غير مشرك ما لم يزعم أن علمه وقدرته وإرادته محدثة مخلوقة كائنة بعد إذ لم تكن، أو زعم أن الله والرحمن والخالق محدث مخلوق كائن بعد إذ لم يكن، فحينئذ لا يكون له تأويل يمنعه من الشرك ولو أنك تتبعت أهل التأويل واحداً فواحداً فيما أخطأوا فيه من تأويلهم لوجدت أكثرهم على مثل ما وصفنا.

فإن قال أرأيتم مَن زعم أنه يرى في دار الدنيا على مقالة أصحاب عبد الواحد بن زيد[1] من أصحاب الوسواس وتأولوا قوله في النجم: ﴿**وَهُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلَى**﴾[2] الآية قيل له: هؤلاء قوم مشركون رادون للمنصوص من خبر الله عزّ وجلّ: ﴿**لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ**﴾[3] وليس لهم تأويل يحجزهم عن الشرك.

فإن قال: فكيف حتى شركت هؤلاء، ولم تشرك الأولين قيل له: لما كان الأولون متأولين في قول اللّه تعالى: ﴿**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**﴾[4] وادعوا في الآية الأولى من قول اللّه ﴿**لا تدركه الأبصار**﴾ أنها خاصة في الدنيا دون الآخرة كما ادعت القدرية خصوصاً في قوله: ﴿**خالق**

---

(١) هو عبد الواحد بن زيد البصري الزاهد - يقال إنه صلّى الصبح بوضوء العشاء أربعين سنة وله مواعظ وحكم - روى عنه الحسن البصري من مواعظه: ألا تستحيون من طول ما لا تستحيون. قال عنه الذهبي: متروك الحديث توفي عام ١٧٧هـ ٧٩٣م. راجع العبر ١:٢٧٠.

(٢) سورة النجم آية رقم ٧.

(٣) سورة الأنعام آية رقم ١٠٣.

(٤) سورة القيامة آية رقم ٢٣.

كل شيء﴾[1] فانكروا بذلك خلق الاعمال، وادعى من نفى خلق القرآن مثل ذلك، وادعت الجهمية في قوله: ﴿**وَهُوَ بِكُلِ شَيءٍ عَلِيمٌ**﴾[2] مثل ما ادعى هؤلاء، وكل فيما هم فيه من دعواهم مخطئون متأولون مقرون بالتنزيل، غير منكرين له.

فإن قال فما حال من زعم إنَّ اللّه عزّ وجلّ جسم كالأجسام سبعة أشبار، على مقالة هشام[3] الرافضي وتأول قول اللّه عزّ وجلّ: ﴿**يد اللّه فوق أيديهم**﴾، ووجه اللّه وأنّه خلق آدم على صورته؟ قيل له: هذا مشرك باللّه قاصداً بعبارته إلى صورة ليس لهذا على حال تأويل يحجزه عن الشرك.

فإن قال: أرأيت من زعم منهم أنّه جسم لا كالأجسام، ونور لا كالأنوار وتلا: ﴿**اللَّهُ نُورُ السَّمٰوات وَالأَرْضِ**﴾[4] قيل له: هذا من الأول ليس له تأويل، ولا يغني عنه قوله لا كالأجسام، والأنوار شيئاً، ما أثبته جسماً ونوراً، بل هو مشرك وصف اللّه بصفة خلقه عزّ وجلّ عن ذلك، راد

---

(١) سورة الأنعام آية رقم ١٠٢.

(٢) سورة البقرة آية رقم ٢٩.

(٣) هشام بن الحكم أبو محمد الشيباني ولاء، ولد بالكوفة ونشأ بواسط وأقام ببغداد، كان شيخاً للإمامية في عصره، تتلمذ ليحيى بن خالد البرمكي وله مؤلفات منها: الرد على المعتزلة في طلحة والزبير. الرد على الزنادقة، الرد على مَن قال بإمامة المفضول. الرد على هشام الجواليقي. القدر الدلالات على حدوث الأشياء. هلك بالكوفة وكان مختفياً حين نكب البرامكة وفاته في نحو سنة ١٩٠هـ/٨٠٥. يقول الشيخ المفيد محمد بن النعمان المتوفى سنة ٤١٣ أن هشاماً بن الحكم خالف الشيعة كافة في أسماء الله وفي معاني الصفات، أمّا فضل الله الزنجاني الشيعي المعلق على كتاب أوائل المقالات فإنه يرى أنه رجع عن القول بالتجسيم وإن ما يقوله عنه خصومه من المعتزلة كالنظام والجاحظ غير صحيح فيما يتعلق بالصفات، لأنه لم تبلغنا أقواله إلاّ عن طريق هؤلاء الخصوم المتحاملين، وإذا كان هشام يقول بأن الله جسم ونور فإنه يكون متأثراً بالغنوصية لأن النور والظلام عندها مادة فالمانوية Manichéisme ترى أن كل موجود مادي بالضرورة، وكان القديس أوغسطين حينما تأثر بالمانوية يتصوّر الله جسماً نيراً لطيفاً.

(٤) سورة النور آية ٣٥.

للمنصوص، قال الله عزّ وجلّ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِه شَيْءٌ﴾[1] وقال: ﴿فَلاَ تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُون﴾[2].

باب في وسم الكبائر بسمة الوعيد:

إنَّ سأل سائل عن تارك الصلاة، ومانع الزكاة، وغيرهما، وأراد معرفة وجوب وعيدهما، والقول بتكفيرهم، الجواب وبالله التوفيق أنَّ الله عزّ وجلّ قال في كتابه: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلينَ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاَتِهِم سَاهُونَ﴾[3] والويل عذاب، وقال: ﴿أَضَاعُوا الصَّلاَةَ واتَّبعُوا الشَّهَواتِ فَسَوفَ يَلْقُونَ غَيّاً﴾[4] ومن السنة قوله صلّى الله عليه وسلّم ليس بين العبد والكفر إلاَّ تركه الصلاة[5] وهو معنى قوله صلّى الله عليه وسلّم: أنَّها صلة بين العبد وربه[6] ومن الأثر قول عمر رضي الله عنه: لا حظ في الإسلام لمن ترك الصلاة، وقد اتفقوا على إسقاط شهادة تارك الصلاة وإزالة عدالته فاجمعوا على أنَّ تركها كبيرة من الكبائر، وقال في حابس الزكاة: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّة وَلاَ يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ أَلِيمٍ﴾[7] واتفق العلماء على أنَّ لا وجه لوعيد الله في كنز الذهب والفضة إلاَّ أن لا يؤدي منها الزكاة وأمثالها، وقال عزّ وجلّ: ﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾[8] فدل أنَّهم إن أمسكوا عن النفقة في

(١) سورة الشورى آية رقم ١١.
(٢) سورة البقرة آية رقم ٢٢ وقد جاءت الآية محرّفة في المطبوعة حيث جاءت (ولا) بالواو بدلاً من (فلا).
(٣) سورة الماعون آية رقم ٥.
(٤) سورة مريم آية رقم ٥٩.
(٥) سبق تخريج هذا الحديث قريباً في هذا الجزء.
(٦) لم نعثر على هذا الأثر على كثرة البحث والتقصي.
(٧) سورة التوبة آية رقم ٣٤.
(٨) سورة البقرة آية رقم ١٩٥.

سبيل اللّه فقد ألقوا بها إلى التهلكة، وقال: ﴿وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وإِنْ تَتَوَلَّوا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾[١]، فتوعدهم بعذاب الاستئصال عن تركهم النفقة في سبيل اللّه، وقال: ﴿وَيَمْنَعُونَ المَاعُونَ﴾[٢] وهو الزكاة أدخلها في الويل مع الصلاة كما أدخلها في الأمر فقال: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾[٣]، ومن السنة قوله عليه السلام: ألا لا صلاة لمانع الزكاة ثمّ قال: والمعتدي فيها كمانعها، وقالت العلماء إنَّ المعتدي فيها هو الواضع لها في غير أهلها والمانع لها عن أهلها وقال أبو بكر رضي اللّه عنه واللّه لو منعوا مني عقالاً مما كانوا يؤدونه لرسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم لقاتلتهم عليه حتى ألحق باللّه أو يعطوا ما منعوا، ولا تحل الدماء إلاَّ على كبيرة، وهذا الذي أجبنا به في الزكاة هو ما عليه عامة الأباضية والزيدية والنظام وأبو الهذيل[٤] وعامة المعتزلة من كل موافق في إثبات الوعيد، ما خلا عيسى بن عمير فإنَّه قد توقف في حابس الزكاة ولو أنَّه مات ولم يؤدها، ولم يوص بها، واشترط فيه لضعف اعتراه هو وشيعته فامتنعوا له عن الجواب فيها قد تبين الجواب فيه وباللّه التوفيق.

فإن قال فما حال التارك للصيام في شهر رمضان وهو في أهله مقيم

---

(١) سورة محمد آية رقم ٣٨.

(٢) سورة الماعون آية رقم ٧.

(٣) سورة البقرة آية رقم ٤٣.

(٤) هو أبو الهذيل محمد بن الهذيل العبدي نسبة إلى عبد القيس وكان يلقب بالعلاف لأنَّ داره بالبصرة كانت في العلافين وهو من أهل البصرة ورد بغداد.
سئل عن مولده فقال: ولدت سنة خمس وثلاثين ومائة وقال أبو القاسم ولد أبو الهذيل سنة أربع وثلاثين ومائة أخذ العلم عن عثمان الطويل، ولم يلق واصلاً ولا عمراً ونظر في شيء من كتب الفلاسفة وطالع كثيراً منها وخلط كلامهم بكلام المعتزلة.
من كتبه «ميلاس» على اسم مجوس أسلم على يده وللأستاذ مصطفى الغرابي: «أبو الهذيل العلاف».
راجع الفهرست لابن النديم ص ٥٦ وطبقات المعتزلة ص ٤٤ وتاريخ بغداد ٣: ٣٦٦ ومروج الذهب ٢: ٢٩٨ ومجلة المجمع ٢١: ١٠٧ ودائرة المعارف الإسلامية ١: ٤١٦.

صحيح؟ قيل له هذا مما اجتمعت الأمة على تعظيمه، وليس بينهم في أنَّه كبيرة من الكبائر اختلاف وقال عليه السلام: إنَّ الصوم جنة، والجنة تستر من العذاب، وفي حدبث آخر: أنَّ رجلاً أتاه وقد واقع أهله نهاراً في شهر رمضان فقال يا رسول اللّه هلكت وأهلكت ولم يبلغنا أنَّه صلّى اللّه عليه وسلّم نقم عليه من قوله هلكت وأهلكت، وقد أتي عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه برجل يأكل في شهر رمضان فقال له عمر رضي اللّه عنه للمنخرين صبياننا صيام وأنت تأكل، وقول عمر للمنخرين دلالة على الوعيد، وهو بمعنى قولهم فسحقاً وتعساً وأمثالها، واتفقت العلماء على بطلان شهادة التارك للصيام وبطلان عدالته، فلهذا وأمثاله أجمعوا على أنَّ التارك لفرض اللّه من الصيام في شهر رمضان، المزدرد للطعام والشراب هالك غير سالم.

فإن قال قائل: فالتارك للحج وهو مستطيع واجد للسبيل إليه؟ قيل له: إنَّ من كان على هذه الصفة التي ذكرت فمات ولم يحج، ولم يجعل على نفسه أن يحج عنه فهو هالك غير ناج قال اللّه عزّ وجلّ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾[١]، وقال عليه السلام: «لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت ثمّ تركتموها إذن لكفرتم[٢]». ثمّ قال ابن عباس: لو تركوها ما نوظروا.

فإن قال قائل لأية علة وسعت في فريضة الحج وجعلتها فيما دون الموت، ولم تقل بمثل ذلك في الصلاة والزكاة والصيام؟ قيل له: لما كانت الحجة واحدة في العمر،

---

(١) سورة آل عمران آية رقم ٩٧.

(٢) الحديث رواه ابن ماجه في كتاب المناسك الحج ٢٨٨٤ ـ عن أبي البختري عن علي قال: «لما نزلت: ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً﴾ قالوا: يا رسول اللّه الحج في كل عام..؟ فسكت ثمّ قالوا: أفي كل عام..؟ فقال:: «لا ولو قلت: نعم. لوجبت.» «وفي رواية ولو وجبت لم تقوموا بها ولو لم تقوموا بها عذبتم».

ورواه الترمذي في كتاب التفسير ٥: ١٥ والنسائي في المناسك ١ والدارمي في المناسك ٤، وأحمد بن حنبل في المسند ١: ٢٥٥، ٢٩١، ٣٧١، ٣٧٢ (حلبي).

كان واجباً أن لا يقضى على تاركها بالمعصية ما دام العمر غير نافد، فليست فريضة الصوم كذلك وإنما هو شهر معلوم، فمن ترك الصيام فيه كان في حينه تاركاً للفرض مستحقاً لاسم المعصية، والصلاة بأوقاتها، فإذا دخل وقت الصلاة منها فهو خروج وقت ما تقدمها من الصلاة ولا تدخل فريضة على أخرى على قدر اختلافهم في الأوقات، والزكاة مثل ذلك.

فإن قال: فما حال التارك للجهاد في سبيل اللّه وقد دعي إليه؟ قيل له: إذا كان الداعي إلى الجهاد في سبيل اللّه في أئمة العدل الذين يحللون حلال اللّه ويحرمون حرمه كان واجباً عليهم أن يجيبوه فيما دعاهم إليه من ذلك، قال اللّه عزّ وجلّ: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ**﴾[1]، فدل عزّ وجلّ أنَّ جهاد المؤمنين اعداءهم حياة لهم في دينهم ودنياهم، وهو من فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فمن ترك شيئاً من ذلك وهو قادر عليه كان مميتاً لدين اللّه، مذللاً له مع القدرة على اعزازه، قال اللّه عزّ وجلّ: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ**﴾[2] إلى قوله: ﴿**إِلاَّ تَنْفِرُوا يُعَذِّبكُمْ عَذَاباً أَلِيماً**﴾ فتوعدهم على ترك الجهاد بالعذاب الأليم ثمّ قال: ﴿**وَيَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ**﴾[3] بأن يستأصلهم، ويبدل مكانهم قوماً آخرين هم خير منهم لدين اللّه، والقيام بأمره وهذا كله من اللّه وعيد.

فإن قال: فما حال قاتل النفس التي حرم اللّه بغير الحق، أو أكل أموال الناس بغير حلها؟ قيل له: أما قاتل النفس التي حرم اللّه فقد أجمع كل من أثبت الوعيد على أنَّ فعله كبيرة متوعد عليه، لقول اللّه عزّ وجلّ: ﴿**وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً**﴾[4] الآية، وقال: ﴿**وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً**

---

(١) سورة الأنفال آية رقم ٢٤.

(٢) سورة التوبة آية رقم ٣٨.

(٣) سورة التوبة آية رقم ٣٩ وتكملة الآية ﴿ولا تضروه شيئاً واللّه على كل شيء قدير.﴾

(٤) سورة النساء آية رقم ٩٣.

آخَرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إلاَّ بِالْحَقِّ﴾[1] كما أجمعوا على وعيد من أكل أموال الناس بغير حلها، لقوله عزّ وجلّ: ﴿لاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إلاَّ أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنْكُمْ﴾[2] إلى قوله ـ: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً﴾ وقال: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَاناً وَظُلْماً﴾[3] إلى آخر الآية فقرنهما جميعاً في الوعيد، وكذلك أكل أموال اليتيم، فقد أجمعوا على وعيده. قال اللّه عزّ وجلّ: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً﴾[4] الآية، غير أنَّ أبا الهذيل[5] وبعض المعتزلة قالوا كل ما بلغ من ذلك في جميع ما يجنيه أو يغصبه من مال أو جراحة أو هدم، أو غير ذلك من أرش ثوب وما يشبه خمسة دراهم فهي كبيرة مقيسة على حابس الزكاة، وعلى ما يجب فيه القطع، وليس الذي قاسوا في هذه المسألة، واعتبروه قياساً، وذلك أنَّ اللّه توعد في أموال الناس، وفي أموال اليتيم، وترك أن يحد في شيء من ذلك دون شيء فالحجة أنَّ الوعيد ثابت في قليلها وكثيرها، ولا يكون الوعيد متعلقاً في شيء من المال بخمسة دراهم، وإنما ذكر الخمسة الدراهم عند العلماء، وربع دينار وأربعة دراهم على قدر الاختلاف في قطع السارق من الحرز، وقد يكون أن يأخذ السارق من غير الحرز أكثر مما اتفقوا على وجوب القطع فيه، إذا هو أخذه من الحرز ثمّ لا يقطع عندهم جميعاً مع اتفاقهم على إثبات الوعيد في ذلك.

فإن قال: فبائع الحر؟ قيل: ليس يكون شيء من ظلم الناس في أنفسهم وأموالهم غير كبيرة، قال اللّه عزّ وجلّ: ﴿الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ

---

(١) سورة الفرقان آية رقم ٦٨.

(٢) سورة النساء آية رقم ٢٩ وقد جاءت الآية محرفة في المطبوعة حيث قال «ولا» بزيادة (الواو) بدلاً من (لا).

(٣) سورة النساء آية رقم ٣٠.

(٤) سورة النساء آية رقم ١٠.

(٥) سبقت الترجمة له قريباً من هذا.

﴿فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[1] الآية، وقد فرق عيسى بن عمير بين بائع الحر وبائع الحرة، وزعم أنَّ بائع الحرة كافر لما أباح من وطئها، وكان ذلك عنده بمنزلة من وطئها بغير حل، وتوقف في بائع الحر، ولم يعتبر عيسى بن عمير أنَّ بائع الحر قد أباح تمليك رقبته وخدمته، واستهانته في غير حق، والحر والحرة في كل ذلك سيان، ولا فرق بينها. وأجمعوا على شهادة الزور أنَّها كبيرة[2]، لأنَّ اللّه ذكرها. ولم يستثن في شيء منها أنَّه صغيرة، وكذلك الحكم بغير ما انزل اللّه كبيرة، من قبل أنَّ اللّه عظمه وسماه ظلماً وكفراً وفسقاً، ولم يستثن في بعض ذلك أنَّه صغيرة، وأكل الربا قد توعده اللّه على أكله الربا وسماه محارباً له ولرسوله[3]، والزاني القاذف كذلك قد دللنا على تفسيقهما، وإثبات وعيدهما في باب إثبات الوعيد والرد على المرجئة.

فإن قال قائل: ما تقولون في شارب الخمر وآكل الميتة والدم المسفوح ولحم الخنزير؟ قيل له: قد اجتمعت الأمة على وجوب الحد في الخمر، وأجمعوا على إبطال عدالة السكران وتجريح شهادته وإنَّ اللّه لا يغفر لمدمنها في غير حديث عنه صلّى اللّه عليه وسلّم[4] ففي إجماعهم على ما وصفنا دلالة على أنَّه كبيرة والعقوبة فيه من واجبة، والميتة والدم ولحم الخنزير، فقد حرمها عزّ وجلّ وسمى ذلك كله رجساً، كما قال في الأوثان: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ﴾[5] ثمّ قال في إباحة ذلك عند الضرورة: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ﴾[6] فدل على أنَّ من أكل من هذه الوجوه غير مضطر إلى أكلها،

---

(١) سورة الشورى آية رقم ٤٢.

(٢) قال تعالى: ﴿فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور﴾. آية ٢٠ سورة الحج وقال تعالى: ﴿والذين لا يشهدون الزور﴾. الفرقان آية ٧٢.

(٣) قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا اللّه وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين، فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من اللّه ورسوله﴾. سورة البقرة آية رقم ٢٧٨، ٢٧٩.

(٤) قال رسول الله ـ صلّى اللّه عليه وسلّم: ﴿مدمن الخمر كعابد وثن.﴾ رواه ابن ماجه في كتاب الأشربة.

(٥) سورة الحج آية رقم ٣٠ وقد جاءت الآية محرفة في المطبوعة حيث قال: اجتنبوا بدون (الفاء).

(٦) سورة البقرة آية رقم ١٧٣.

فإنَّه باغ وعاد والباغي والعادي عندهم من أسماء الضلال، كما قال في قوم لوط لما شدد عليهم في الشتم، وغلظ لهم في الإثم: ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾[1]، وليس من أحد يشك في ضلالة قوم لوط، وقد قال بعض العلماء في توكيد التحريم، لقوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ﴾[2] أنَّه كبيرة كأنهم أرادوا ـ والله أعلم ـ أنَّ كل معصية جاءت فيها صفة زائدة على النهي في كتاب الله، وفي سنة رسوله وفي آثارهم، أنَّ ذلك دلالة على وجوب العقاب، وكونها كبيرة والله أعلم وأحكم بالصواب.

وإنما قصدنا في كل كتابنا إلى أصول الديانة من أمهات المسائل وإلى عيون الأدلة، ومعاظم الحجج، فيما احتججنا به على أهل الخلاف، وفيما سألونا عنه، واجتزينا عن تصنيف مقالاتهم، بذكر أصولها، وعن كثير ذلك بمختصره، وتنكبت عن القول فيما هو دونه من السكون والحركات، والجواهر والعرضيات، والمختلفات بالصفات، والمتضادات للأعيان والمتجزئات والمتولدات، ونمو الناميات والمعارف، والجهالات والمعلومات والمجهولات والمخلوقات الباقيات والفانيات، في مثل هذا النوع، على أن إلى كل ذلك حاجة ماسة وفاقة وافقة لكون هذا العلم بعضه شاداً لبعض وليس هو أيضاً من بين سائر العلوم كذلك، وربما، ولعل، وعسى.

وأما القول في الاستطاعة فقد ينبغي أن يفرد له ولما ينحو الاستطاعة، من مسائل العون والأمر والإرادة كتاب على حال إن شاء الله.

---

(١) سورة الشعراء آية رقم ١٦٦.

(٢) سورة المائدة آية رقم ٣ وبعدها ﴿الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلاَّ ما ذكيتم وما ذبح على النصب وأن تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق﴾.

خاتمة

دعاني إلى ما ترون - حفظكم اللّه - على عجز التقصير، ووهن العلم، مع انقسام الهمة، واشتراك الفطنة بما قد تعلمون من تواتر الزلازل، وترادف البلابل، رأفة بكم، وتحنناً لكم، وشفقة عليكم، لكي يتألف لكم مفترق هذا في كثير من المواضع، ويلتئم مشتته في سائر الدفاتر، فإلى اللّه أدعو وإليه أرغب أن يعفو بخير شراً، ويمحو بحسن سيئاً، ويتجاوز بكثير/معتمد الصواب عن يسير زلل الخطأ، وأن يجعل هذا وسيلة لديه، وذخيرة عنده، وأن يصلي على محمد خاتم الأنبياء، سيد الأصفياء، وآخر دعوانا أنَّ الحمد للّه رب العالمين.[1]

(١) تمّ تبييض كتاب الموجز تأليف المرحوم أبي عمار الكافي - رضي اللّه عنه - بيد الفقير لرحمة مولاه صدقى محمد بن ايوب الميزاني الجزائري ٢ ربيع الأول ١٠ نوفمبر.
١٣٧٣ هـ ١٩٥٣ م.
وختمت بهذه الخاتمة: قد كمل هذا الكتاب المبارك بالتمام والكمال والحمد للّه على كل حال - وصلّى اللّه على محمد خاتم الإرسال سيد الرجال من كاتبه المسعود بن إبراهيم السعر اللّهم أغفر لنا ولكافة المسلمين أجمعين يا أرحم الراحمين يا رب العالمين وهو حسبي ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلاَّ باللّه العلي العظيم يوم ٢٣ جمادى الثانية سنة ١٣٣١ هـ القمر يوم ٣١ ماي سنة ١٩١٣ مسيحي.



فهارس الجزء الثاني
من كتاب الموجز

١
فهرس الآيات القرآنية



عدد مسلسل	الآيـــــــــة	السورة	رقم الآية
١	قال تعالى: ﴿صنع الله الذى أتقن كل شيء انه خبير بما تفعلون.﴾	النمل	٨٨
٢	قال تعالى: ﴿وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا.﴾	الاسراء	٨١
٣	قال تعالى: ﴿ولتصنع على عيني.﴾	طه	٢٩
٤	قال تعالى: ﴿تجري بأعيننا.﴾	القمر	١٤
٥	قال تعالى: ﴿فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا.﴾	البقرة	٦٠
٦	قال تعالى: ﴿وأرسلنا له عين القطر.﴾	سبأ	١٢
٧	قال تعالى: ﴿كل امرئ بما كسب رهين.﴾	الطور	٢١
٨	قال تعالى: ﴿فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا.﴾	آل عمران	٩٥
٩	قال تعالى: ﴿واتبعت ملة آبائي.﴾	يوسف	٣٨
١٠	قال تعالى: ﴿وجادلهم بالتي هى أحسن.﴾	النحل	١٢٥
١١	قال تعالى: ﴿وكان الانسان اكثر شيء جدلا.﴾	الكهف	٥٤
١٢	قال تعالى: ﴿هل أتى على الانسان حين من الدهر.﴾	الدهر	١١
١٣	قال تعالى: ﴿قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السموات والأرض.﴾	ابراهيم	١٠
١٤	قال تعالى: ﴿اذ تحسونهم باذنه حتى إذا فشلتم وتنازعتم فى الأمر.﴾	آل عمران	١٥٢
١٥	قال تعالى: ﴿هل أتى على الانسان من حين من الدهر لم يك شيئاً مذكوراً.﴾	الدهر	١
١٦	قال تعالى: ﴿هل في ذلك قسم لذي حجر.﴾	الفجر	٤
١٧	قال تعالى: ﴿هل جزاء الاحسان الا الاحسان.﴾	الرحمن	٦٠

عدد مسلسل	الآيــــــــة	السورة	رقم الآية
١٨	قال تعالى: ﴿هل أنتم منتهون.﴾	المائدة	٩١
١٩	قال تعالى: ﴿وآتوهم من مال الله الذي آتاكم.﴾	النور	٢٣
٢٠	قال تعالى: ﴿فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فاصبح من الخاسرين.﴾	المائدة	٣٠
٢١	قال تعالى: ﴿بل سولت لكم أنفسكم أمراً.﴾	يوسف	١٨
٢٢	قال تعالى: ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله.﴾	التوبة	١٠٥
٢٣	قال تعالى: ﴿بما كانوا يكسبون.﴾	التوبة	٩٥
٢٤	قال تعالى: ﴿حسداً من عند أنفسهم.﴾	البقرة	١٠٩
٢٥	قال تعالى: ﴿ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله.﴾	آل عمران	٧٨
٢٦	قال تعالى: ﴿ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام.﴾	المائدة	١٠٣
٢٧	قال تعالى: ﴿فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة.﴾	النور	٦١
٢٨	قال تعالى: ﴿وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين.﴾	الدخان	٣٨
٢٩	قال تعالى: ﴿وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا.﴾	ص	٢٧
٣٠	قال تعالى: ﴿وما خلقناهما الا بالحق ولكن اكثرهم لا يعلمون.﴾	الدخان	٣٩
٣١	قال تعالى: ﴿هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض لا اله إلا هو فأنى تؤفكون.﴾	فاطر	٣
٣٢	قال تعالى: ﴿فأروني ماذا خلق الذين من دونه.﴾	لقمان	١١
٣٣	قال تعالى: ﴿أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السموات أم أتيناهم كتاباً فهم على	فاطر	٤٠

عدد مسلسل	الآيــــــــــة	السورة	رقم الآية
	بينة منه بل ان يعد الظالمون بعضهم بعضاً الا غرورا.﴾		
٣٤	قال تعالى: ﴿أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شيء.﴾	الرعد	١٦
٣٥	قال تعالى: ﴿تدمر كل شيء بأمر ربها فاصبحوا لا يرى الا مساكنهم كذلك نجزي المجرمين.﴾	الاحقاف	٢٥
٣٦	قال تعالى: ﴿فتحنا عليهم أبواب كل شيء.﴾	الانعام	٤٤
٣٧	قال تعالى: ﴿وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم.﴾	النمل	٢٣
٣٨	قال تعالى: ﴿وأسروا قولكم أو اجهروا به انه عليم بذات الصدور ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير.﴾	الملك	١٣ ـ ١٤
٣٩	قال تعالى: ﴿ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله.﴾	الروم	٢٣
٤٠	قال تعالى: ﴿هو الذى يسيركم في البر والبحر حتى إذا كنتم في الفلك﴾	يونس	٢٢
٤١	قال تعالى: ﴿أم أمنتم أن يعيدكم فيه تارة أخرى.﴾	الاسراء	٦٩
٤٢	قال تعالى: ﴿والله خلقكم وما تعملون.﴾	الصافات	٩٦
٤٣	قال تعالى: ﴿انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء.﴾	القصص	٥٦
٤٤	قال تعالى: ﴿يضل من يشاء ويهدي من يشاء.﴾	النحل	٩٣
٤٥	قال تعالى: ﴿ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله.﴾	لقمان	٢٧
٤٦	قال تعالى: ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً.﴾	الاسراء	٨٥
٤٧	قال تعالى: ﴿وفوق كل ذي علم عليم.﴾	يوسف	٧٦
٤٨	قال تعالى: ﴿وما تشاءون الا أن يشاء الله.﴾	الانسان	٣٠

عدد مسلسل	الآيـــــــــــة	السورة	رقم الآية
٤٩	قال تعالى: ﴿ولو شاء الله ما أشركوا.﴾	الانعام	١٠٧
٥٠	قال تعالى: ﴿ولو شاء ربك ما فعلوه.﴾	الانعام	١١٢
٥١	قال تعالى: ﴿ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا الا أن يشاء الله.﴾	الانعام	١١١
٥٢	قال تعالى: ﴿ولو شاء الله ما اقتتلوا.﴾	البقرة	٢٥٣
٥٣	قال تعالى: ﴿إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون.﴾	النحل	٤٠
٥٤	قال تعالى: ﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم.﴾	البقرة	١٩٤
٥٥	قال تعالى: ﴿ليس على الاعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج.﴾	الفتح	٦٧
٥٦	قال تعالى: ﴿اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين.﴾	الفاتحة	٥ ـ ٧
٥٧	قال تعالى: ﴿ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم.﴾	البقرة	٧
٥٨	قال تعالى: ﴿بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلاً.﴾	النساء	١٥٥
٥٩	قال تعالى: ﴿أفرأيت من اتخذ الهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله.﴾	الجاثية	٢٣
٦٠	قال تعالى: ﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً.﴾	الانعام	١٢٥
٦١	قال تعالى: ﴿يضل من يشاء ويهدي من يشاء.﴾	فاطر	٨
٦٢	قال تعالى: ﴿أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً.﴾	الرعد	٣١

رقم الآية	السورة	الآيـــــــــة	عدد مسلسل
٩٩	يونس	قال تعالى: ﴿ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً.﴾	٦٣
٢٦	ص	قال تعالى: ﴿إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب.﴾	٦٤
٧٣	المائدة	قال تعالى: ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة.﴾	٦٥
١٧	المائدة	قال تعالى: ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم.﴾	٦٦
٣٠	التوبة	قال تعالى: ﴿وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل.﴾	٦٧
٨٨ ـ ٩١	مريم	قال تعالى: ﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولداً لقد جئتم شيئاً إدا تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا أن دعوا للرحمن ولدا.﴾	٦٨
٤١	المائدة	قال تعالى: ﴿قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم.﴾	٦٩
٦١	المائدة	قال تعالى: ﴿وإذا جاءوكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به.﴾	٧٠
١٣٦	النساء	قال تعالى: ﴿ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالاً بعيداً.﴾	٧١
٥	البينة	قال تعالى: ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة.﴾	٧٢
١٤٣	البقرة	قال تعالى: ﴿وما كان الله ليضيع إيمانكم.﴾	٧٣
١٢٤	التوبة	قال تعالى: ﴿فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً.﴾	٧٤
٤	الفتح	قال تعالى: ﴿هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم.﴾	٧٥
٢٩	الفتح	قال تعالى: ﴿رحماء بينهم تراهم ركعاً سجدا.﴾	٧٦

عدد مسلسل	الآيــــــــة	السورة	رقم الآية
٧٧	قال تعالى: ﴿واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات.﴾	محمد	١٩
٧٨	قال تعالى: ﴿لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله.﴾	المجادلة	٢٢
٧٩	قال تعالى: ﴿ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلاً.﴾	الاحزاب	٦١
٨٠	قال تعالى: ﴿أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون.﴾	البقرة	١٥٩
٨١	قال تعالى: ﴿وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين.﴾	النور	٢
٨٢	قال تعالى: ﴿ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً.﴾	النور	٤
٨٣	قال تعالى: ﴿ولا تأخذكما بهما رأفة في دين الله.﴾	النور	٢
٨٤	قال تعالى: ﴿قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكاة فاعلون.﴾	المؤمنون	١ ـ ٤
٨٥	قال تعالى: ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم ايماناً وعلى ربهم يتوكلون.﴾	الانفال	٢
٨٦	قال تعالى: ﴿الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون.﴾	الانفال	٣
٨٧	قال تعالى: ﴿أولئك هم المؤمنون حقاً.﴾	الانفال	٤
٨٨	قال تعالى: ﴿إن الذين يكفرون بالله ورسوله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسوله، ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً أولئك هم الكافرون حقاً.﴾	النساء	١٥٠ ـ ١٥١
٨٩	قال تعالى: ﴿أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي	البقرة	٨٥

عدد مسلسل	الآيـــــــــــة	السورة	رقم الآية
	في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون.﴾		
٩٠	قال تعالى: ﴿ومن أحسن من الله ديناً.﴾	النساء	١٢٥
٩١	قال تعالى: ﴿يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم.﴾	النساء	١٧١
٩٢	قال تعالى: ﴿إن الدين عند الله الاسلام.﴾	آل عمران	١٩
٩٣	قال تعالى: ﴿الذين يكذبون بيوم الدين.﴾	المطففين	١١
٩٤	قال تعالى: ﴿وذلك دين القيمة.﴾	البينة	٥
٩٥	قال تعالى: ﴿لا تختصموا لدي وقد قدمت اليكم بالوعيد ما يبدل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد.﴾	ق	٢٩
٩٦	قال تعالى: ﴿إن الله لا يخلف الميعاد.﴾	الرعد	٣١
٩٧	قال تعالى: ﴿جزيناهم ببغيهم وإنا لصادقون.﴾	الانعام	١٤٦
٩٨	قال تعالى: ﴿واتقوا النار التي أعدت للكافرين.﴾	آل عمران	١٣١
٩٩	قال تعالى: ﴿قل أفأنبئكم بشر من ذلكم النار وعدها الله الذين كفروا.﴾	الحج	٧٢
١٠٠	قال تعالى: ﴿يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا.﴾	النساء	١٢٠
١٠١	قال تعالى: ﴿ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون.﴾	الاعراف	١٥٦
١٠٢	قال تعالى: ﴿ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون.﴾	الاعراف	١٥٦
١٠٣	قال تعالى: ﴿فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض.﴾	آل عمران	١٩٥
١٠٤	قال تعالى: ﴿أولئك عنها مبعدون.﴾	الانبياء	١٠١

عدد مسلسل	الآيـــــــــة	السورة	رقم الآية
١٠٥	قال تعالى: ﴿أصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً وأحسن مقيلاً.﴾	الفرقان	٢٤
١٠٦	قال تعالى: ﴿يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم.﴾	المائدة	٣٧
١٠٧	قال تعالى: ﴿ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال إنكم ماكثون.﴾	الزخرف	٧٧
١٠٨	قال تعالى: ﴿كلما ارادوا أن يخرجوا منها اعيدوا فيها.﴾	السجدة	٢٠
	قال تعالى: ﴿ومن يقتل مؤمنا متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً.﴾	النساء	٩٣
١٠٩	قال تعالى: ﴿والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً الا من تاب.﴾	الفرقان	٦٨ ـ ٧٠
١١٠	قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم ان الله كان بكم رحيماً ومن يفعل ذلك عدواناً وظلماً فسوف يصليه ناراً وكان ذلك على الله يسيرا.﴾	النساء	٢٩ ـ ٣٠
١١١	قال تعالى: ﴿إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً أنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً.﴾	النساء	١٠
١١٢	قال تعالى: ﴿والذين يكتنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم	التوبة	٣٤ ـ ٣٥

عدد مسلسل	الآيـــــــة	السورة	رقم الآية
	وجنـوبهم وظهورهم هـذا مـا كنـزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون.﴾		
١١٣	قال تعالى: ﴿أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا.﴾	مريم	٥٩
١١٤	قـال تعالى: ﴿يـا أيها الـذين آمنوا اتقـوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله.﴾	البقرة	٢٧٨ ـ ٢٧٩
١١٥	قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم الى الأرض.﴾	التوبة	٣٨
١١٦	قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً الى فئة فقد بـاء بغضب من الـله ومـأواه جهـنم وبئس المصير.﴾	الانفال	١٥ ـ ١٦
١١٧	قـال تعالى: ﴿مـا لكم إذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم الى الأرض.﴾	التوبة	٣٨
١١٨	قال تعالى: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء.﴾	النساء	٤٨
١١٩	قال تعالى: ﴿إن الله يغفر الذنوب جميعاً.﴾	الزمر	٥٣
١٢٠	قال تعالى: ﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهـون عنه نكفر عنكم سيئاتكم.﴾	النساء	٣١
١٢١	قـال تعـالى: ﴿الـذين يجتنبـون كبـائر الاثم والفواحش الا اللمم.﴾	النجم	٣٢
١٢٢	قال تعالى: ﴿وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله واحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء.﴾	المائدة	١٨
١٢٣	قال تعالى: ﴿وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم.﴾	البقرة	٥٨
١٢٤	قال تعالى: ﴿فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم.﴾	البقرة	٥٩

عدد مسلسل	الآيـــــــة	السورة	رقم الآية
١٢٥	قال تعالى: ﴿مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء.﴾	النساء	١٤٣
١٢٦	قال تعالى: ﴿ مـا هم منكم ولا منهم ويحلفون على الكذب وهم يعلمون.﴾	المجادلة	١٤
١٢٧	قال تعالى: ﴿انا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان إنه كان ظلوماً جهولا ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفوراً رحيماً.﴾	الاحزاب	٧٢
١٢٨	قال تعالى: ﴿ويحلفون بالله إنهم لمنكم، وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون.﴾	التوبة	٥٦
١٢٩	قـال تعالى: ﴿ألم يعلمـوا أنـه من يحـادد الله ورسوله فإن له نار جهنم.﴾	التوبة	٦٣
١٣٠	قال تعالى: ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يـأمرون بـالمعروف وينهـون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله.﴾	التوبة	٧١
١٣١	قال تعالى: ﴿المنـافقون والمنـافقات بعضهم من بعض يـأمرون بـالمنكر وينهـون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله.﴾	التوبة	٦٧
١٣٢	قال تعالى: ﴿ولا تـأكلوا مما لم يـذكر اسم الله عليه وإنه لفسق وإن الشياطين ليـوحون الى أوليـائهم ليجـادلـوكم وإن أطعتمـوهم إنكم لمشركون.﴾	الانعام	١٢١
١٣٣	قال تعالى: ﴿وعصى آدم ربه فغوى.﴾	طه	١٢١
١٣٤	قال تعالى: ﴿عفا الله عنك لم أذنت لهم.﴾	التوبة	٤٣
١٣٥	قال تعالى: ﴿سبحانك إني كنت من الظالمين.﴾	الأنبياء	٨٧

عدد مسلسل	الآيـــــــــة	السورة	رقم الآية
١٣٦	قال تعالى: ﴿سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين.﴾	الأعراف	١٤٣
١٣٧	قال تعالى: ﴿ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها.﴾	الكهف	٤٩
١٣٨	قال تعالى: ﴿وكل صغير وكبير مستطر.﴾	القمر	٥٣
١٣٩	قال تعالى: ﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلاً كريماً.﴾	النساء	٣١
١٤٠	قال تعالى: ﴿فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى أمر الله.﴾	الحجرات	٩
١٤١	قال تعالى: ﴿وأما الذين فسقوا فمأواهم النار.﴾	السجدة	٢٠
١٤٢	قال تعالى: ﴿قل أفأنبئكم بشر من ذلكم النار وعدها الله الذين كفروا.﴾	الحج	٧٢
١٤٣	قال تعالى: ﴿وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا أنهم أصحاب النار.﴾	غافر	٦
١٤٤	قال تعالى: ﴿واتقوا النار التي أعدت للكافرين.﴾	آل عمران	١٣١
١٤٥	قال تعالى: ﴿وأما إن كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم.﴾	الواقعة	٩٢ ـ ٩٤
١٤٦	قال تعالى: ﴿كلا أن كتاب الفجار لفي سجين.﴾	المطففين	٧
١٤٧	قال تعالى: ﴿فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم.﴾	الزخرف	٦٠
١٤٨	قال تعالى: ﴿ويوم يحشر أعداء الله الى النار فهم يوزعون.﴾	فصلت	١٩
١٤٩	قال تعالى: ﴿يوم تبيض وجوه وتسود وجوه.﴾	آل عمران	١٠٦
١٥٠	قال تعالى: «﴿فأما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون.﴾	آل عمران	١٠٦
١٥١	قال تعالى: «﴿وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة	عبس	٣٨ ـ ٤٢

عدد مسلسل	الآيـــــــــة	السورة	رقم الآية
	مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة أولئك هم الكفرة الفجرة.﴾		
١٥٢	قــال تعــالى: ﴿خلقكم فمنكم كــافـر ومنكم مؤمن.﴾	التغابن	٢
١٥٣	قال تعالى: «﴿انا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً.﴾	الانسان	٣
١٥٤	قال تعالى: ﴿هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم اكفر.﴾	النمل	٤٠
١٥٥	قال تعالى: ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ومن كفر فإن الله غني عن العالمين.﴾	آل عمران	٩٧
١٥٦	قال تعالى: ﴿آتوني زبر الحديد.﴾	الكهف	٩٦
١٥٧	قال تعالى: ﴿فتقطعوا امرهم بينهم زبرا.﴾	المؤمنون	٥٣
١٥٨	قال تعالى: ﴿وآتينا داود زبورا.﴾	الاسراء	٥٥
١٥٩	قال تعالى: ﴿أكلها دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار.﴾	الرعد	٣٥
١٦٠	قال تعالى: ﴿وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء.﴾	الأنعام	٩١
١٦١	قال تعالى: ﴿ومـا يأتيهم من ذكـر من الرحمن محدث إلا كانوا عنه معرضين.﴾	الشعراء	٥
١٦٢	قال تعالى: ﴿إنا جعلناه قرآناً عربياً.﴾	الزخرف	٣
١٦٣	قال تعالى: ﴿وجعلنا الليل والنهار آيتين.﴾	الاسراء	١٢
١٦٤	قال تعالى: ﴿وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً.﴾	الأنبياء	٣٢
١٦٥	قـال تعالى: ﴿هـو الذي جعـل الشمس ضياء والقمر نورا.﴾	يونس	٥
١٦٦	قال تعالى: ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر.﴾	القدر	١
١٦٧	قـال تعالى: ﴿إنـا نحن نزلنـا الذكـر وإنا لـه لحافظون.﴾	الحجر	٩

عدد مسلسل	الآيــــــــة	السورة	رقم الآية
١٦٨	قال تعالى: ﴿وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد.﴾	الحديد	٢٥
١٦٩	قال تعالى: ﴿وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج.﴾	الزمر	٦
١٧٠	قال تعالى: ﴿وحفظناها من كل شيطان رجيم.﴾	الحجر	١٧
١٧١	قال تعالى: ﴿ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون.﴾	الأنبياء	٢
١٧٢	قال تعالى: ﴿أو يحدث لهم ذكرا.﴾	طه	١١٣
١٧٣	قال تعالى: ﴿أفمن هذا الحديث تعجبون.﴾	النجم	٥٩
١٧٤	قال تعالى: ﴿ومن الناس من يشتري لهو الحديث.﴾	لقمان	٦
١٧٥	قال تعالى: ﴿هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات.﴾	آل عمران	٧
١٧٦	قال تعالى: ﴿فيتبعون ما تشابه منه.﴾	آل عمران	٧
١٧٧	قال تعالى: ﴿والنخل والزرع مختلفاً أكله والزيتون والرمان متشابهاً وغير متشابه.﴾	الأنعام	١٤١
١٧٨	قال تعالى: ﴿كتاب فصلت آياته.﴾	فصلت	٣
١٧٩	قال تعالى: ﴿ولقد جئناكم بكتاب فصلناه على علم.﴾	الأعراف	٥٢
١٨٠	قال تعالى: ﴿وكل شيء فصلناه تفصيلاً.﴾	الاسراء	١٢
١٨١	قال تعالى: ﴿وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم ابلغه مأمنه.﴾	التوبة	٦
١٨٢	قال تعالى: ﴿إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى.﴾	الاحقاف	٣٠
١٨٣	قال تعالى: ﴿إنا سمعناه قرآنا عجبى يهدي الى الرشد فآمنا به.﴾	الجن	٢٢١
١٨٤	قال تعالى: ﴿قد سمع الله قول التي تجادلك فى زوجها وتشتكي الى الله.﴾	المجادلة	١

عدد مسلسل	الآيـــــة	السورة	رقم الآية
١٨٥	قال تعالى: ﴿لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء.﴾	آل عمران	١٨١
١٨٦	قال تعالى: ﴿يستمعون القول فيتبعون أحسنه.﴾	الزمر	١٨
١٨٧	قال تعالى: ﴿هدى ورحمة لقوم يؤمنون.﴾	الأعراف	٥٢
١٨٨	قال تعالى: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين.﴾	الأنبياء	١٠٧
١٨٩	قال تعالى: ﴿أولئك على هدى من ربهم.﴾	البقرة	٥
١٩٠	قال تعالى: ﴿ولنجعلك آية للناس وانظر الى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير.﴾	البقرة	٢٥٩
١٩١	قال تعالى: ﴿وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة.﴾	الاسراء	١٢
١٩٢	قال تعالى: ﴿فأصمهم وأعمى أبصارهم.﴾	محمد	٢٣
١٩٣	قال تعالى: ﴿فلما جن عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربي.﴾	الانعام	٧٦
١٩٤	قال تعالى: ﴿فلما رأى القمر نازعاً قال هذا ربي.﴾	الانعام	٧٧
١٩٥	قال تعالى: ﴿فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا اكبر.﴾	الانعام	٧٨
١٩٦	قال تعالى: ﴿وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين.﴾	الانعام	٢٥
١٩٧	قال تعالى: ﴿يا قوم إني بريء مما تشركون إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وما انا من المشركين.﴾	الأنعام	٧٩
١٩٨	قال تعالى: ﴿أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء.﴾	الاعراف	١٨٥
١٩٩	قال تعالى: ﴿إن من خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب﴾	آل عمران	١٩٠

عدد مسلسل	الآيـــــــــــة	السورة	رقم الآية
٢٠٠	قال تعالى: ﴿إن في ذلك لآيات للمتوسمين.﴾	الحجر	٧٥
٢٠١	قال تعالى: ﴿فبأي حديث بعده يؤمنون.﴾	المرسلات	٥٠
٢٠٢	قال تعالى: ﴿إنا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده وأوحينا الى ابراهيم واسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وأتينا داود زبورا ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما.﴾	النساء	١٦٤
٢٠٣	قال تعالى: ﴿رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيما.﴾	النساء	١٦٥
٢٠٤	قال تعالى: ﴿أن تقولون ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير.﴾	المائدة	١٩
٢٠٥	قال تعالى: ﴿أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا.﴾	الأنعام	١٥٦
٢٠٦	قال تعالى: ﴿ثم أرسلنا رسلنا تترى كلما جاء أمة رسولها كذبوه فاتبعنا بعضهم بعضاً.﴾	المؤمنون	١٤
٢٠٧	قال تعالى: ﴿وإن من أمة إلا خلا فيها نذير.﴾	فاطر	٢٤
٢٠٨	قال تعالى: ﴿كلما القي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى.﴾	الملك	٨ ـ ٩
٢٠٩	قال تعالى: ﴿أو لم تك تأتيكم رسلكم بالبينات.﴾	غافر	٥٠
٢١٠	قال تعالى: ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء.﴾	ابراهيم	٤
٢١١	قال تعالى: ﴿ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى﴾	طه	١٣٤

عدد مسلسل	الآيـــــــة	السورة	رقم الآية
٢١٢	قال تعالى: ﴿ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولاً فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين.﴾	القصص	٤٧
٢١٣	قال تعالى: ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا.﴾	الاسراء	١٥
٢١٤	قال تعالى: ﴿كل كذب الرسل فحق وعيدى.﴾	ق	١٤
٢١٥	قال تعالى: ﴿فلولا كان من القرون من قبلكم أولوا بقية ينهون عن الفساد فى الأرض إلا قليلاً ممن انجينا منهم.﴾	هود	١١٦
٢١٦	قال تعالى: ﴿فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي فى الحياة الدنيا.﴾	يونس	٩٨
٢١٧	قال تعالى: ﴿ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون.﴾	الأعراف	١٥٩
٢١٨	قال تعالى: ﴿من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون.﴾	آل عمران	١١٣
٢١٩	قال تعالى: ﴿إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري﴾	طه	١٤
٢٢٠	قال تعالى: ﴿ولا تجعلوا مع الله الهاً آخر.﴾	الذاريات	٥١
٢٢١	قال تعالى: ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة.﴾	المائدة	٧٣
٢٢٢	قال تعالى: ﴿فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون.﴾	البقرة	٢٢
٢٢٣	قال تعالى: ﴿هل من خالق غير الله.﴾	فاطر	٣
٢٢٤	قال تعالى: ﴿يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً.﴾	الاعراف	١٥٨
٢٢٥	قال تعالى: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته.﴾	المائدة	٦٧

عدد مسلسل	الآيـــــــــــة	السورة	رقم الآية
٢٢٦	قال تعالى: ﴿فتولَّ عنهم فما أنت بملوم.﴾	الذاريات	٥٤
٢٢٧	قال تعالى: ﴿وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه.﴾	الأنعام	٨٣
٢٢٨	قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة.﴾	الحجرات	٦
٢٢٩	قال تعالى: ﴿والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب.﴾	المائدة	٥
٢٣٠	قال تعالى: ﴿ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو اعجبكم أولئك يدعون الى النار والله يدعو الى الجنة والمغفرة باذنه ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون.﴾	البقرة	٢٢١
٢٣١	قال تعالى: ﴿وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين.﴾	التوبة	٣٦
٢٣٢	قال تعالى: ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب.﴾	التوبة	٢٩ ـ ٣٣
٢٣٣	قال تعالى: ﴿قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً.﴾	الاسراء	٨٨
٢٣٤	قال تعالى: ﴿من يطع الرسول فقد اطاع الله.﴾	النساء	٨٠
٢٣٥	قال تعالى: ﴿إن الله ثالث ثلاثة.﴾	المائدة	٧٣
٢٣٦	قال تعالى: ﴿إن الله هو المسيح ابن مريم.﴾	المائدة	٧٢
٢٣٧	قال تعالى: ﴿إن ربكم لرءوف رحيم.﴾	النحل	٧
٢٣٨	قال تعالى: ﴿إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إليَّ ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة.﴾	آل عمران	٥٥

عدد مسلسل	الآيـــــــــة	السورة	رقم الآية
٢٣٩	قال تعالى: ﴿الحمد لله فاطر السماوات والأرض جاعل الملائكة رسلاً.﴾	فاطر	١
٢٤٠	قال تعالى: ﴿فالق الحب والنوى يخرج الحي من الميت.﴾	الانعام	٩٥
٢٤١	قال تعالى: ﴿وجعل الليل سكناً والشمس والقمر حسباناً ذلك تقدير العزيز العليم.﴾	الانعام	٩٦
٢٤٢	قال تعالى: ﴿إن الله يحب المحسنين.﴾	البقرة	١٩٥
٢٤٣	قال تعالى: ﴿إن الله يحب المقسطين.﴾	الحجرات	٩
٢٤٤	قال تعالى: ﴿إن الله لا يحب كل خوان كفور.﴾	الحج	٣٨
٢٤٥	قال تعالى: ﴿إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولا.﴾	طه	١٠٩
٢٤٦	قال تعالى: ﴿ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد.﴾	الصف	٦
٢٤٧	قال تعالى: ﴿والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه.﴾	التوبة	١٠٠
٢٤٨	قال تعالى: ﴿يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك وأمم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب أليم.﴾	هود	٤٨
٢٤٩	قال تعالى: ﴿ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والاغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون.﴾	الاعراف	١٥٦ ـ ١٥٧
٢٥٠	قال تعالى: ﴿فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس استكبر وكان من الكافرين.﴾	ص	٧٤

رقم الآية	السورة	الآيـــــــــــة	عدد مسلسل
٩	الزمر	قال تعالى: ﴿أناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه.﴾	٢٥١
٩	غافر	قال تعالى: ﴿ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم.﴾	٢٥٢
١٧٥	الاعراف	قال تعالى: ﴿فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين.﴾	٢٥٣
٥ ـ ٦ ـ ٧	المؤمنون	قال تعالى: ﴿والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت ايمانهم فإنهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون.﴾	٢٥٤
١٦٦	الشعراء	قال تعالى: ﴿أتأتون الذكران من العالمين وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون.﴾	٢٥٥
٦	المؤمنون	قال تعالى: ﴿إلا على أزواجهم أو ما ملكت إيمانهم فانهم غير ملومين.﴾	٢٥٦
٥٤	الذاريات	قال تعالى: ﴿فتول عنهم فما أنت بملوم.﴾	٢٥٧
٢٩	الاسراء	قال تعالى: ﴿فتقعد ملوماً محسورا.﴾	٢٥٨
٣٢	الاسراء	قال تعالى: ﴿ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا.﴾	٢٥٩
٣٣	الاعراف	قال تعالى: ﴿قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن.﴾	٢٦٠
٢٨	الاعراف	قال تعالى: ﴿وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها، قل إن الله لا يأمر بالفحشاء.﴾	٢٦١
٣٢	النجم	قال تعالى: ﴿الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش إلا اللمم.﴾	٢٦٢
٤٢	الشورى	قال تعالى: ﴿الذين يظلمون الناس ويبغون فى الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم.﴾	٢٦٣

عدد مسلسل	الآيـــــــــة	السورة	رقم الآية
٢٦٤	قـال تعالى: ﴿هـو الذى خلقكم فمنكم كـافـر ومنكم مؤمن والله بما تعملون بصير.﴾	التغابن	٢
٢٦٥	قال تعالى: ﴿فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقـوا النـار التى وقودهـا النـاس والحجـارة اعـدت للكافرين.﴾	البقرة	٢٤
٢٦٦	قال تعالى: ﴿فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون.﴾	آل عمران	١٠٦
٢٦٧	قال تعالى: ﴿والكافرون هم الظالمون.﴾	البقرة	٢٥٤
٢٦٨	قـال تعالى: ﴿إن الـذين كفروا بعـد إيمانهم ثم ازدادوا كفـراً لن تقبـل تـوبتهم وأولئـك هم الضالون.﴾	آل عمران	٩٠
٢٦٩	قال تعالى: ﴿لـولا إذ سمعتموه ظن المؤمنـون والمؤمنـات بأنفسهم خيـراً وقالـوا هـذا إفـك مبين.﴾	النور	١٢
٢٧٠	قال تعالى: ﴿ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم.﴾	النور	١٦
٢٧١	قال تعالى: ﴿يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبداً إن كنتم مؤمنين.﴾	النور	١٧
٢٧٢	قال تعالى: ﴿واخفض جناحك لمن اتبعـك من المؤمنـين فـإن عصـــوك فقـل إني بريء مما تعملون.﴾	الشعراء	٢١٥ - ٢١٦
٢٧٣	قال تعالى: ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد.﴾	الاسراء	٣٦
٢٧٤	قال تعالى: ﴿ومن أضل ممن اتبـع هواه بغـير هدى من الله.﴾	القصص	٥٠
٢٧٥	قال تعالى: ﴿ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون.﴾	البقرة	٤٢
٢٧٦	قال تعالى: ﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط.﴾	الحديد	٢٥

عدد مسلسل	الآيـــــــــة	السورة	رقم الآية
٢٧٧	قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بـالقسط شهـداء لله ولـو عـلى أنفسكم أو الوالدين والأقربين.﴾	النساء	١٣٥
٢٧٨	قال تعالى: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته.﴾	المائدة	٦٧
٢٧٩	قـال تعالى: ﴿كنتم خـير أمة أخـرجت للنـاس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنـون بالله.﴾	آل عمران	١١٠
٢٨٠	قال الله تعالى: ﴿فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينـذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون.﴾	التوبة	١٢٣
٢٨١	قال الله تعالى: ﴿يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فـاحكم بين النـاس بـالحق ولا تتبـع الهوى.﴾	ص	٢٦
٢٨٢	قال الله تعالى: ﴿خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا إلى سواء الصراط.﴾	ص	٢٢
٢٨٣	قال الله تعالى: ﴿وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا.﴾	السجدة	٢٤
٢٨٤	قال الله تعالى: ﴿لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون.﴾	المائدة	٦٣
٢٨٥	قـال الله تعـالى: ﴿كتب عليكم القصـاص فى القتلى.﴾	البقرة	١٧٨
٢٨٦	قـال الله تعـالى: ﴿ولكم من القصـاص حيـاة يا أولي الألباب.﴾	البقرة	١٧٩
٢٨٧	قال الله تعالى: ﴿ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً فلا يسرف في القتـل إنه كـان منصورا.﴾	الاسراء	٣٣

عدد مسلسل	الآيـــــــــة	السورة	رقم الآية
٢٨٨	قال الله تعالى: ﴿الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة.﴾	النور	٧
٢٨٩	قال الله تعالى: ﴿والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة.﴾	النور	٤
٢٩٠	قال الله تعالى: ﴿والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالاً من الله.﴾	المائدة	٣٨
٢٩١	قال الله تعالى: ﴿إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض.﴾	المائدة	٣٣
٢٩٢	قال الله تعالى: ﴿وقاتلوا المشركين كافة.﴾	التوبة	٣٦
٢٩٣	قال الله تعالى: ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله.﴾	التوبة	٢٩
٢٩٤	قال تعالى: ﴿ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.﴾	التوبة	٣٣
٢٩٥	قال تعالى: ﴿وداعياً الى الله بإذنه وسراجاً منيراً.﴾	الاحزاب	٤٦
٢٩٦	قال تعالى: ﴿والله لا يحب الفساد.﴾	البقرة	٢٠٥
٢٩٧	قال تعالى: ﴿والله لا يحب المفسدين.﴾	المائدة	٦٤
٢٩٨	قال تعالى: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا.﴾	الحشر	٧
٢٩٩	قال تعالى: ﴿ولو ردوه الى الرسول والى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونها منهم.﴾	النساء	٨٣
٣٠٠	قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم.﴾	النساء	٥٩
٣٠١	قال تعالى: ﴿قل للمخلفين من الأعراب ستدعون الى قوم أولي بأس شديد تقاتلونهم أو	الفتح	١٦

عدد مسلسل	الآيـــــــــة	السورة	رقم الآية
	يسلمون فإن تطيعوا يؤتكم الله أجراً حسناً وإن تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذاباً أليماً.﴾		
٣٠٢	قال تعالى: ﴿فقل لن تخرجوا معي أبداً ولن تقاتلوا معي عدوا.﴾	التوبة	٨٣
٣٠٣	قال تعالى: ﴿سيقول المخلفون إذا انطلقتم الى مغانم لتأخذوها ذرونا نتبعكم يريدون أن يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل.﴾	الفتح	١٥
٣٠٤	قال تعالى: ﴿قل للمخلفين من الأعراب ستدعون الى قوم أولي بأس شديد.﴾	الفتح	١٦
٣٠٥	قال تعالى: ﴿أطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم.﴾	النساء	٥٩
٣٠٦	قال تعالى: ﴿فليحذر الذين يخالفون أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم.﴾	النور	٦٣
٣٠٧	قال تعالى: ﴿فاتقوا الله ما استطعتم.﴾	التغابن	١٦
٣٠٨	قال تعالى: ﴿فمن تطوع خيراً فهو خير له.﴾	البقرة	١٨٤
٣٠٩	قال تعالى: ﴿يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين.﴾	الانفال	٦٥
٣١٠	قال تعالى: ﴿الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً فإن يكن منكم مئة صابرة يغلبوا مائتين.﴾	الانفال	٦٦
٣١١	قال تعالى: ﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها.﴾	البقرة	٢٨٦
٣١٢	قال تعالى: ﴿ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه واعد له عذاباً عظيماً.﴾	النساء	٩٣
٣١٣	قال تعالى: ﴿إن الله لا يحب الخائنين.﴾	الانفال	٥٨
٣١٤	قال تعالى: ﴿فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها.﴾	النساء	٣٥

عدد مسلسل	الآيــــــــــة	السورة	رقم الآية
٣١٥	قال تعالى: ﴿يحكم به ذوا عدل منكم هدياً بالغ الكعبة أو كفارة طعام مسكين أو عدل ذلك صياماً ليذوق وبال أمره عفا الله عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام.﴾	المائدة	٩٥
٣١٦	قال تعالى: ﴿قل أفغير الله ابتغي حكماً وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلا.﴾	الانعام	١١٤
٣١٧	قال تعالى: ﴿أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يؤمنون.﴾	المائدة	٥٠
٣١٨	قال تعالى: ﴿ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين.﴾	الانعام	٦٢
٣١٩	قال تعالى: ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون.﴾	المائدة	٤٤
٣٢٠	قال تعالى: ﴿ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة أليس في جهنم مثوى للمتكبرين.﴾	الزمر	٦٠
٣٢١	قال تعالى: ﴿فمن أظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق إذ جاءه أليس في جهنم مثوى للكافرين.﴾	الزمر	٣٢
٣٢٢	قال تعالى: ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بالحق لما جاءه أليس في جهنم مثوى للكافرين.﴾	العنكبوت	٦٨
٣٢٣	قال تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة.﴾	القيامة	٢٣
٣٢٤	قال تعالى: ﴿يضل من يشاء ويهدي من يشاء.﴾	النحل	٩٣
٣٢٥	قال تعالى: ﴿وهو بالافق الاعلى.﴾	النجم	٧
٣٢٦	قال تعالى: ﴿خالق كل شيء.﴾	الانعام	١٠٢
٣٢٧	قال تعالى: ﴿وهو بكل شيء عليم.﴾	البقرة	٢٩

عدد مسلسل	الآيـــــــــة	السورة	رقم الآية
٣٢٨	قال تعالى: ﴿الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح.﴾	النور	٣٥
٣٢٩	قال تعالى: ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.﴾	الشورى	١١
٣٣٠	قال تعالى: ﴿فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون.﴾	الماعون	٥
٣٣١	قال تعالى: ﴿أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا.﴾	مريم	٥٩
٣٣٢	قال تعالى: ﴿والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم.﴾	التوبة	٣٤
٣٣٣	قال تعالى: ﴿وانفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة.﴾	البقرة	١٩٥
٣٣٤	قال تعالى: ﴿ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه والله الغني وأنتم الفقراء وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم.﴾	محمد	٣٨
٣٣٥	قال تعالى: ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ومن كفر فان الله غني عن العالمين.﴾	آل عمران	٩٧
٣٣٦	قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم.﴾	الانفال	٢٤
٣٣٧	قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم الى الارض.﴾	التوبة	٣٨
٣٣٨	قال تعالى: ﴿الا تنفروا يعذبكم عذاباً أليما.﴾	التوبة	٣٩
٣٣٩	قال تعالى: ﴿والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق.﴾	الفرقان	٦٨
٣٤٠	قال تعالى: ﴿لا تأكلوا أموالكم بينكم إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم.﴾	النساء	٢٩
٣٤١	قال تعالى: ﴿إن الله كان بكم رحيماً ومن يفعل ذلك عدواناً وظلما فسوف نصليه نارا.﴾	النساء	٣٠

عدد مسلسل	الآيـــــــة	السورة	رقم الآية
٣٤٢	قال تعالى: ﴿الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون فى بطونهم ناراً.﴾	النساء	١٠
٣٤٣	قال تعالى: ﴿الذين يظلمون الناس ويبغـون في الارض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم.﴾	الشورى	٤٢
٣٤٤	قال تعالى: ﴿فاجتنبوا الرجس من الأوثان.﴾	الحج	٣٠
٣٤٥	قال تعالى: ﴿فمن اضطر غير باغ ولا عاد.﴾	البقرة	١٧٣
٣٤٦	قال تعالى: ﴿بل أنتم قوم عادون.﴾	الشعراء	١٦٦

٢
فهرس الأحاديث النبوية

الصفحة	الحديث	عدد مسلسل
	قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم. وروى الامام مسلم بسنده عن أبي بريدة عن يحيى بن يعمر قال: كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري حاجين أو معتمرين فقلنا لو لقينا أحداً من اصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر فوفق لنا عبد الله بن عمر بن الخطاب داخلاً المسجد فاكتنفته أنا وصاحبي أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إليَّ فقلت أبا عبد الرحمن إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرءون القرآن ويتقفرون العلم وذكر من شأنهم وأنهم يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنف.	١
٦	قال: فاذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم وأنهم براء مني والذي يحلف به عبدالله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقته ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر.	
١٦	قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم لحارثة: لكل شيء حقيقة فما حقيقة إيمانك..؟	٢
	قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم: ما كان الرفق من شيء إلا زانه ولا كان الخرق في قوم الا ضرهم.	٣
٥٠	قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذا أراد الله بأهل بيت خيراً نفعهم في الدين ووقر صغيرهم كبيرهم ورزقهم الرفق في معيشتهم والقصد في نفقاتهم وبصرهم بعيوبهم فيتوبوا منها وإذا أراد بهم غير ذلك تركهم هملاً.	٤
٥١	قال رسول الله ـ (صلى الله عليه وسلم) لمعاذ بن جبل: إن الله لم يخلق شيئاً وأحب إليه من العتاق. ولم يخلق شيئاً أبغض إليه من الطلاق.	٥
٥١	روى عنه أنه قيل له: يا رسول الله لو سعرت لنا سعراً. فقال: إن الله هو المسعر، والعباد يحمدون على أن يرخصوا الأسعار، ويذمون إذا أغلوها.	٦
٥٢	روي عنه أنه مر على جنازة رجل من الأنصار فقال: اللهم نقه من الذنوب والخطايا كما تنقى الثوب الأبيض من الدنس.	٧

عدد مسلسل	الحديث	الصفحة
٨	قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): لن يدخل الجنة أحد بعمله. قيل: ولا أنت يا رسول الله! قال: ولا أنا: إلا أن يتغمدني الله برحمته.	٦٨
٩	قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله. فاذا قالوها، حقنوا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله.	٧٥
١٠	قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الايمان ههنا، وأشار الى صدره.	٧٦
١١	قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن.	٨٠
١٢	قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ليس بين العبد والكفر إلا تركه الصلاة.	٨٠
١٣	قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لعنت المرجئة على لسان سبعين نبياً.	٨٤
١٤	قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي أو نصراني ثم لم يؤمن بالذى أرسلت به إلا كان من أصحاب النار.	٩٣
١٥	قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان.	٩٦
١٦	روي عن النبى (صلى الله عليه وسلم) حين سأله الرجل عن فريضة الحج فقال: أفي كل عام يا رسول الله؟ فقال (صلى الله عليه وسلم) لو قلت نعم لوجبت. ولو وجبت، ما قدرتم، وإذاً لكفرتم.	١٠٤
١٧	قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ألا لا ألفينكم رجعتم بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض على الدنيا.	١٠٤
١٨	قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ليس بين العبد والكفر إلا تركه الصلاة.	١٠٤
١٩	قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لن يجمع الله أمتي على ضلال.	١٤٠
٢٠	قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله.	١٤١
٢١	قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لأصحابه أترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة؟ قلنا: بلى. قال: أترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة؟ قلنا: نعم. قال: والذي نفسي بيده إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة. وذلك أن الجنة لا يدخلها إلا نفس مسلمة. وما أنتم في أهل الشرك إلا كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود، أو كالشعرة السوداء في جلد الثور الأحمر.	١٥٨
٢٢	قال الرسول (صلى الله عليه وسلم) من أتى إمرأة في دبرها، لم ينظر الله تعالى إليه يوم القيامة.	١٦٢

عدد مسلسل	الحديث	الصفحة
٢٣	قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن السرقة والزنا وشرب الخمر: هن من الفواحش. وفيهن عقوبة. وأسوأ السرقة أن يسرق المرء من صلاته. قيل: كيف يسرق من صلاته يا رسول الله؟ قال: لا يتم ركوعها ولا سجودها.	١٦٤
٢٤	قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إن العين تزني وزناها النظر، واليد تزني وزناها اللمس.	١٦٥
٢٥	قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لعن الله الناظر والمنظور.	١٦٥
٢٦	قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ملعون من نظر الى عورة أخيه. وفي رواية: من أبدى عورته للناس.	١٦٥
٢٧	قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إنكن صواحب يوسف فمروا أبا بكر فليصل بالناس.	١٧٩
٢٨	قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يأبى الله ذلك والمسلمون. كررها مرتين.	١٧٩
٢٩	قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عمود الدين الصلاة.	١٨٠
٣٠	قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في معاذ بن جبل: يأتي امام العلماء يوم القيامة بنبذة وأن زيداً أفرض الأمة، وأن عبدالله بن مسعود كنيف ملئ علماً.	٢٠٠
٣١	قال الرسول (صلى الله عليه وسلم) لابن عباس: اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل.	٢٠٠
٣٢	قال رسول الله (صلى الله عليه وصلى) الصلاة صلة بين العبد وربه وليس بين العبد والكفر إلا تركه الصلاة.	٢٠٨
٣٣	قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ألا لا صلاة لمانع الزكاة. ثم قال: والمعتدى فيها كمانعها.	٢٠٩
٣٤	قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الصوم جنة. والجنة تستر من العذاب.	٢١٠
٣٥	قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مدمن الخمر كعابد وثن.	٢١٣



٣
فهرس الأشعار

حرف اللام

قال الشاعر:

وإن كنت قد ساءتك مني خليقة فسلي ثيابي من ثيابك تنسل ٢٧

قال الشاعر:

وإن تقوى ربنا خير نفل وبقدر الله ريثي وعجل ٤٩

من هداه سبل الخير اهتدى ناعم البال ومن شاء أضل

قال الشاعر:

قتلوا ابن عفان الخليفة محرماً ودعا فلم أر مثله مخذولا ٥٥

فتفرقت من بعد ذاك عصاهم شققاً واصبح سيفهم مغلولا ٥٥

قال الشاعر:

الى معشر لم يورث اللؤم جدهم أصاغرهم وكل فحل لهم بخل ١٥٨

حرف الميم

قال الشاعر:

قد كنت أعذل من السفاهة أهله وأعجب لما تأتي به الأيام ٥٤

فاليوم أعذرهم وأعلم أنها سبل الغواية والهدى أقسام

قال الشماخ:

وإني عداني عنكما غير ماقت نواران مكتوب علي بقاهما ٥٦

قال الشاعر:

ان يغفر الله يغفر جما وأي عبد لك لا ألما ٩٢

قال الشاعر:

صدت كما صد عما لا يحل له ساقي نصارى قبيل الفصح صوام ٩٢

حرف النون

قال الشاعر:

تقول إذا درأت لها وضيني أهذا دينه أبداً وديني ٨٣

حرف الهاء

قال الشاعر:

يا عابث الدهر إذا نابه لا تلم الدهر على غدره ٢٢

الدهر مأمور له آمر وينتهي الدهر الى أمره

كم كافر أمواله جمة تزداد أضعافاً على كفره

ومؤمن ليس له درهم يزداد ايماناً على فقره ٢٢

قال الشاعر:

إذا افـتـقـر المـرار لم يـر فقره   وإن أيسر المـرار أيسر صـاحـبـه   ٥٤

قال الشاعر:

إذا الهـم أمسى وهـو داء فـامـضـه   فـلـست بـمـمضـيـه وانت تـعـادلـه   ٦٤

حرف الياء

قال الشاعر:

شربـنـا وداويـنـا ومـا كـان ضرنـا   إذا الـله حـم الـقـدر إلا تـداويـا   ٥٥

قال التغلبي:

لـعمـرك مـا يـدري الـفتى كـيف يتقي   إذا هـو لم يجـعـل لـه الـله واقـيـا   ٥٦

٤

فهرس اللغويات والكلمات الفلسفية

٥

فهرس البلدان والأماكن



٦

فهرس الفرق والملل والنحل

٧

فهرس الأعلام

٧
فهرس الموضوعات